الأصول الغامضة للإنسان

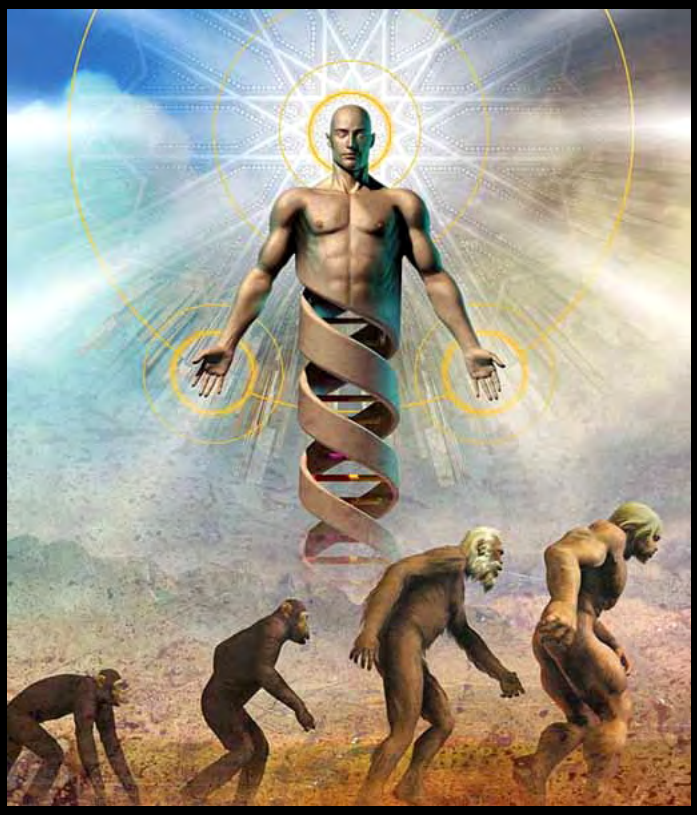

ترجمة وإعداد

علاء الحلبي

جزء الثاني

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

فهـــرس

عرق العمالقة الذي جاب الأرض

العمالقة في الأساطير

دلائل أثرية

مسألة الجايغانتوبيثاكوس

العمالقة عبر التاريخ

كلمة أخيرة بخصوص علم الآثار التكويني

عرق البيغمي والعالم الصغير

الجماجم الغريبة

كائنات شبه آدمية من نوع آخر

جماجم غامضة تعود لعصور غابرة

جمجمة "طفل النجوم"

إعادة اعتبار لمنطق منبوذ

الحياة في الفضاء الخارجي

الجـــزء الثالث

الحياة في الفضاء الخارجي

أصل الحياة على الأرض

الحقيقة تبقى الحقيقة

الحلقة المفقودة من تاريخ نشوء الحياة

تدخّل من الفضاء الخارجي

أهلاً بكم إلى عالم النمل

مـــن نحـــن؟

الطبيعة الاستثنائية للكائن البشري

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

الأصول الفضائية للإنسان؟

السيناريو الأوّل

[سيناريو روبنسون كروزو]

عـــــرق الـــدروبـــاس

السيناريو الثاني

[التهجين والتلاعب الجيني]

الذين هبطوا من السناء وتزاوجوا مع بنات الإنسان

الأعراق البشرية لم تتفرّع من أصل واحد؟!

إعادة النظر في نظرية تعدد الأعراق polygenism

حكماء التبت

والحياة في الفضاء الخارجي

قصة "الناسك" THE HERMIT (لوبسانغ رامبا)

كلمة أخيرة بخصوص سيناريو الأصل الفضائي

لغز القمـــر

ألله قبل كل شيء

البرمجة البايومعلوماتية الإلهية

الخاتمة

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

عرق العمالقة الذي جاب الأرض

THE RACE OF GIANTS

كافة الموروثات الشعبية حول العالم تُجمِع على فكرة واحدة مشتركة، حيث تؤكّد بأنه في الأزمان الغابرة عاش عرقُ من العمالقة على سطح الأرض، ومُعظم هؤلاء الجبابرة تعرّضوا للدمار والتلاشي خلال توالي الكوارث المتلاحقة التي أصابت الأرض. كانت طبيعتهم وحشية وقاسية، وكانوا في صراع مستمر فيما بينهم.. وأن آخر فلولهم قد تعرّضوا للفناء عندما جلبت الهجرات التي استهدفت مواطنهم بعد الكارثة الكُبرى، نوعاً جديداً من الكائنات البشرية والتي تمثّل اليوم أسلاف الإنسان الحالي.

تروي الأسطورة اليابانية بأنه عندما جاء أجدادهم بعد الكارثة الكُبرى، قادمين من البرّ نحو الجُزر اليابانية، وجدوا هناك عمالقة أرجلهم طويلة ويكسوهم الشعر. كانوا يُسمونهم "أينو" Ainu. لقد واجه أجداد اليابنيين هزيمة كُبرى في المعركة الأولى، لكن في المعركة الثانية كانوا المنتصرين. وتروي الأسطورة لدى سكان أستراليا الأصليين عن الفترة التي كان فيها العالم حديثاً وظهر أجدادهم قاطعين البحر من الشمال كالعمالقة.

تروي الأسطورة الهندية قصة عمالقة الـ"راكشاسا" Rakshasas، الذين سيطروا على الأدغال والغابات. لقد حكموا بلاداً تُدعى "لانكا" وتحدّوا أوامر الآلهة وتمرّدوا عليها. وتذكر ملحمة الـ"رامايانا" كيف قام "فيشنو" زعيم الآلهة الهندية الرئيسية الثلاث، بالتقمّص في شخصية أحد أفراد العائلة الملكية وقتل ملك الـ"راكاشا".

وصف "إكزليلكزوتشيتل" Ixtlilxochitl (زعيم إحدى أهم عشائر الأزتك Aztec في المكسيك القديمة) حياة شعوب الجانب الغربي من الأرض (الأمريكيتين) عبر أربعة عصور تاريخية مختلفة. العصر الأوّل انتهى بعد حصول الطوفان. وفي العصر الثاني، ويُسمى "شمس الزلازل"، عاش جيل من العمالقة، والذي تعرّض للفناء نتيجة الكارثة التي أصابت العالم في هذه الفترة. العصر الثالث يُسمى بـ"شمس الرياح"، ونُسب إليه هذا الاسم لأنه في نهاية هذا العصر دُمّر كل شيء بفعل العواصف والأعاصير الهائلة التي ضربت الأرض. أما السكان الجدد لهذا العالم، فكانوا "أولمي" Ulme و"كزيكالاوكا"Xicalauca الذين جاءوا من الشرق بحثاً عن موطئ قدم في "بوتوشان" Potouchan.. وهنا التقوا بعدد من العمالقة، والذين يمثلون آخر الناجين من الكارثة الثانية. العصر الرابع يُسمى "شمس النار"، بسبب النار الكُبرى التي وضعت نهاية لهذه الحقبة. في تلك الفترة، وصل الـ"تولتك" Toltecs إلى أرض "أناهواك" Anahuac هرباً من الكارثة.. وقد تشرّدوا لمدة ١٠٤ سنوات قبل أن يستقروا في موطنهم الجديد.

أما أساطير الـ"تولتك" فقد تحدثت عن الآلهة الأربعة التي خلقت العمالقة الذين كانوا رجالاً شديدي الضخامة يتمتعون بقوة كبيرة تجعلهم قادرون على قلع الشجرة من جذورها بأيديهم. يُطلقون عليهم اسم "كوينامتزين هويتلاكام" وتعني حرفياً "رجال بالغي الضخامة والبشاعة". وتقول أسطورة شعب الإنكا Inca في البيرو، بأنه في الزمن الأوّل، خلق "ويراكوتشا" Wiraccocha السماوات والأرض، ومن أوّل خلقه كان العمالقة.

كتب المؤرّخ الأسباني "ف.ل. غومارا" F. L. Gomara في كتابه "فتح المكسيك" (القرن السادس عشر)، رابطاً بين الأساطير السائدة في تلك البلاد والآثار التي اكتُشفت على يد الأسبان:

".. لقد انتهت الشمس الثانية (العصر الثاني) عندما سقطت السماء على الأرض.. هذا السقوط قتل كل الشعوب وكل شيء حيّ.. وقالوا بأن العمالقة عاشوا في هذه الفترة، وأعتقد بأن إليهم تعود تلك الهياكل العظمية العملاقة التي اكتشفها الأسبان خلال حفرهم للمناجم والقبور. من خلال كبر حجمها وضخامة أبعادها، يبدو أن قامة أصحابها كانت عظيمة.."

لقد ورد في النصوص اليهودية، المحفوظة في العهد القديم من الإنجيل وكذلك في التلمود والمدراشيم، بأنه بين أعراق الأرض في العصور السابقة عاش عرق من العمالقة، رجال بأحجام عظيمة وقوة هائلة وطبيعة مخيفة، كانوا يدمرون الأعراق الأخرى وبنفس الوقت يتصارعون فيما بينهم ويدمرون بعضهم البعض.

ورد في "سِفر التكوين" Genesis (6: 4) بأنه في فترة ما قبل الطوفان كان هناك عمالقة على الأرض. وكتاب "باروخ" Baruch اليوناني يقول بأنه أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ من العمالقة تعرّضوا للفناء الكامل خلال الطوفان. وبعد الطوفان بقي هناك مناطق قليلة نجا فيها بعضهم.

ملاحظ: سوف أكثر من ذكر النصوص المقدسة التي تتحدث عن العمالقة في العهد القديم لأنها تمثّل المرجع الرئيسي الذي يستند عليه علماء الآثار "التكوينيين" Creationists.

وفي العهد القديم أيضاً، بعد عدة قرون ضربت كارثة أخرى الأرض ودمّرتها، وأرسل شعب إسرائيل في مصر مجموعات تستطلع أرض فلسطين، فعاد المستطلعون مع أخبار عن أهل الأرض والذين كانت قامتهم طويلة بشكل عام، وإلى جانب ذلك، ".. رأينا العمالقة، أبناء "أناك" الذي انحدر من سلالة العمالقة، وكنّا بالنسبة لهم كما الجنادب.."

وهناك وصف أكثر دقّة في "سِفر تثنية الاشتراع" Deuteronomy (1: 28): ".. شعب أكثر طولاً وضخامة منا... وبالإضافة إلى أننا رأينا أبناء "أناكيم" هناك. وذُكر أيضاً في "سِفر الأرقام" Numbers 13: 22: "..كانوا ــ عائلات قليلة ــ يعيشون في حبرون.."

في الوقت الذي اقترب فيه الإسرائيليون من حقول "باشان" في الأردن، ".. فقط الملك أوغ، ملك باشان.." بقي من سلالة العمالقة (السِفر Joshua 13:12 والسِفر Deut. 3:11). والأفراد الآخرون الذين بأحجام ضخمة، فقد تم إبادتهم. ".. أنظروا، لوح سريره مصنوع من الحديد.. أليس هو في مدينة رابا Rabbah حيث يقطن أولاد آمون؟.. طوله تسعة أذرع وعرضه أربعة أذرع من ذراع الإنسان.." يتضمّن النصّ بأنه في الزمن الذي كُتب فيه "سِفر تثنية الاشتراع" Deuteronomy كان سرير الملك "أوغ" Og لازال موجوداً حيث يثير عجب وذهول الناظرين إليه.

كان العمالقة من بقايا عرق يواجه الانقراض. كان أوغ Og ".. من باقي العمالقة الذين سكنوا في Ashtaroth و Edrei .." (Joshua 12: 4). وقد أشاروا إليهم أيضاً باسم "إميم" Emim، أي المسعورين أو الحانقين أو الهائجين. ".. سكن الأميم هناك (في مواب Moab في شرق الأردن) في أزمان ماضية، كانوا شعباً عظيماً وكثير العدد، وأجسامهم طويلة كما أناكيم Anakim، فيُعتبرون عمالقة أيضاً كما الأناكيم، لكنهم في مواب يُسمون إميم.." ــ "..هذه السلالة من العمالقة كانت منقرضة في حينها.. لكن قبل عصرين كونيين، في أيام Amraphel ملك شينار وابراهيم البطريرك، كان الإميم مزدهرون في شرقي الأردن.." (سِفر التكوين Genesis 14: 5).

وقد ذُكر في القرآن الكريم بأن الله خلق قوماً كان أفراده بأحجام كبيرة جداً بحيث لم يخلق مثلهم من قبل. إنهم قوم "عاد" والمنحدرين من سلالة نوح، والذين أرسل إليهم النبي هود. كانوا طوال القامة، أحجامهم ضخمة، أقوياء جداً لدرجة يستطيع أحدهم الإمساك بشجرة وقلعها من جذورها. وكُلّت إليهم مهمة التحكّم بالشعوب في تلك الفترة. لكنهم تحدّوا أوامر الله وأنبياءه وبالتالي تم القضاء عليهم بالكامل.

في الحقيقة، السيناريو ذاته يتكرر في كافة النصوص والروايات والأساطير التي تتمحور حول العمالقة. يبدو أنه نموذج فكري عالمي كان سائداً في العصور القديمة. غالباً ما يُصوّر العمالقة على أنهم يمثّلون عرقاً قائماً بذاته، وفي غالب الأحيان كانوا يُعتبرون أولاداً لزواج حصل بين الآلهة والبشر. والأمر الغريب هو أن هذا السيناريو غالباً ما كان ملازماً لسيناريو آخر منتشراً على مستوى عالمي، وهو حصول كارثة عالمية (طوفان عظيم) اكتسحت الكوكب بأكمله بما فيه عرق العمالقة. فيما يلي بعض من الشخصيات والرموز والأقوام التي تمحورت حولها أساطير العمالقة:

ــ ***النفيليم*** Nephilim: كانوا أبناء الله الذين، حسب "سِفر التكوين" Genesis، تزاوجوا مع بنات الإنسان، فنتج من هذا التزاوج عرقاً من العمالقة. وقد أشير إليهم أيضاً بـ"المراقبون" في كتاب "أنوخ" Enoch. (هناك نظرة أخرى لهذا الموضوع وسوف نتعرّف عليها لاحقاً في الكتاب).

أبناء الله الذين تزاوجوا مع بنات الإنسان.. هناك من يصوّرهم على شكل عمالقة، وهناك من يصوّرهم بأجنحة الملائكة

ـــ ***القابيليون*** Cainites: كان عرقاً من العمالقة المنحدرين من سلالة قابيل Cain الذي سكن في مملكة تحت الأرض تُسمى "أركا" Arka.

ـــ ***الأناكيم*** Anakim: كان هذا اسم آخر يُستخدم للإشارة إلى المراقبون. وتعني "المنحدرون من سلالة أناك"، أو "سلالة أنـــوخ"، ابن قابيل. وقد ذُكر في العهد القديم بأنه حتى بعد الطوفان، الذي صُنع أساساً لتدميرهم، كان لازال هناك مدناً لشعب "الأنـــاكيم" في كنعان. وأكّد المؤرّخ اليهودي "جوزيفوس" Josephus بأنه حتى في أيامه كان شائعاً نبش بقايا وهياكل عظمية للعمالقة من تحت الأرض.

ـــ ***التريتون*** Tritons: كان عرقاً من الآلهة العمالقة، جاءوا نتيجة تزاوج الإله "بوسيدون" Poseidon مع امرأة بشرية تُـــسمى "كليتو" Cleito. ويُقال بأن بعضهم نجا من الطوفان الذي دمّر أطلنطس.

ـــ ***التايتان*** Titans: كان عرقاً من العمالقة الإغريق، وُلدوا نتيجة تزاوج أورانوس Oranos مع غايا Gaia. وهي دون شـــكّ، صيغة مطابقة لأسطورة التريترون.

ـــ ***أطلـــس*** Atlas: كان ملك أطلنطس، وعملاق من عرق التريترون. كان ضخماً جداً وقوياً جداً لدرجة أنه غالباً ما صُوّر وهو حامل كوكب الأرض على كتفيه.

ـــ ***كويتزالكوتل*** Quetzalcoatl: كان الإله الأبيض العملاق الذي ظهر في أمريكا الجنوبية وأسس حضاراتها الأولـــى، حـــسب الموروثات الشعبية لسكان تلك البلاد. هو أيضاً تم تصويره بأنه يحمل الكرة الأرضية على أكتافه، وقال للمحليين بأن الحضارة التي جاء منها قد دمرها الطوفان، والذي نجا منه بواسطة هروبه بسفينة.

ـــ ***هرقل*** Hercules: كان هرقل عملاق أيضاً، ويُقال بأنه نجا بواسطة قارب.

ـــ ***كوكولاين*** Cuculainn: يشيرون إليه بـــ"هرقل أيرلندا" Irish Hercules، حيث جاء إلى أيرلندا بواسطة سفينة بعد أن تعرّض موطنه الأصلي للدمار بفعل الطوفان. المثير في الأمر هو أن هذه الشخصية الأسطورية تتطابق تماماً مع شخصية أســـطورية أخرى في أمريكا الجنوبية، وهو "كوكولكان" Kukulcan، الإله الأبيض الذي كانت قامته طويلة جداً والذي وصل إلى تلك البلاد في سفينة. لاحظوا أن هناك تطابق ليس فقط في الاسم، بل في مجريات القصة أيضاً.

ـــ ***فوتان*** Votan: وهذا أيضاً إله أبيض برز في أمريكا الجنوبية. ومرّة أخرى، نلاحظ التطابق العجيب بين هـــذه الشخـــصية الأسطورية وشخصية أخرى سادت في شمالي أوروبا، وهو الإله "ووتان" Wotan.

ــ ***أري*** Ari: كان هؤلاء يمثلون سلالة من الملوك المؤلّهين (مُقدسين) في سومر القديمة. والكلمة "أري" تمثّل لقب ملكي يعني "الذين يشعّون نوراً". كانوا دون شكّ يمثلون النموذج الأوّل للـ"مراقبون" الذين وردوا في كتاب "أنوخ". تصوّرهم أختام سومرية كثيرة بأنهم ذوات قامات ضخمة. كانوا على الأغلب أضخم بكثير من أقراد البلاط الملكي، حتى عندما يكونوا جالسون على عروشهم. وفي المناسبات العديدة التي يُصوّرون فيها وهم واقفون، كانوا يظهرون أطول بكثير من الواقفين بجانبهم.

سلالة الملوك في سومر يُصورون على شكل عمالقة

الملك الجالس على عرشه. وكذلك حجم الأسد بالنسبة للعملاق الواقف جنبه

ــ ***توواثا دي دانان*** Tuatha de Danaan: كان هؤلاء عرقاً من العمالقة والآلهة. كما القابيليين والعمالقة الأخرى، قيل بأنهم يسكنون الممالك تحت الأرضية أو في الجبال المُفرغة من الداخل. أحد الآلهة الرئيسيين كان "لوغوس" Lugus، وهو اسم يعني "الذين يسعّون نوراً"، وهذا يكشف عن تطابق مذهل مع ملوك سومر العمالقة.

ـــ ***إلو*** Ellu: كان عرق من الملوك الذين حكموا بلاد ما بين النهرين، وقيل أنهم ينحدرون من الآلهة. ومرّة أخرى، الكلمة "إلو" تمثّل لقب ملكي يعني "الذين يشعّون نوراً". ويُعتقد بأن الكلمة "إلو" تمثّل أساس الكلمة "إلوهيم" Elohim، وهو مصطلح يُقصد به عامةً "أبناء الله" (أو أبناء الألهة، كما يزعم الباحث زكريا سيتشن، وهذا ما سوف أتحدث عنه في أقسام لاحقة). وكلمة "إلوهيم" تُعتبر من قبل البعض بأنها مرادفة مع "نيفيليم" الواردة في سِفر التكوين (العهد القديم).

ـــ ***ألبيون*** Albion: كان أحد العمالقة من أبناء "بوسيدون" Poseidon. جاء إلى إنكلترا بعد الطوفان وكان لمدة سنوات طويلة يُعتبر إله الجزيرة الرئيسي. في تلك الأيام، كانت إنكلترا تُدعى "ألبيون" بعد هذا العملاق الإله/الملك. وفي الحقيقة، هناك الكثير من المواقع والمناطق البريطانية التي لازالت تستخدم الكلمات "ألبيون" أو "ألباني" حتى هذا اليوم.

ـــ ***إيبريوس*** Iberius: كان عملاق شقيق لـــ"ألبيون"، لكنه توجّه إلى أسبانيا بعد الطوفان. وبشكل مماثل، بقيت أسبانيا تُسمى لقرون طويلة باسم "إيبيريا" تيمناً بذلك العملاق.

ـــ ***الملك أرثر*** King Arthur: هناك بعض النماذج لأسطورة الملك أرثر والتي تروي قصة مختلفة عن ما هو معتاد، حيث تزعم بأنه ركب القارب خلال الطوفان، وهذه الرواية ذاتها توصفه بأن طوله بلغ ٣ أمتار. تروي إحدى المراجع التاريخية، بأن الملك هنري الثاني، ملك إنكلترا (١١٣٣ ـــ ١١٨٩م)، مستلهماً من عدد كبير من القصص المحلية، قام بتشكيل فريق خاص للبحث عن ضريح أحد العمالقة في منطقة "غلاستنبوري" Glastonbury حيث تدّعي روايات المحليين بأنها تعود للملك أرثر. وبعد تحديد نقطة الحفر والبدء بالعمل، وجدوا على عمق ٩ أقدام صليب مكتوب عليه: "هنا يقبع ضريح الملك أرثر". وخلال الاستمرار في الحفر، وجدوا على عمق ١٦ قدم ناووس حجري يحتوي على عظام رجل يبلغ طوله ٣ أمتار. شرع المتشككين للدحض بصحة هذا الاكتشاف المزعوم (وأنا إلى جانبهم طبعاً) حيث لا بدّ من أن الصليب كان مزوراً على يد الكهنة المحليين الذين هدفوا إلى لفت الانتباه (لزيادة المساهمات المالية) للكنيسة. لكن الحقيقة التي فشل المتشككين في دحضها هي تلك العظام التي يبدو أنها تعود فعلاً لرجل عملاق. بعد تلك الفترة بعدة قرون، أي في القرن الخامس عشر، تم انتشال ناووس عملاق في نفس المنطقة، ووجدوا في داخله هيكلاً عظمياً يبلغ طوله ٨,٣ قدم. لقد اختفت هذه الاكتشافات (والكثيرة غيرها) من سجلات التاريخ العائدة لتلك الفترة حيث لم يُذكر في أي مرجع أو وثيقة ما كان مصيرها. (لهذا السبب سوف نعتبرها من بين الأساطير غير الموثّقة رسمياً).

ـــ ***الصقلوب*** Cyclopses: كانوا عمالقة بعين واحدة في جباههم، ووردوا في الأساطير الإغريقية. يُقال بأنهم بنوا مدينة "ميسينيا" Mycenae ذات الأحجار العملاقة والتي تزن كل منها آلاف الأطنان. لهذا السبب تُعتبر آثار بعلبك، وتيهوانـاكو وغيرها من المواقع الأثرية ذات الحجارة العملاقة، بأن هندستها "صقلوبية" من نوعها.

ـــ ***الكابيري*** Cabiri: كان عرقاً من الألهة العمالقة المتخصصين في صناعة الحديد، ويُقال بأنهم عاشوا في البراكين المُفرغة من الداخل. كان لديهم وشم على جباههم، وهو صورة لدائرة الشمس، وهذا يؤدي إلى استنتاج يقول بأن خرافة العمالقة الصقلوبيين ذوات العين الواحدة تأصّلت من هذه الحقيقة.

ـ ***الكيمبيري*** Cimbri: كانوا عمالقة يشكنون في "غال" السلتية Celtic Gaul. كان لهم جدول من الشعر الأشقر ويظهرون بمظهر المحاربين الشرسين، وهذا يجعلهم يُقارنون غالباً بالأسود. وقد عُرفوا باسم "السيمريين" Cimmerians، وهذا يجعله من الممكن إنسابهم بالسومريين Sumerian.

هذه ليست سوى عينات فقط من الشخصيات الأسطورية العملاقة في كل زمان ومكان. وكان لا بد من الاستفاضة في إيراد المواصفات في العينات السابقة، وهذا ضروري من أجل إبراز الحقيقة الجوهرية المتعلقة بجميع الأساطير حول العالم تقريباً، حيث من الواضح أنها تستند على نفس القصة التي تتكرر دائماً وباستمرار، رغم بعض الاختلافات البسيطة في التفاصيل. وفي بعض الحالات، ليس فقط القصص متطابقة، بل أبطال الروايات تتطابق أيضاً، مثل البطلين "كوكولكان" و"كوكولان" Kukulcan/Cuculainn، وكذلك البطلين "فوتان" و"ووتان" Votan/Wotan.

إنه من المذهل ملاحظة وجود أساطير متطابقة في بلاد بعيدة جداً عن بعضها كما هي الحال مع تلك السائدة بين أمريكا الجنوبية والجزر البريطانية مثلاً، والأكثر عجباً هو التطابق في أسماء الأبطال أيضاً. ربما أصبح من الممكن الاستنتاج بأن هذه الأساطير قد تستند على حقيقة تاريخية (جزئياً على الأقل). ربما كانت شخصيات الروايات تمثّل أشخاصاً حقيقيون، وربما كان هؤلاء الأشخاص عمالقة فعلاً.

الدلائل الأثرية

لكن إذا كان هناك عرق من العمالقة فعلاً كما تدعي الأساطير، وسادوا يوماً على وجه الأرض، ***لماذا لم يكتشف لهم أي أثر كالهياكل العظمية مثلاً؟*** هذا السؤال سيبدو في البداية بسيطاً بالنسبة لنا، لأننا لم نعتاد على التفكير في هذه المواضيع بجدية أو منحها الاحترام الكافي، لكنه سيتحوّل إلى سؤال كبير ومهمّ جداً فيما بعد، لأن الجواب (غير المتوقّع) سيفتح أبواباً كثيرة على مصراعيها.. أبواباً بقيت موصدة ومقفولة بإحكام لفترة طويلة من الزمن. الآن سوف نترك الأساطير والخرافات، ونحضّر أنفسنا لمواجهة الحقائق المذهلة التي حرص الداروينيين على إخفائها والتستّر عليها بوسائل شتى ومهما كلّف الأمر.. وطالما تمنوا لو أنها لم تكن موجودة أصلاً لأنها سببت لهم الكثير من الإرباك والإحراج ووجع الرأس.

من أشهر الأعمال الصادرة مؤخراً، والتي يمكنها الإجابة بوضوح على السؤال السابق، هو كتاب "عمالقة سِفر التكوين ٦" Genesis 6 Giants، للكاتب التكويني "ستيفن كوايل" Stephen Quayle. هذا الكتاب كان ثمرة أكثر من ٣٠ سنة من البحث في الأدبيات الإنجيلية وعلاقتها بوقائع تاريخية حقيقية، بالإضافة إلى الآثار المادية التي تثبت صحتها. هذا الكتاب مُتخم بالروايات التي وردت في العهد القديم وكذلك الأساطير الأخرى حول العالم، والتي تتحدث جميعاً حول العمالقة بشكل عام، وشخصيات تاريخية عملاقة بشكل خاص. لكن الأمر الذي يهمنا هنا هو ذلك العدد الكبير من الاكتشافات الأثرية المذهلة التي

حصلت (ولا تزال تحصل) حول العالم والمتمثلة بنبش وانتشال هياكل عظمية ذات أحجام عملاقة (بشرية وشبه بشرية). يقـول "كوايل" في كتابه:

".. لقد استهلكت أكثر من ٣٠ سنة من حياتي باحثاً ومتقصياً في تاريخ العمالقة الغني والمُفعم بالأحداث. لقد بقي جزء كبير من هذا التاريخ مخفياً عن العامة. وتم إخفاء الإثباتات والدلائل المادية على وجود العمالقة بحيث حرضوا بشدّة على أن لا تُعـرض في المتاحف وربما مُعظمها تعرّض للتدمير. بالإضافة إلى أن الزمن قد حرص على حجب، أو على الأقل، تحسين صورة هذه المخلوقات وطبيعتها المنحرفة والشريرة. إنها في الحقيقة أكثر شيطانية وكرهاً من أن تستحق الحديث عنها بصورتها الحقيقية. والتاريخ مُفعم بالروايات التي توصف قسوتها ووحشيتها المطلقة، وبالإضافة إلى انحرافها الجنسي وكذلك تصرفاتها الوحـشية وطقوسها الوثنية التي تشمل أكل لحوم البشر. هذه ليست سوى بداية القصة. يبدو أن هناك حكمة وراء العمل أو حتى الاجتهاد نحو نسيانها ومحوها من التاريخ.. أليس كذلك؟.... من أين جاءت هذه المخلوقات العملاقة وما هي علاقتها بالبشر العـاديين؟ من كانوا؟ ما الذي حصل لهذه الكائنات العجيبة؟.."

الاكتشافات الأثرية التالية مجرّد أمثلة من ما ورد في كتاب "كويل" الذي استند على مجموعة واسعة من المراجع والمـصادر، وهي، كما يقول، لا تمثّل سوى عيّنة صغيرة جداً من ما تم توثيقه أو كشفه للعلن. أغلب التقارير جاءت من الولايات المتحـدة، لكن هناك أخرى مماثلة صدرت من أماكن كثيرة حول العالم: أوروبا، أمريكا الجنوبية، الجزر البريطانية، أفريقيـا، الـصين، الشرق الأوسط، الشرق الأدنى، أستراليا، ونيوزيلندا.

ــ في العام ١٨٩١م، في "كريتندن" Crittenden، أريزونا، بينما كان العمال يحفرون أساس بناء جديد على عمـق ٨ أقـدام، اكتشفوا ناووس حجري ضخم. بعد عناء كبير، استطاعوا فتح الغطاء، ووجدوا في داخله بقايا هيكل عظمي يعود لعملاق طوله ٩ أقدام (٣ أمتار)، والذي كاد يتحوّل عبر الزمن إلى كومة من الغبار.

ــ خلال استكشاف أحد الكهوف بالقرب من وادي "بارانك دي كوبري" العظـيم great canyon of Barranc de Cobre فـي شمالي المكسيك، في الثلاثينات من القرن الماضي، وجد المستكشف "باكـستون هـايز" Paxton Hayes ٣٤ رجـل وامـرأة محنطين. جميعهم لديهم شعر أشقر. وجميعهم تراوح طولهم بين ٧ و٨ أقدام.

ــ في العام ١٨٣٣م، بينما كان الجنود يحفرون في "لومبوك رانشو" Lompock Rancho، كاليفورنيا، وجدوا بقايا عملاق طوله ١٢ قدم (٤ أمتار)، وله صفّين من الأسنان، في الفكّ الأعلى والأسفل. ويبدو أن هذا الصنف من العمالقة ليس فريداً من نوعه، حيث وُجدت بقايا مماثلة (له صفّين من الأسنان) في جزيرة "سانتا روزا" مقابل سواحل كاليفورنيا.

ــ في العام ١٨٧٩م، قام عدد من علماء الآثار في إنديانا، الولايات المتحدة، بحفر مقبرة قديمة في "برورسفيل"، وانتشلوا هيكل عظمي بشري بلغ طوله ٩,٨ أقدام (حوالي ٣ أمتار). لكن العظام، التي تم استعراضها لفترة أمام العامة ومن ثم تخزينهـا فـي إحدى مطاحن الحبوب في البلدة، انجرفت مع فيضان أصاب تلك المنطقة عان ١٩٣٧م.

ــ في أواخر القرن التاسع عشر، وخلال قيام مجموعة من صيادي الآثار بحفر أحد الركام في موقع "سايري" Sayre بمقطاعة "برادفورد" Bradford، بنسلفانيا، وجدوا هياكلاً عظمية بشرية يبلغ طولها ٧ أقدام وكان للجماجم قروناً بارزة منها وعلى مسافة ٢ بوصة فوق الحواجب. لكن المجموعة التي كان من بنها بروفيسورين ومؤرّخ يعمل مع حكومة ولاية بنسلفانيا، قامت بتسليم ما وجدته لإدارة متحف فيلاديلفيا، لكن العظام أختفت بعدها دون أن تترك أثراً. يُقال بأنها سُرقت أو فُقدت. (سوف نتحدث لاحقاً عن البقايا البشرية ذات القرون)

ــ في العام ١٩٠٣م، في إحدى الرحلات الأثرية الميدانية التي قام بها البروفيسور "س. فار" S. Farr ومجموعة من تلاميذه من جامعة "برينستون" Princeton إلى موقع "فيش كريك في "مونتانا"، اكتشفوا وجود عدد من ركام مقابر. بعد اختيار واحد منها بدؤوا الحفر، وانتشلوا منه هيكلاً عظمياً بشرياً يبلغ طوله حوالي ٩ أقدام. وبجانبه هيكل عظمي يعود لامرأة بنفس الطول تقريباً.

ــ ورد في مجلة "نايتشور" Nature، إصدار ١٧ كانون أوّل ١٨٩١م، مقالاً يروي كيف وجد الحفارون، على عمق ١٤ قدم في مقبرة قديمة بأوهايو، هيكلاً عظمياً لرجل عملاق يرتدي درع من نحاس. وكذلك يلبس على رأسه خوذة نحاسية، وهناك حشوة من النحاس في بعض من أضراسه المحفورة. وهناك أيضاً دروع من النحاس حول ذراعيه، صدره، وبطنه. وفي جانبه تستلقي عظام امرأة، ربما تكون زوجته.

ــ في الستينات من القرن التاسع عشر 1860s، وجد بعض من صيادي الآثار الذين كانوا يحفرون في أحد التلال في "ماريون"، اوهايو، ما يقارب ٣٠ هيكل عظمي تتراوح أطوالها بين ٧ و٨ أقدام.

ــ في السنوات الأولى من القرن العشرين، كان فريق من الأشخاص يعزلون أحد الكهوف بالقرب من "لوفلوك"، نيفادا، (بهدف جمع فضلات الوطاويط لاستخدامها كسماد زراعي)، فاكتشفوا عدة هياكل عظمية عملاقة يبلغ طولها حوالي ٨ أقدام. كان شعرها لازال ثابتاً في الرأس، والأمر العجيب هو أنه طويل ولونه أحمر.

إحدى الجماجم التابعة للبقايا التي اكتُشفت في الكهف، يبلغ طولها حوالي القدم

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

رغم أن قصص الاكتشافات تختلف في التفاصيل، إلا أن جوهرها هو ذاته: جثامين عمالقة، غالباً ما يكون شعرهم فاتح، وهي مدفونة عامةً على أعماق تتراوح بين ٩ و١٢ قدم (٣ و٤ أمتار)، كما أن الأدوات التي تُنتشل من هذه المدافن تكون مصنوعة من النحاس. بعض التقارير تتحدث عن وجود رموز وكتابات هيروغليفية غريبة. وعدد من هذه الاكتشافات (في الولايات المتحدة) حصلت في رُكام مقابر كانت في السابق تشكّل محور الأساطير الهندية القديمة التي رواها المحليون للمستوطنين الأوروبيين الأوائل. فمثلاً، الهنود المحليين لا يعلمون من بنى هذه التلال الصغيرة mounds (المقابر) لأنها كانت موجودة مسبقاً قبل زمن وصول الهنود الأوائل إلى البلاد.

لدى معظم القبائل الهندية المحلية أساطير تروي كيف كان عرق من العمالقة يسكن في أمريكا قبل زمن وصول أسلافهم الأوائل إلى هذه البلاد. وهناك أساطير تتحدث عن مجموعة من العمالقة البيض الذين جاءوا ليسكنوا بينهم، بعد أن تعرّض موطنهم (يسميه الهنود "جزيرة الرجل الأبيض") للدمار بفعل الطوفان. وكافة الهنود تقريباً صنفوا هذه العمالقة إلى نوعين: النوع الشرّير والمتوحّش الذي لا يرحم، والنوع الخيّر والمسالم الذي لا يؤذي إطلاقاً.

صورة عملاق يصطاد البوفالو، كما يصفه هنود "البوني" Pawnee

على ضوء المعلومات الجديدة التي توفرت حديثاً، أصبح من المؤكّد أن سكان أمريكا الأصليين لم يتعايشوا فقط مع العمالقة، بل حصل بينهما تزاوج، لأن المستكشفين الأوائل للعالم الجديد وثّقوا الكثير من المشاهدات والأحداث واللقاءات وحتى المواجهات مع قبائل هندية كانت قامات أفرادها ضخمة جداً. يمكن الاطلاع على هكذا ملاحظات مؤرّخة في وثائق مستكشفين وبحارة

وقادة جيوش مشهورين مثل "أميريغو فيسبوسي" Amerigo Vespucci، "ماجلان" Magellan، "دي سوتو" De Soto، "فرانسيس درايك" Francis Drake.. الذين كان للكل منهم قصة مثيرة مع هؤلاء القبائل وأفرادها العمالقة. (في الحقيقة، لم يستطع الفاتحين الأوروبيين لتلك البلاد أن يهزموا هؤلاء الأقوام الجبابرة الأقوياء جداً، كما وصفهم المؤرخون، سوى بعد نشر الأوبئة التي فتكت بهم وبسلالاتهم ولم تترك لهم أثر).

الملاحم العسكرية التي وثقتها حملة القائد الأسباني "هيرناندو دي سوتو" Hernando De Soto (١٥٣٩م) كانت تشبه الأساطير الخرافية لما تم وصفه عن هؤلاء الهنود العمالقة الذين سببوا له ولجنوده الإرباك الكبير لدرجة أنه أصيب في إحدى المراحل باليأس وفكر جدياً بالتراجع من تلك البلاد. كان أفراد تلك القبائل، حسبما وصفتهم الوثائق، طوال القامة حيث أقصرهم يعلوا الجندي الأسباني بنصف متر. أما زعمائهم، فكانوا عمالقة حقيقيون بحيث بلغ طول أحدهم ٣,٥ متر. أما قوتهم الجسدية، فهي خرافية.. *".. كانت الأسهم، التي ترميها أقواسهم، تخترق جذع الشجرة من الجنب إلى الجنب.."*. (ربما لهذا السبب لجأ الأسبان إلى نشر الوباء في تلك المناطق كحلّ وحيد وجذري لمسألة العمالقة الين لا يُقهرون).

هناك مشاهدة مثيرة دوّنها المستكشف "ماجلان" Magellan في سجلّ اليوميات لسفينته خلال رحلته المشهورة حول العالم. فقد ذكر وجود عرق من العمالقة الذين يقطنون في إحدى السواحل الغربية لأمريكا الجنوبية.

أما القبطان "كوك" Captain Cooke، فالذي حصل معه كان أغرب بكثير. لقد دوّن في السجلّ اليومي للسفينة حادثة مثيرة بالفعل. لقد نجح أفراد السفينة بأسر أحد العمالقة ومن ثم ربطه بصارية السفينة. وقد كان طول هذا الكائن البشري أكثر من ٩ أقدام (٣ أمتار). لكن العملاق نجح في تحرير نفسه من الحبال التي تقيّده، فركض فوراً نحو أحد جوانب السفينة ورمى نفسه في البحر متوجهاً نحو موطنه.

رغم أن الأحداث والمشاهدات الموثّقة عبر التاريخ كانت مقنعة، والذي يضفي إليها المزيد من المصداقية هو أقوال وشهادات شخصيات مرموقة ويغلب عليها طابع الجدّية، إلا أن الحقيقة المحزنة التي تشكّل المسألة الجوهرية والحاسمة هو "البقايا".. "الآثار المادية".. جميعها مفقودة.. أين هي يا تُرى؟

أوّل ما وجب معرفته هو أن معظم الاكتشافات المتعلقة ببقايا العمالقة حصلت في القرن التاسع عشر، أو دعونا نصحّح العبارة لتوضيح الفكرة، فنقول: معظم الاكتشافات المتعلقة ببقايا عمالقة تم الإعلان عنها في القرن التاسع عشر بشكل واسع لكن راحت هذه الإعلانات تنحسر تدريجياً حتى اختفت في منتصف القرن العشرين. والسبب هو أنه في تلك الفترة، كان أتباع المذهب الداروينى لازالوا حديثي النشوء والتنظيم، ولم يُحكموا قبضتهم الحديدية بالكامل على أجهزة الأعلام والمؤسسات التعليمية الرسمية كما هو حاصل اليوم. إذاً، فالاكتشافات الأثرية كانت ولازالت تحصل قبل القرن التاسع عشر وبعده، لكن الفرق هو أن الاكتشافات الحديثة لم تعد قادرة على إيجاد طريقها للعلن (بانتشار واسع) بسبب السيطرة المطلقة التي يمارسها أتباع المذهب الداروينى على المؤسسات الإعلامية الرسمية والمحترمة. وإذا رغبت في تتبع أخبار تلك الاكتشافات الأثرية المذهلة، فليس لديك سبيل سوى المطالعة في مجلات ووثائقيات تُعتبر ماورائية وبالتالي غير رسمية وغير محترمة. فالإعلام الرسمي والمحترم لازال يبرز الاكتشافات (معظمها مزوراً ومفبركاً) التي تعود بأصلنا إلى قرود حصراً. أما أخبار اكتشافات بقايا

عملاقة، فلازالت تُصوّر على أنها أحداث فردية نادرة ومتفرّقة بحيث ليس هناك علاقة تربطها بـبعض. وإذا تناولوهـا فـي الأوراق العلمية الرسمية فسوف يعتبرونها "غرائب أثرية" لا مكان لها في التسلسل المنطقي للتاريخ.

يقول الكاتب "ستيفن كوايل" في كتابه "عمالقة سِفر التكوين ٦" Genesis 6 Giants، بأنه إذا كان هناك مؤامرة واسـعة مـن الصمت والإخفاء بخصوص هذه الدلائل الأثرية، كما هو مقتنع تماماً، فلا بد من أنها مؤامرة شاملة وعملاقة ومتعددة الجوانب والأبعاد. لأن التقارير الموثّقة المتعلقة بهذه البقايا الأثرية العملاقة هي عديدة جداً وأكثر بكثير من كونها مجرّد مجموعـة مـن الاكتشافات هنا وهناك والتي تعرّضت للضياع أو السرقة أو الإخفاء. لكن مع ذلك، فلا يمكن سـوى تـصديق هـذه الحقيقـة التاريخية. فهي مدعومة، ليس فقط من قبل كم هائل من الدلائل والإشارات الموجودة في الأساطير والأحداث التاريخية القريبة، بل بكمية كبيرة من الدلائل الأثرية أيضاً.

في كتابه الذي بعنوان "التاريخ الطبيعي والبـدائي لتناسـي" The Natural and Aboriginal History of Tennessee، " وصف المؤلف "جون هايوود John Haywood مجموعة من العظام العملاقة المُنتشلة من مقابر حجرية تـم اكتـشافها فـي مقاطعـة "وليامسون"، تيناسي، عـام ١٨٢١م. وفي مقاطعة "وايت كاونتي"، تيناسي، اكتشفوا حصن حجري قديم يحتوي على هياكل يفوق طولها ٧ أقدام.

في الحقيقة، هناك الكثير من المصادر الموثّقة التي توصف تفاصيل الاكتشافات الأثرية لبقايا عمالقـة، ولكـي نختـصر فـي موضوع الاكتشافات في الولايات المتحدة، سوف أعدد بعض من أهم الاكتشافات الموثّقة والتي استطاعت أن تخرج للعلن قبـل تعرضها للإخفاء:

ـ اكتُشفت هياكل عظمية عملاقة في أواسط القرن التاسع عشر في ولاية نيويورك بالقرب من "روتلاند" و"رودمان".

ـ جمجمة بشرية عملاقة مع العامود الفقري، تم انتشالها في "وسكونسن" Wisconsin. وهناك اكتشاف مشابه حصل في مدينة "كانساس".

ـ هياكل عظمية ضخمة جداً، تم انتشالها من أكوام حجرية بالقرب من "زاينسفيل" Zanesville، أوهايو، وكذلك فـي "وارن" Warren، ميناسوتا، في فترات متفرّقة من القرن التاسع عشر.

ـ في "كليرواتر" Clearwater، ميناسوتا، اكتُشفت ٧ هياكل عظمية عملاقة في الأكوام الموجودة بتلك المنطقة. كانت جباهها متراجعة للخلف، مع صف مزدوج من الأسنان.

ـ في موقع "لو كريسنت" Le Crescent، ويسكونسن، بعد نبش الأكوام الموجودة هناك، اكتشفوا بأنها تحتوي علـى هياكـل عظمية عملاقة. وفي موقع آخر يبعد ٥ أميال شمالي المكان، نبشوا هياكل عظمية يبلغ طولها ٨ أقدام.

ـ في العام ١٨٨٨م، أُعلن عن اكتشاف هياكل عظمية تتراوح أطوالها بين ٧ و٨ أقدام في صحراء نيفادا.

ــ بالقرب من "توليدو" Toledo، أوهايو، تم اكتشاف ٢٠ هيكل عظمي، جميعها لها أسنان وأضراس يفوق حجمها بمرتين عن الحجم الطبيعي للإنسان العصري. وقد ذكر المصدر وجود كتابات هيروغليفية غريبة في موقع الدفن.

ــ في العام ١٩٣١م، تم نبش هياكل عظمية في قاع بحيرة "هومبولت"، كاليفورنيا، يتراوح طولها بين ٨,٥ و١٠ أقدام.

ــ في العام ١٩٣٢م، وجد "أليس رايت" Ellis Wright آثار أقدام بشرية على صخور شبصّية في موقع "وايت ساندز"، نيو مكسيكو. وقد تم التصديق على اكتشافه من قبل "فريد آرثر" Fred Arthur، المشرف العام على منتزه "لينكولن" الوطني، مع مجموعة أخرى من الخبراء، والذينأكدوا جميعاً أن طول بصمات الأقدام يبلغ ٢٢ بوصة ويتراوح عرض كل منها بين ٨ و١٠ بوصة. كانوا متأكدين بأن البصمات كان بشرية الأصل. ذلك من خلال طريقة طبع البصمات والتي تنمّ عن أسلوب المشي الذي لا يمكن أن يكون سوى بشرياً.

ــ في العام ١٩٤٧م، بلغت صحيفة محلية عن اكتشاف هياكل عظمية بطول ٩ أقدام على يد مجموعة من المستكشفين الأثريين الهواة الذين كانوا يحفرون في منطقة "وادي الموت" Death Valley. وقد ادعى هؤلاء أيضاً بأنهم وجدوا عظام نمور وديناصورات مخلوطة مع عظام بشرية عادية. (سوف نتحدث عن الديناصورات لاحقاً).

ــ تحدث الباحث "إيفان.ت. أندرسون" Ivan T. Sanderson عن إحدى الاكتشافات المثيرة التي حصلت خلال الحرب العالمية الثانية، على يد مجموعة عسكرية كانت متمركزة في جزيرة "شيميا" التابعة لسلسلة جزر "أليوتان" Aleutian، في مضيق "بيرنغ" Bering Strait، خلال بناء مهبط للطائرات الحربية في الموقع. وأثناء قيام الجرّافة بقلع الصخور، راحت تظهر من بين الحجارة ما يبدو محتويات مقبرة. من بين المحتويات التي تم نبشها ظهرت جماجم بشرية عملاقة، ومن خلال حجمها الظاهر (ارتفاعها بين ٥٦ و٦١ سم من الدقن إلى قمة الرأس)، قُدر بأنها تعود لأجسام لا يقل طولها عن ١٢ قدم (٤ أمتار) أو أكثر.

جمجمة ارتفاعها ٦٥ سم من الدقن إلى قمة الرأس، تعود لجسم طوله ٥ أمتار

.... والقائمة تطول.....

بعض الاكتشافات الأثرية حول العالم

أفريقيا:

ــ في العام ١٩٣٦م، العالِم البليونتولوجي والأنثروبولوجي الألماني "لارسون كول" Larson Kohl، وجد عظام تعود لرجال عمالقة على ساحل بحيرة "أليلسي" Elyasi في أفريقيا الوسطى.

ــ اكتُشف في جنوب أفريقيا بصمات قدم متحجّرة تعود لامرأة، وحسب الفحص الكربوني الذي أجري على الصخرة تبيّن أن عمرها ٩ ملايين سنة. ويبلغ طول كل بصمة ما يزيد على ٤ أقدام. بعد الإشارة إلى إمكانية أن تكون أنثى تنتمي لفصيلة شبه بشرية، أصبح لا بد من الاستنتاج بأن هذه الكائنة طولها ٣٠ قدم!

المكسيك:

ــ في ١٤ أيار من العام ١٩٢٦م، ورد في معظم الصحف الأمريكي خبر اكتشاف مثير حصل في "نايايريت" Nayarit ، المكسيك، من قبل القبطانين "د.و. بايج" D. W. Page، و"ف.و. ديفلدا" F. W. Devalda، حيث تم اكتشاف مقبرة من العظام العائدة لعرق من العمالقة الذين يبلغ طولهم حوالي ١٠ قدم. وحسب ما ورد في بعض المقالات الصحفية المتناولة لخبر الاكتشاف، تتحدث الأساطير المحلية في تلك المنطقة عن أن هذه العمالقة جاءت من ما يُعرف الآن بالأكوادور Ecuador. وطبعاً، لم يُسمع عن هذا الاكتشاف أبداً بعد ذلك التاريخ. لكن هذا ليس مفاجئاً، حيث الكلمة "عملاق" تجعل شعر العلماء المنهجيين يقف من الفزع.

ــ تقارير صحفية عديدة وردت في كل من جريدة "واشنطن بوست" (إصدار ٢٢ حزيران، ١٩٢٥)، و"نيويورك هيرالد" (إصدار ٢١ حزيران، ١٩٢٥)، تتحدث عن قيام فريق من منقبي المناجم بنبش هياكل عظمية بالقرب من "سيسوغويتشيه" Sisoguiche، المكسيك، ويتراوح أطوالها بين ١٠ و١٢ قدم، ويبلغ طول أقدامهم بين ١٨ و٢٠ بوصة.

ــ في إصدار ٢ تشرين أوّل من العام ١٩٢٧ من مجلة "لوس أنجلوس تايمز" Los Angeles Times، ورد خبر عن قيام مستكشفين بنبش عظام بشرية عملاقة في موقع بالقرب من "تابكستلا" Tapextla، مما يشير إلى وجود مجموعة كاملة من البشر العمالقة الذين سكنوا تلك المنطقة في إحدى الفترات.

ــ في العام ١٩٢٩، وجد الأستاذ "دين بايرون كومنز" Dean Byron Cummings من جامعة أريزونا، بالاشتراك مع خبير ممثّل للحكومة المكسيكية، ٣ هياكل عظمية عملاقة تلبعة لرجلين وامرأة، يبلغ طولها ٢,٤ متر، مع طفل عملاق يبلغ طوله ١,٨ متر. لكن عملهم في الموقع تعطّل وألغي لاحقاً بسبب غضب الهنود المحليين (شعب الياكيس Yaquis)، والذين داهموا المكان وحطّموا البقايا إلى قطع صغيرة.

ــ في العام ١٩٢٣، خرجت تصاريح من "كساس غراندز" Casas Grandes، المكسيك، تعلن عن اكتشاف هياكل عظمية لهنود محليين يبلغ طولها ٤,٦ متر، مدفونة جنباً إلى جنب مع أواني مملوءة بالأحجار الكريمة.

الأكوادور:

ــ بلّغ أحد الرحالة المشهورين عن اكتشافه في عام ١٩٢٣م لمجموعة من الهياكل العظمية العملاقة تعود لنساء ورجال، يبلــغ طول الواحدة منها حوالي ٢,٤ متر.

نيكاراغوا:

ــ تحدث مقال في صحيفة "نيويورك تايمز" عن اكتشاف هيكل عظمي عملاق، مفقود الرأس، فــي "أل بــوكين" El Boquin، على ضفاف نهر "ميكو" في مقاطعة شونتالز Chontales. بلغ طول أضلاع الصدر حوالي الذراع. وعظمة الفخذ ثقيلــة جــداً لدرجة يصعب على فرد واحد رفعها.

أستراليا:

ــ في طبقات صخرية نهرية تعود للعصر الجيولوجي البلايستوسيني في منطقة "باثورست" Bathurst في "نيو ساوث وايلــز، أستراليا، وجد العالِم "ركس غيلروي" Rex Gilroy مصنوعات حجرية عملاقة وكذلك: هراوات، قواديم، مطــارق، أزاميــل، سكاكين، وفؤوس، جميعها ضخمة جداً وذات أوزان ثقيلة (تتراوح بين ٣,٦ إلى ١١,٣ كغ)، مُبعثرة على مساحة واسعة. يعتقد بأن هذه الأدوات تعود لأكثر من ٢٤٠,٠٠٠ سنة، وأن بعضها لا يمكن لإنسان استخدامها إلا إذا كان طوله ٣ أمتار على الأقل. كما وجد أسنان وأضراس وقطع عظمية وكذلك آثار أقدام بشرية تعود لنفس الفترة الجيولوجية تقريباً والتي تشير إلى أنها تعود لبشر (أو شبه بشر) عمالقة أطول بكثير من ٣ أمتار.

ركس غيلروي أمام أحد بصمات الأقدام العملاقة

ــ في وادي "ميغالونغ" الواقعة في"بلو مواننتز" Blue Mountains، نيو ساوث وايلز، وجد اليد "ب. هولمــان" P.Holman بصمة قدم مطبوعة على حافة وادي صخرية، ومن الواضح أنها تعود لكائن بشري عملاق. ومن خلال طول بصمة القدم (٦٠ سم) يمكن استنتاج حقيقة أن صاحبه كان طوله ٤ أمتار على الأقل. لقد تم اكتشاف الكثير من آثار الأقدام العملاقــة فــي تلــك المنطقة، وأحجامها متفاوتة بشكل كبير. أكبر بصمات الأقدام التي وُجدت في "بلو ماونتنز" تظهر بوضوح أنها تعود لمخلــوق بشري طوله ٧ أمتار!

بصمة القدم التي يبلغ طولها ٦٠ سم

ــ تم اكتشاف ٣ مجموعات من آثار الأقدام في "مولغوا" Mulgoa، جنوبي "بنريث"، نيو ساوث وايلز. كل بصمة قدم يبلغ طولها ٦٠ سم وعرضها ١٧سم تقريباً. والمسافة الفاصلة بين كل بصمة وأخرى تبلغ ٢ متر، مما يشير إلى أن هذه الخطوة الكبيرة لا يستطيع فعلها سوى عملاق بطول ٤ أمتار. صُنعت هذه البصمات عندما كانت الحمم والرماد البركاني لازال طرياً، وهذا حسب المنطق الداروينى لم يحصل سوى قبل ملايين السنين، أي في الوقت الذي يعتقدون بأنه لم يكن هناك بشراً أو أشباه بشر في القارة الأسترالية. هذه الاكتشافات (والكثيرة غيرها) تثبت صحّة الأساطير المحلية التي تتحدث عن وجود عمالقة في أستراليا في الزمن القديم.

تركيا:

في أواخر الخمسينات من القرن الماضي، وخلال إنشاء طريق في جنوب شرقي تركية، أي في وادي الفرات، تم اكتشاف عدد من المقابر المحتوية على عمالقة من الحجم الكبير. يبلغ طول الهياكل العظمية بين ٤,٣ و٤,٩ متر. وقد جُلبت إحدى عظام الفخذ (طولها ١٥٠ سم) إلى متحف "التكوين" Creationist museum في تكساس لاستعراضها أمام العامة. (أنظر في الصور التالية)

عظمة الفخذ مركبة على الجزء السفلي لصورة لهيكل عظمي لتبين كم كان حجم هذا العملاق بالمقارنة مع الإنسان العادي

لقد تحدث العديد من الكتاب والمؤرخين الرومان والإغريق عن اكتشاف هياكل عظمية بشرية عملاقة في أيامهم، مثل "هيرودوتوس" Herodotus، "بوسانياس" Pausanias، "فيلوستراتوس" Philostratus، "فليغون" Phlegon، "بليني" Pliny، "بلوتارش" Plutarch، سولينوس Solinus، و"سترابو" Strabo. غالباً ما كانت العظام المُنتشلة في تلك الأيام تُستعرض أمام العامة كدليل على واقعية أبطال أساطيرهم الذين كان يُعتقد بأنهم عمالقة.

أيرلندا:

اكتشف السيّد "داير" عملاقاً متحجّراً خلال إحدى ورشات البحث عن خام الحديد في مقاطعة "أنتريم" Antrim، أيرلندا. كان طوله ٣,٧١ متر، ووزنه ٢ طن، ولديه ٦ أصابع أقدام. بعد استعراضه لفترة من الوقت في "دوبلن" (أيرلندا)، جلبه إلى إنكلترا وأجرى استعراضات في كل من "ليفربول" و"مانشستر" مقابل ٦ بنسات لكل متفرّج. وقد جذبت استعراضاته الكثير من العلماء الفضوليين إلى جانب البسطاء المذهولين. لكن بعد حصول خلاف قانوني حول حق الملكية، ودام لفترة من الوقت، اختفى هذا العملاق من الوجود (من التاريخ) ولم يسمع عنه أحد بعدها. الصورة التالية التُقطت لهذا العملاق المتحجّر في مرآب القطارات في "لندن"، وظهرت مع مقالة تغطي الحدث في مجلة "ستراند" *Strand Magazine*، إصدار كانون أوّل ١٨٩٥م. (أنظر في الصورة التالية).

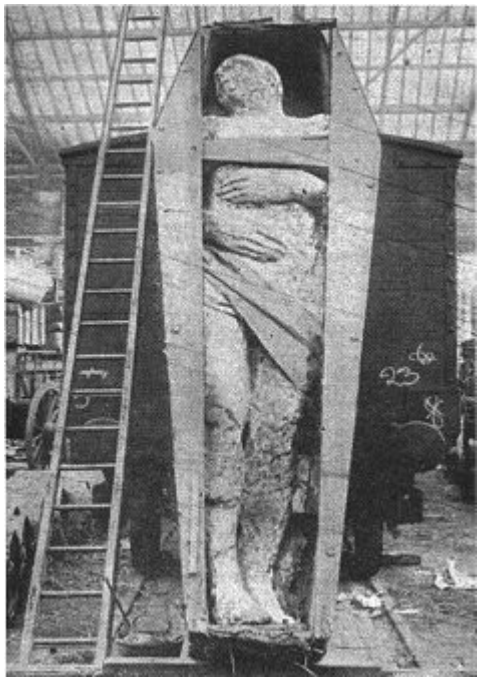

إنه لأمر مضحك فعلاً، حيث اكتشافات كهذه غالباً ما تختفي تماماً من المشهد العام بحيث لم تعد ترى النور ثانيةً. والشكر الكبير للمصوّر الذي حفظ هذه الحقيقة التاريخية في صورة فوتوغرافية.

هناك الكثير من الأخبار المفصّلة لاكتشافات بقايا عملاقة حول العالم، خاصة الهياكل العظمية. مثل خبر اكتشاف الهيكل العظمي في الفيليبين والذي بلغ طوله ٥,٢ متر، والذي انتُشل من منطقة "غارغايان" Gargayan. وبقايا عظام مخلوقات شبه آدمية يزيد طولها عن ٣ أمتار في جنوب شرقي الصين، والذي قُدر بأنها تعود لأكثر من ٣٠٠,٠٠٠ سنة. أما في أغادير، المغرب، فربما اكتشاف القبطان الفرنسي Lafanechère أصبح معروفاً لدى الجميع، والمتمثّل بإيجاد أسلحة وأدوات صيد

عملاقة، بما فيها ٥٠٠ فأس عملاق يزن كل منها ٨ كغ، وحجمها يشير إلى أنه لا يمكن أن يستخدمها سوى بشر بطول ٤ أمتار. وقد اكتُشفت أدوات عملاقة في كل من موروفيا وسوريا والعراق والأردن وبالقرب منها قطع مبعثرة من العظام البشرية العملاقة. أما في سريلانكا، فقد وجد المستكشفون بقايا عظام لبشر طولهم ٤ أمتار. وفي "تورا" Tura في "أسام"، بالقرب من الحدود مع بنغلادش، تم اكتشاف هيكل عظمي بشري طوله ٣,٤ متر. وفي السنوات الأخيرة نشرت مجموعة من الصحف أخباراً عن اكتشاف هيكل عظمي عملاق في القسم الجنوبي الشرقي من الصحراء السعودية من قبل إحدى شركات البترول. واكتشاف آخر حصل في منطقة صحراوية غربي الهند... وهكذا تبقى أخبار سريعة معلّقة بين الواقع والخيال. ليس هناك أفلام وثائقية ولا حتى دراسات علمية تبحث في هذا الموضوع بجديّة.. لماذا يا تُرى؟ هل يمكن أن تكون كل هذه الأخبار والاكتشافات مزوّرة؟ أم أن هناك أسباب أخرى لا يعلم بها سوى المسيطرين على المعرفة الإنسانية؟

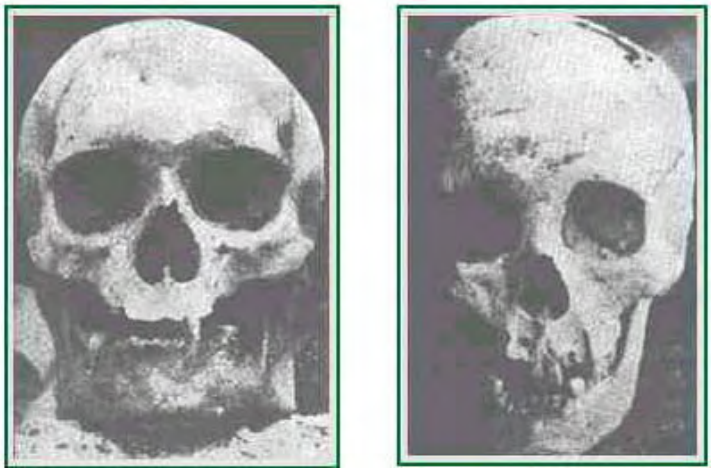

كلا الجمجمتان العملاقتان اكتُشفتا معاً في نفس الموقع، في منطقة "سيرا دي ماتشو" في الأمازون. يبدو واضحاً أن الجمجمتان غير بشريتان، وكل منها تنتمي لفصيلة مختلفة.

هيكل عظمي عملاق (شبه آدمي) طوله حوالي ٣ متر. في أحد كهوف "يوتاه" Utah، أمريكا

لاحظ كيف يختلف شكل الجمجمة عن الإنسان العادي

بصمة قدم يتجاوز طولها ٤٥ سم، مأخوذة من موقع "غلين روز" المشهور في تكساس. مع العلم أن الموقع ذاته يحتوي على آثار أقدام ديناصورات معاصرة لصاحب هذه القدم البشرية (الذي من المفروض أن يكون بارتفاع ٣أمتار).

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

عظمة فخذ بشرية عملاقة

قبل أن تنبهر بهذه الصورة، أعلم أنها مزوّرة. إنها من صنع أحد المحترفين ببرنامج الفوتوشوب. لكن يبدو أنها انطلت على عدد كبير من محرري الصحف (خاصة في الهند وبنغلادش) حيث نشرتها مع قصص اكتشافات تناسب الصورة. هذه إحدى أهم الأمور التي يستند عليها الداروينيون كحجّة قوية لإثبات عدم جدّية مسألة الآثار العملاقة. لقد استفادوا كثيراً من الإرباك والبلبلة التي تحدثها هذه الصور المزوّرة والروايات الكاذبة المرافقة لها في مقالات الصحف التي لا يهمها سوى الانتشار الواسع والمزيد من المبيعات.

رغم أن كافة الاكتشافات المذكورة في الصفحات السابقة، والآلاف غيرها، قد تناولتها الصحف بالتفصيل في وقت اكتشافها، إلا أن مصير تلك الهياكل العظمية والبقايا المُكتشفة لازال يمثّل لغزاً. كل ما نعرفه هو أنها لم تُعرض في المتاحف أو تثير أي اهتمام جدّي في الوسط العلمي الرسمي. أصبح واضحاً أن الأصوليين الداروينيين المسيطرين على مجتمع علم الآثار والأنثروبولوجيا كانوا ولازالوا يسوّقون مؤامرة صمت وإخفاء بخصوص هذه المُكتشفات لأنه بكل بساطة لا يمكن تفسيرها وفق المنطق الداروينى وبالتالي تمثّل تهديد حقيقي لهذا المنطق المسيطر على العالم الأكاديمي منذ حوالي قرن ونصف.

وطبعاً لتجنّب هذه الكارثة المحدقة بهم وبمنطقهم المنحرف، لا بدّ من اتخاذ إجراءات احترازية. أهمها هو النظر لهذه الاكتشافات على أنها غرائب أثرية منفردة تحصل هنا وهناك دون أي رابط بينها. في الصفحات التالية سوف نتعرّف على بعض من الأساليب الخبيثة الأخرى التي يلجأ إليها الداروينيون، المسيطرين بالكامل على الوسائل العلمية والإعلامية المحترمة، ليس لتنوير الشعوب، بل لتزوير الحقائق من خلال التحريف والقمع والإخفاء.

صورة من أرشيف مجلة "ناشونال جيوغرافيك"
NATIONAL GEOGRAPHIC

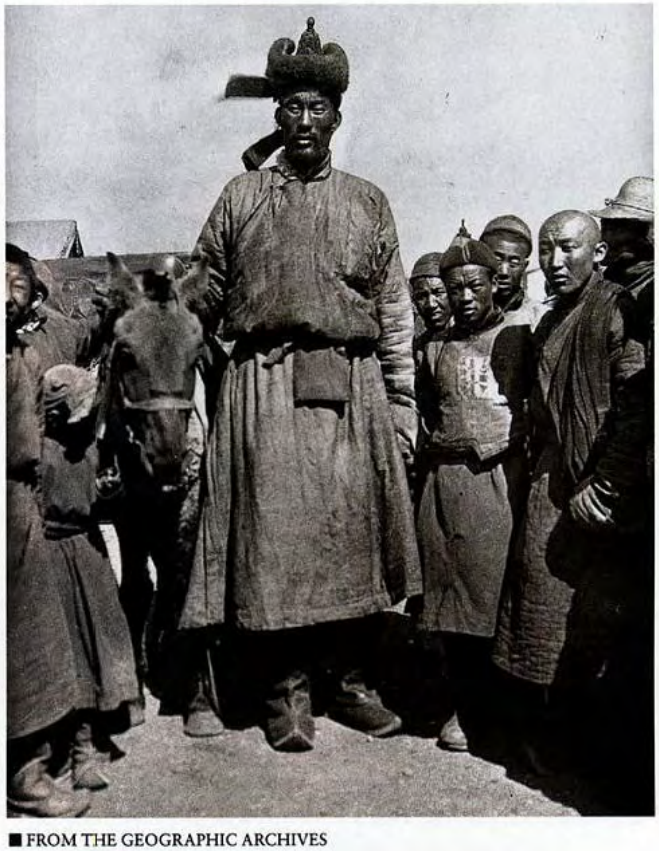

■ FROM THE GEOGRAPHIC ARCHIVES

الصورة السابقة وردت في مقالة غير منشورة في أرشيف مجلة "ناشونال جيوغرافيك"، عنوانها: "عملاق من بلاد جنكيز خان". يعود تاريخ المقالة إلى العام ١٩٢٢م، لكن المجلة لم تنشرها سوى في كانون أوّل من العام ١٩٩٦م. لماذا يا تُرى؟ السبب هو أنه منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن الماضي، شُنّت حملة شرسة وهوجاء ضدّ كل ما يتعلّق بمخلوقات عملاقة! حتى لو كانت ظواهر حديثة. والسبب هو إفساح المجال لرسوخ منطق ميتافيزيقي يُسمى "التطوّر الداروينيّ". وفي هذا المنطق الميتافيزيقي الجديد، ليس هناك أي تفسير للعملقة والضخامة في تاريخ التطوّر البشري. وجب على الإنسان أن يتطوّر من قرود قزمة مع أدمغة صغيرة. العملقة والضخامة تعني أدمغة كبيرة، وبالتالي، سيُعتبر هذا تناقضاً واضحاً للمسار التدريجي لتطوّر الإنسان. فبالتالي، صورة كهذه (المبيّنة في الأعلى) قد تساهم في تذكير الناس بأمور غير مرغوبة في الوقت الحاضر.

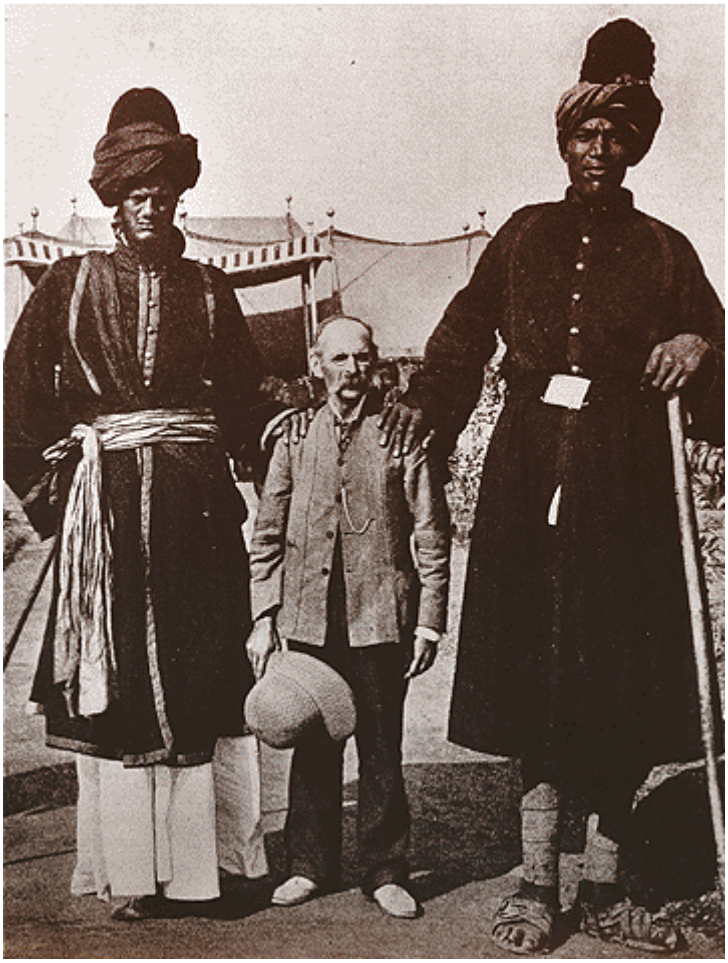

إحدى الصور التي نادراً ما سُمح بنشرها في المجلات العلمية المحترمة في بدايات القرن الماضي. استخدمها المؤلف "ستيفن كوايل" في غلاف كتابه "عمالقة سفر التكوين ٦".

مسألة الجايغانتوبيثاكوس
Gigantopithecus

إحدى أنجح الوسائل التي اتبعها الداروينيون لقمع الحقيقة المتعلقة ببقايا العمالقة البشر. جعلوها تبدو وكأنها من بقايا قرود عملاقة!!

مخلوق الـ"جايغانتوبيثاكوس" Gigantopithecus كما يتصوّره الفنانون الداروينيون والذي تبيّن فيما بعد أن بقاياه العظمية تمثّل عملاق بشري

في العام ١٩٣٥م، اكتُشفت فصيلة جديدة من الكائنات العملاقة شبه البشرية، ذلك على يد الأنثروبولوجي "رالف فون كوينغسوالد" Ralph von Koenigswald الذي كان أوّل من وصف المخلوق علمياً ومنحه اسمه الحالي: الـ"جايغانتوبيثاكوس" Gigantopithecus. كان العلم المنهجي يعتبر هذا المخلوق نوع من القرود المنقرضة، وبالتالي، وكما هي العادة دائماً، لجئوا إلى الفنانين لكي يصمموا له شكلاً نهائياً بالاستناد على بعض البقايا العظمية والكثير الكثير من الخيال. فخرجوا أخيراً بالشكل المبيّن في الصورة السابقة.

يصف العلم المنهجي هذا المخلوق بأنه ينتمي لفصيلة منقرضة من القرود، والتي سادت قبل مليون سنة تقريباً في المناطق التي تتمثّل اليوم بالصين، الهند، وفيتنام. وهناك مخلوق أخر مشابه يُدعى الميغانثروبوس Meganthropus، اكتشفت بقاياه في

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

أندونيسيا وأستراليا. يُعتبر هذا المخلوق أكبر القرود على الإطلاق، حيث يبلغ طولها أكثر من ٣ أمتار (وأحياناً ٤ أمتار)، ويزن أكثر من نصف طن (٥٤٥ كغ).

رغم أن العلماء الداروينيين يبدون واثقين مما يقولونه بخصوص هذا المخلوق، إلا أن هناك الكثير من الذين لا يوافقونهم في استنتاجاتهم. فمثلاً، الدكتور "فرانز وايدنرايتش" Franz Weidenreich من المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، الذي أجرى أبحاث على طريقته الخاصة، وجد أن هذا المخلوق أقرب من الإنسان من القرد. وأن ها الإنسان كان طوله ٣ أمتار. كتب في كتابه الذي بعنوان "القرود، العمالقة، والإنسان" Apes, Giants, and Man (١٩٤٦)، يقول:

".. لكن جوهر القضية، والذي أثار اهتمامنا الكبير، هو حقيقة أن الـ"جايغانتوبيثاكوس"هو ليس قرداً عملاقاً كما وصفه كوينغسوالد Koenigswald، بل كان رجلاً عملاقاً، وبالتالي وجب تسميته "جايغانتروبوس" Gigantanthropus.."

فكّ مخلوق الـ"جايغانتوبيثاكوس" بالمقارنة مع فكّ الإنسان العادي

بقي الجدل قائماً بين علماء الأنثروبولوجيا حول طبيعة هذا المخلوق وأصوله الحقيقية إلى أن حصل اكتشاف مثير في أستراليا، حيث اكتُشفت مجموعة من هذه المخلوقات، وكانت أحجامها كبيرة بحيث تجاوز طولها ١٢ قدم (أربعة أمتار)، والأمر الذي حسم الموضوع نهائياً هو اكتشاف أدوات وأسلحة وغيرها من مصنوعات عملاقة (تناسب حجم تلك المخلوقات) في نفس الموقع مما يشير إلى أنها كانت أقرب للإنسان من القرد.

سؤال محيّر:

لماذا هذا الهوس في الانتساب لفصيلة القرود؟

لماذا يجنح الداروينيون دائماً إلى تحويل كل ما اكتشفوه من بقايا عظام إنسانية وشبه إنسانية إلى بقايا قرود؟!

العمالقة عبر التاريخ

يصرّ العلم المنهجي على أنه لا يمكن أن يكون هناك أعراقاً من العمالقة قائمة بذاتها في الماضي البعيد، وبدلاً من ذلك، فالأسلاف الأنسب للإنسان العصري هم مخلوقات متوحّشة من أشباه القرود والتي قاماتها أصغر بكثير من قامة الإنسان الحالي.

وبخصوص حالات العملقة التي يُظهرها أشخاص بين فترة وأخرى، فهي بنظر العلم، ليست سوى حـــالات مرضـــية تـــصيب شخص واحد بين كل مليون. يُسمى بمرض "النمو المفرط" giantism أو "خلل في النمو" growth disorder والـــذي يـــسبب عدة اختلالات في حجم وشكل الجسم وأهمه الطول المفرط. وطبعاً، هم يوصفون ما نشهده من ظواهر فردية تحصل بين الحين والأخرى حول العالم، كالأمثلة التالية:

صور عمالقة مُعاصرين

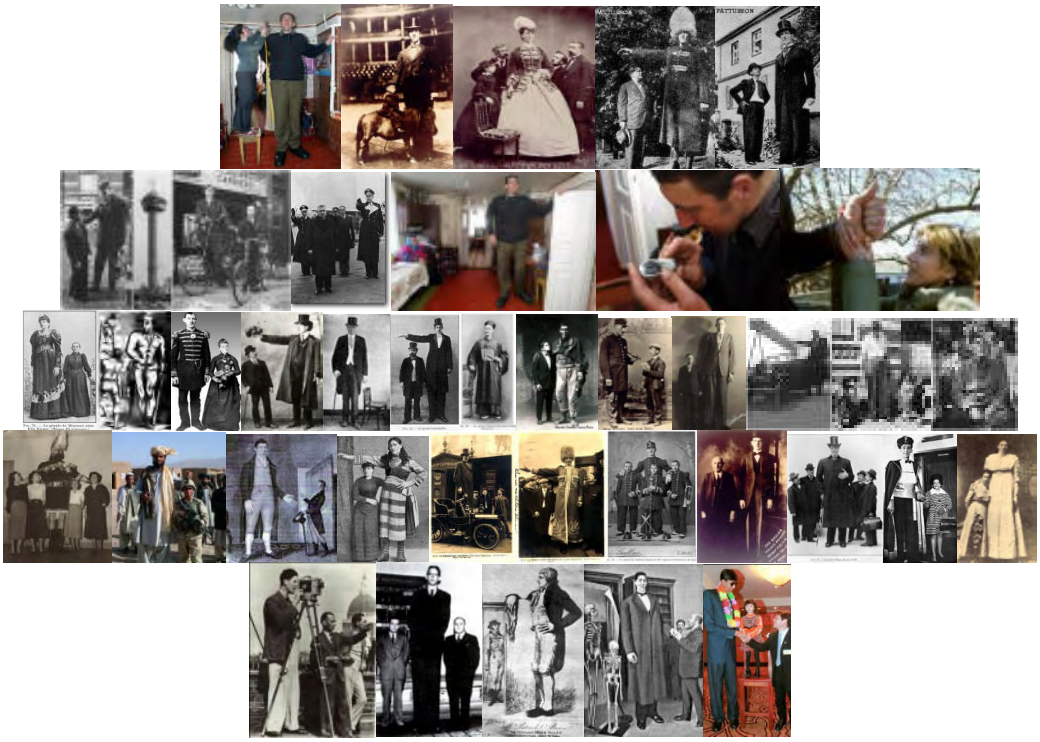

لكن الوثائق التاريخية تتحدث عن واقع مختلف، حيث تؤكّد بأنه كان يسود في إحدى الفترات الغابرة أعراقاً كاملة من العمالقـــة البشرية، ولا يقتصر الأمر على ظواهر فردية. وأغلب المراجع تتحدث عن ذوبان هذا الصنف من البشر، الذي كان على وشك الانقراض أصلاً، مع الصنف البشري الجديد الذي راح يتكاثر فيما بعد، وهو الصنف الذي ننتمي إليه نحن "البشر العاديين".

لقد تحدثت سابقاً عن مواجهة المستكشفين وقادة الجيوش الأوروبيين في العالم الجديد قبائل هندية كاملة من العمالقة، والذين على الأغلب لقوا حتفهم نتيجة نشر الأوبئة الفتاكة. وفيما يلي سوف اقتبس من مرجعين، أحدهم عربي، والآخر أوروبي، وكلاهما يثبت الحقيقة التاريخية المتمثلة بوجود أعراقاً كاملة من العمالقة.

العماليق

من مرجع عربي

أطلق اسم العماليق على قبائل قديمة انقرضت. وقد أوردت بعض الكتب أخباراً عنهم تمتزج بالأساطير، فاسمهم يوحي إلى الأذهان بضخامة أجسامهم، وقد دفع هذا الإيحاء بعض الرواة إلى المبالغة والتهويل، فنقل لنا السمهودي رواية تزعم أن ضبعاً وأولادها وجدت رابضة في تجويف عين رجل ميت من العماليق، وأنه كانت تمضي أربعمائة سنة لا يموت منهم أحد، ولا شك أن هذه الرواية وأمثالها من صنع قصاصين يحرصون على استثارة جمهورهم بالخوارق والعجائب. وبعيداً عن تلك المبالغات، فإن كلمة عملاق في اللغة تعني الطويل، ويبدو أن تلك القبائل كانت تتميز بشيء من الطول والجسامة، ويرى بعض المؤرخين الحديثين أن سكان الجزيرة العربية كانوا حتى عام ١٦٠٠ قبل الهجرة ضخاماً، وبقي لهم أحفاد إلى ما بعد ذلك وعرفوا بهذا الاسم، وإن لم يكونوا يحملون ذلك القدر من الطول ولا يعمرون ما يعمر به أسلافهم. والعماليق في كتب التاريخ العربية من أحفاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، كانوا يسكنون مع الأحفاد الآخرين لنوح في منطقة الرافدين ثم خرجوا مع مجموعات أخرى، وتكاثر أحفاد نوح حتى زاحم بعضهم بعضاً. وصل العماليق إلى الجزيرة العربية وانتشروا في أنحائها، وسكنت قبائلهم الكثيرة في نجد والبحرين وعمان واليمن وتهامة وبلغوا أطراف بلاد الشام، وكان منهم فراعنة مصر أيضاً، ويذكر الطبري أن الذين سكنوا يثرب منهم هم من قبيلة جاسم، ويذكر ابن خلدون قبائل أخرى هي: بنو لَفٍّ وبنو سعد بن هزال، وبنو مطر، وبنو الأزرق. ولا نعرف متى استوطن العماليق في يثرب على وجه التحديد، وربما نزلوها بعد خروجهم من أرض الرافدين. وقد اختلف المؤرخون هل هم الذين أسسوا يثرب أم قبيلة عبيل؟ وهل انتزعوها منهم؟ وهناك من يعتقد أن العماليق هم من عبيل نفسها. والذي يتفقون عليه هو أن وجود العماليق قديم في يثرب سواء في فترة التأسيس أو بعدها مباشرة. ومن المؤكد أن العماليق وجدوا في يثرب قديماً، وأنهم عرب. ويرى الطبري أن جدهم عمليق هو أول من تكلم العربية. كما أن أسفار التوراة ذكرتهم عدة مرات وسمتهم باسمهم العماليق حيناً وباسم الجبارين حيناً آخر. وذكرت أسماء بعض زعمائهم ومدنهم العربية، فقد عاصروا خروج بني إسرائيل من مصر، واصطدموا معهم في معارك عدة بمنطقة سيناء. وقد أنشأ العماليق في يثرب مجتمعاً زراعياً ناجحاً يحقق الاكتفاء الذاتي وانهمكوا في زراعة أراضيهم الخصبة وتربية ماشيتهم، وعاشوا حياتهم مستمتعين بوفرة محاصيلهم أول الأمر، وعندما نمت التجارة أسهموا فيها، ووصلت قوافلهم إلى غزة، ولكن تجارتهم بقيت محدودة لا تعادل تجارة أهل مكة، وآثروا عليها الزراعة بسبب خصب أراضيهم وكثرة مياههم. وقد درّت عليهم أعمالهم الناجحة أموالاً طائلة. وخافوا من عدوان القبائل الأخرى التي تجدب أرضهم وتشح مواردهم فبنوا الآطام، وهي حصون صغيرة تتسع لعائلة أو بضع عائلات وتحميهم من غارات الأعداء. وقد عمر العماليق في يثرب ما شاء الله، ثم وفدت عليهم قبائل أخرى ساكنتهم، فالوفرة التي وصل إليها العماليق جعلتهم يقبلون مساكنة الوافدين إليهم ليستفيدوا من العمالة الطارئة، فيخفف عنهم القادمون أعباء العمل في الأرض، ويجد أصحاب الأرض فرصة للتمتع بثرواتهم وما لبث الوافدون أن استثمروا بعض الأراضي التي لم يستثمرها العماليق في المنطقة، وتحولوا إلى ملاّك وأثروا وجاروا العماليق في حياتهم. وخلال رحلة السنين الطويلة، حصل تزاوج وتمازج بين العماليق والقبائل الوافدة، وظهرت أجيال جديدة تحمل دماءً مختلطة، وما لبث العماليق المتميزون بضخامة الأجسام أن قل عددهم تدريجياً، ولكنهم لم ينقرضوا تماماً، بل بقيت منهم بقية إلى ما بعد

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: +963-16-252559 contacts@sykogene.com

وصول اليهود إلى يثرب ويذكر المؤرخ العربي ابن زبالة أن بني أنيف ــ وهم حي أقاموا مع اليهــود قبــل وصــول الأوس والخزرج ــ كانوا منهم. وعندما وصل الإسلام إلى (يثرب) لم يكن قد بقي منهم إلا أفراد قلائل تميزوا بطول القامة.

مراجع: تاريخ الطبري ــ التاريخ الإسلامي محمود شاكر ــ تاريخ ابن خلدون ــ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

حروب روما مع العمالقة الجرمانيين

إنهم شعب "السيميريان" العمالقة Cimmerian Giants، أو "الكيمبري" Cimbri. بعد أن وجدوا طريقهم فــي الأرض عبــر الممرّ الشمالي، قاموا لفترة من الوقت باحتلال البلاد فوق مياه "يوكزين" Euxine، أو ما نسميه البحر الأسود اليوم. لكن بعد أن شعروا بدافع لا يُقاوم على الهجرة والطواف في الأرض من جديد، استمروا في التوجّه غرباً إلى أن انتهى بهم الأمر يستقرون شرقي نهر الراين في ألمانيا. وقد توسّعوا مع الوقت شمالاً حتى الدنمرك، كما أنهم استعمروا بلجيكا. وصفهم المؤرّخ الإغريقي "بوسانياس" Pausanias بأنهم أطول الشعوب. المؤرّخ العصري "غيرهارد هيرم" Gerhard Herm يوافق على هذا الوصف، ويضيف بأنهم "عمالقة شُقُر" كانوا يزرعون الرعب في قلب كل عدو. وحتى روما العُظمى، والتي خاضــت معهــم جيوشــها أشرس المعارك وأكثرها دموية، وقعت في إحدى المرات تحت أقدامهم حيث نهبوا المدينة وأحرقوها بالكامــل. كــان جميــع أفرادهم عمالقة. وهناك حالات عديدة يتجاوز فيها بعضهم الأحجام العادية ليصل ارتفاعهم ٣ أمتار وأكثر.

معركة "أللیـــــا"
Allia Battle

حصلت هذه المعركة عند نهر "أللیا" الصغير، سنة ٣٨٧ قبل الميلاد، حيث استطاع عمالقــة "ســينون" Senone أن يمرغــوا كبرياء الجيش الروماني في التراب. بعد سماع أنباء الهزيمة، ما كان على أهالي مدينة روما سوى أن يفرّوا منهــا تاركينهــا مهجورة. بعدها بقليل، قام العمالقة المنتصرين بحرق المدينة بالكامل انتقاماً.

معركة نهر "رون"
Rhone River Battle

حصلت هذه المعركة بالقرب من نهر "رون" عام ١٠٥ قبل الميلاد، عندما تقدمت مجموعات من العمالقة الجرمانيين المتنقّلــين نحو "أورانج" Orange. رداً على هذا العمل الذي يمثّل اختراق لسيادة الإمبراطورية الرومانيــة، تقــدّم جيــشان رومانيــان لمواجهتهم عند نهر رون، الأوّل بقيادة الجنرال "كايبيو" Caepio، والثاني بقيادة الجنرال "مانليوس" Manlius. لم ينجو بــين الرومان من هذه المعركة سوى عشرة عساكر والجنرالان اللذان فرّا هاربين.

معركة نوريا

Battle of Noreia

حصلت هذه المعركة عام ١١٣ قبل الميلاد. أرسلت روما جيشاً للتحقق والاحتراز من مسيرة ٣٠٠ ألف مهاجر من عمالقة الكامبري والتيوتون مع نسائهم وأطفالهم اللاحقين بهم في عربات تغطيها الجلود. لكن ما لبث الجيش الروماني، بقيادة الجنرال "بابيريوس كاربو" Papirius Carbo أن اصطدم بالمهاجرين الجرمانيين العمالقة، حتى نشبت المعركة الأشرس على الإطلاق في موقعة "نوريا" Noreia عند "ستيريا" Styria. أبيد خلالها الجيش الروماني بالكامل.

معركة تيلامون

Battle of Telamon

في معركة "تيلامون" الحاسمة، عام ٢٢٥ قبل الميلاد، طوّقت القوات الرومانية بالصدفة ٧٠ ألف من السلت الغزاة بين جيشين. في ذلك اليوم الدموي، قتل الرومان أكثر من ٤٠ ألف من المقاتلين العمالقة وأسروا عشرة آلاف.

لم يستطع الرومان التغلّب بالكامل على هذا الشعب العنيد الذي سبب لهم القلق والإرباك طوال قرون عديدة من المواجهات العسكرية المباشرة. لكنهم استطاعوا زرع الخلافات فيما بينهم وتشريدهم من خلال الحصارات التي سببت المجاعات وغيرها من استراتيجيات طويلة المدى رسمها السياسيون الرومان الذين كانوا يحترفون المؤامرات، إلى أن تلاشى هذا الشعب بالكامل واندمج مع الشعوب الأوروبية الأخرى. وما لبث هؤلاء العمالقة الشقر ذوات الأجسام الضخمة أن قل عددهم تدريجياً مع مرور الزمن، فاختفوا من الوجود تاركين ورائهم تاريخاً حافلاً يكاد يتحوّل إلى مجموعة من الأساطير التي يصعب تصديقها اليوم.

كلنا كنا نعتقد في البداية أن الرسومات الجدارية في الحضارات القديمة، مثل البابلية والسومرية والفرعونية، كانت رمزية أكثر من كونها تمثّل واقع حقيقي. فعلم الآثار المنهجي لازال يفسّر كبر حجم الرجل بالمقارنة مع المحيطين به في صورة معيّنة

يرمز لعظمته وجبروته. لكن بعد مشاهدة صور اكتشافات مثيرة (كما هو مبيّن في الصورة التالية) أعتقد بأنه علينا أخذ الصور الجدارية بمعناها الفعلي أكثر من كونه رمزياً.

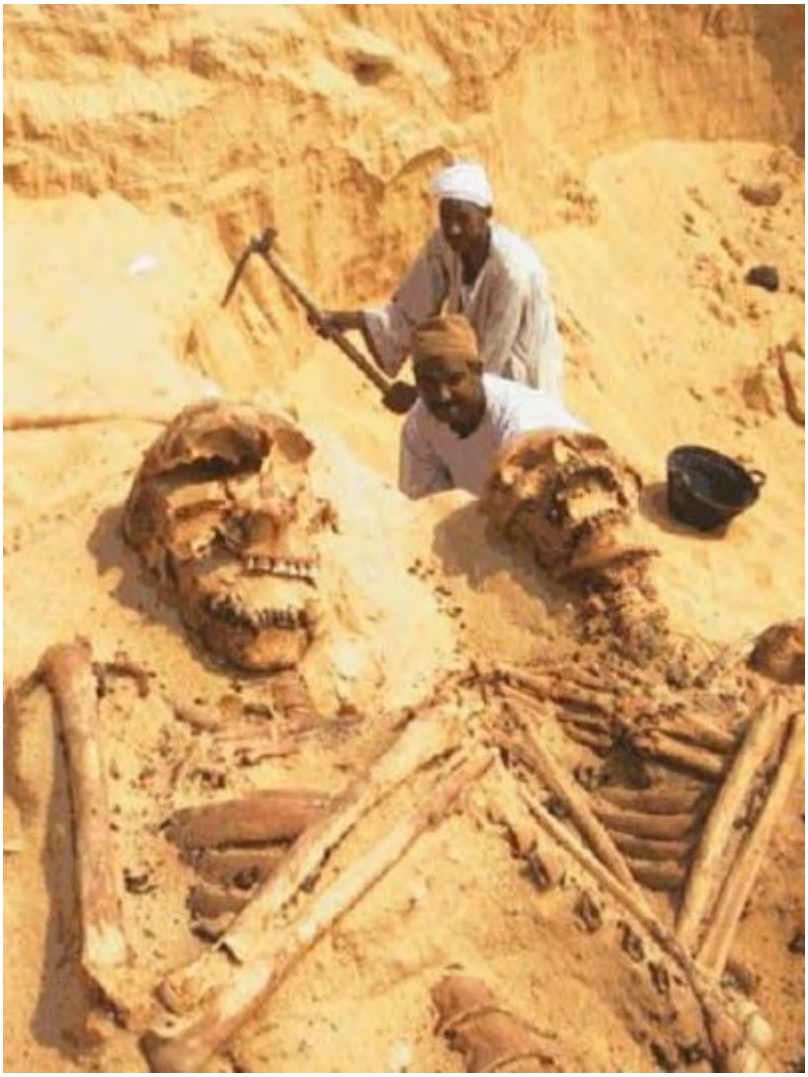

بقايا عمالقة في إحدى المواقع الأثرية المصرية

كلمة أخيرة بخصوص علم الآثار التكويني

أعتقد بأن المعلومات التي جاهد علماء الآثار التكوينيين creationists في إظهارها للعلن كانت مفيدة جداً بحيث ساعدتنا على بناء صورة مختلفة تماماً ساهمت في تحريرنا من وهم الأكاذيب التي يسوّقها الداروينيون خلال اجتهادهم نحو العودة بأصلنا إلى قرود. ووجب الاعتراف بأن الفضل يعود للتكوينيين في كسر قيود الصمت وتحدّي حاجز القمع والإخفاء الذي فرضه الداروينيون لإبقائنا في الظلام طوال هذه السنوات. لكن في الحقيقة، هذا لا يمنعنا من مسائلة التكوينيون حول أمور كثيرة يميلون إلى المبالغة بخصوصها. وأعتقد بأنهم وقعوا في نفس الهفوات التي وقع فيها الداروينيون، أوّلها وأكثرها أهمية هي عملهم على تجاهل الكثير من الحقائق التاريخية وحتى الأثرية التي لا تتوافق مع نظرتهم الخاصة للتاريخ البشري والتي يغلب عليها الطابع الديني. أي أنهم مهما أبدوا من مظهر ثوري ومنفتح في تقديم المعلومات والحقائق الأثرية المقموعة، إلا أنهم بنفس الوقت يجاهدون دائماً إلى الالتزام بما هو مكتوب في الكتاب المقدّس (سفر التكوين/العهد القديم)، وبالتالي يتجنبون أي حقائق أخرى يمكنها أن تفسد القصة التاريخية التي يحاولون بكل ما عندهم، ليس فقط إثبات صحتها، بل المحافظة عليها أيضاً.

والأمر الأكثر عجباً بخصوص أتباع هذا المذهب العلمي المهم والناشط جداً في ساحة المعرفة الإنسانية هو أنهم مهما أبدوا من رجاحة عقل وإلمام واسع بالمواضيع التاريخية والأثرية، إلا أن أحدهم يفاجئك في بعض الأحيان خلال الإجابة على أسئلة تتعلق بمواضيع معيّنة، ***مثلاً:***

ــ إن أي من العلماء التكوينيون، مهما علا شأنه العلمي والثقافي، سوف لن يتردد في الإجابة على السؤال بخصوص ***أصل الحياة*** على الشكل التالي:

".. يقول الكتاب المقدّس بأنه في اليوم الخامس خلق الله وحوشاً بحرية عملاقة ومخلوقات طائرة. ومن المفروض أن يشمل هذا الزواحف العملاقة (الديناصورات) السباحة والطائرة. وفي اليوم السادس خلق الله الحيوانات البرية، ومن المفروض أن يشمل هذا الديناصورات البرية أيضاً. الكتاب المقدس هو واضح وصريح، حيث يؤكّد بأن كل شيء قد خُلق في ستة أيام وبالتالي جاء كل من الإنسان والديناصور إلى الوجود بنفس الوقت. فخلال "ستة أيام" صنع الله السماوات والأرض، البحر وكل ما يحتويه من مخلوقات، ثم ارتاح في اليوم السابع. صحيح أن العلماء يستبعدون هذه النظرة لأصول الحياة، رغم أن بعضهم بدأ يسلّم بوجود "تصميم عاقل" للوجود. ويدعون بشكل خاطئ أن العلم لا يستطيع الأخذ بهكذا تفسيرات ماورائية، رغم وجود العديد من النصوص المذهلة التي تشير بوضوح بأن الكتاب المقدّس هو كلمة الله.."

ــ أما جوابه حول انقراض ***الديناصورات*** مثلاً، فسوف يكون كما يلي:

".. بالنسبة للعلماء التكوينيين، فالجواب سهل وبسيط. كانت الظروف السائدة على الأرض في الأزمنة الأولى مناسبة لازدهار الديناصورات. بعد الطوفان، راحت الأزواج المختلفة من الحيوانات التي حُفظت في سفينة نوح تتكاثر بشكل متفاوت. فهناك مخلوقات أزداد عددها بينما مخلوقات أخرى (مثل الديناصورات) عجزت عن الاستمرار في التكاثر وبالتالي راحت أعدادها

تتناقص. هذه المخلوقات الأخيرة (العاجزة عن التكاثر) لم تنقرض عبر قرون طويلة بعد الطوفان، لكنها تعرّضت للصيد والقتل لأسباب كثيرة إلى أن بقيت أعداداً قليلة منها تعيش اليوم في مناطق نائية.."

رغم الحقائق التاريخية التي ساهم العلماء التكوينيون في إثباتها وإخراجها للعلن بحيث أصبحت تتحدى الداروينيين وتهدد وجودهم، إلا أنه هناك الكثير من التساؤلات التي وجب على التكوينيين الإجابة عليها وتحديد موقفهم منها، ويمكن استخلاصها بالنقاط التالية:

١ــ طالما أن الإنسان كان في مستوى حضاري وروحي متقدم قبل أن يتدهور إلى الوراء، فالسؤال هو: كيف وصل إلى ذلك المستوى الحضاري الرفيع في البداية؟

٢ــ رغم الحقائق الأثرية المذهلة التي تم تقديمها لإثبات صحّة ذلك الماضي المجيد للإنسان على هذه الأرض (وحتى الحياة بشكل عام كانت أكثر ازدهاراً)، إلا أن التكوينيون لم يتطرّقوا حتى الآن إلى موضوع نشوء الحياة أصلاً على هذه الأرض وفق التسلسل المنطقي العلمي الصحيح، حيث لازالوا يصرّون على أنها من صنع الله.. نقطة انتهى! وليس هذا فحسب، بل خلال ستة أيام! جميعنا نسلّم بأن الله هو الخالق دون أدنى شكّ، لكن كيف؟

٣ــ أما فكرة انحدار الإنسان من عرق العمالقة حصراً، فهي فكرة خاطئة أيضاً لأنه في الفترة التي من المفروض أن يعيش فيها العمالقة على وجه الأرض، وجدنا آثار لأعراق قزمة (البيغمي Pygmies) تشير إلى أنها عاصرت العمالقة بنفس الفترة. وطالما كان العرقين معاصران لبعضهما البعض، فمن أي عرق انحدرنا إذاً؟ هذا إذا حصل انحدار أصلاً.

يقول المذهب "التكويني" بأن الحضارة تدهورت إلى الوراء وليس العكس، أي أن الماضي البعيد لم يكن متخلفاً وبدائياً بل كان عصراً ذهبياً من كافة النواحي، التكنولوجية، الروحية، والفكرية. لكن الأمر الذي وجب الإشارة إليه هو أن أصحاب تلك الحضارة القديمة الراقية لم يكونوا عمالقة بل كانوا بشراً مثلنا اليوم، وهذه هي النقطة التي أخطأ فيها أتباع الترجمة الحرفية للعهد القديم (الإنجيليين). فالعملاقة، مهما كانت آثارهم كثيرة ومنتشرة في كافة أرجاء العالم، إلا أنهم كانوا يمثلون مجموعة قليلة، وكان ظهورهم مفاجئاً بنفس طريقة اندثارهم من الأرض. وبالتالي، فالأغلبية تبقى للعرق البشري العادي الذي نألفه، وكافة الآثار تشير إلى هذه الحقيقة. الأدوات، والروايات، والصور، جميعها تشير إلى الإنسان العادي وليس إلى مخلوقات أخرى سادت في الأرض وشكّلت الأغلبية.

٤ــ ماذا عن تلك الكائنات شبه الآدمية التي تم اكتشاف بقاياها في مناطق مختلفة حول العالم، ويتجنّب التكوينيون (وكذلك الداروينيون) الحديث عنها؟ تلك الجماجم الغريبة التي تشبه الإنسان تماماً لولا وجود بعض الخواص التي تميزها عنه، كوجود قرون، أو امتداد الجمجمة بشكل طولي إلى الخلف أو غيرها. من أين جاءت يا تُرى؟

في الحقيقة، هناك الكثير من الأسئلة الأخرى التي وجب على التكوينيين إيجاد أجوبة وتفسيرات مناسبة لها، لكـــن أعتقـــد بـــأن الأسئلة السابقة تكفي لإثبات حقيقة أن منطقهم العلمي ينقصه الكثير قبل أن يرقى لمستوى الكمال. المواضيع التالية التي سنطلع عليها في الصفحات التالية تعبّر عن التساؤلات المطروحة سابقاً.

عرق البيغمي

العالم الصغير

الجماجم الغريبة

أصل الحياة على الأرض

عرق البيغمي
Pygmies

القصد هنا ليس الأقزام الذين نألفهم بشكل عام، أي تلك الظواهر الفردية النادرة التي تحصل بين الحين والأخرى في كل مجتمع وعرق، وهذه حالات مرضية تصيب ما يقارب ثلاثة أشخاص بين كل مليون، وتُسمى "خلل في النمو" growth disorder والذي يسبب عدة اختلالات في حجم وشكل الجسم مما يعيق النمو بشكل طبيعي.

رجل قزم مُصاب بحالة خلل في النمو (تشوّه خلقي)

أنا لا أتحدث هنا عن ذلك النوع من الحالات الفردية، بل عن أعراق بشرية بكاملها. هذه النوعية من البشر الأقزام ليست مصابة بـ"خلل في النمو" (تشوّه خلقي) بل أجسامها متناسقة تماماً كما البشر العاديين، لكن الفرق الوحيد هو أنهم ***صغار الحجم***، أي لا يتجاوز معدّل طولهم ١,٤٥متر (ذكور) و١,٣٣متر (أناث).

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

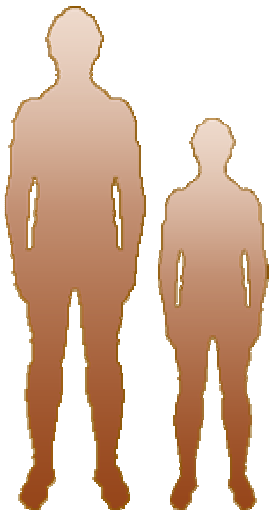

أجسام "البيغمي" متناسقة تماماً كما البشر العاديين، لكن الفرق الوحيد هو أنهم أصغر حجماً

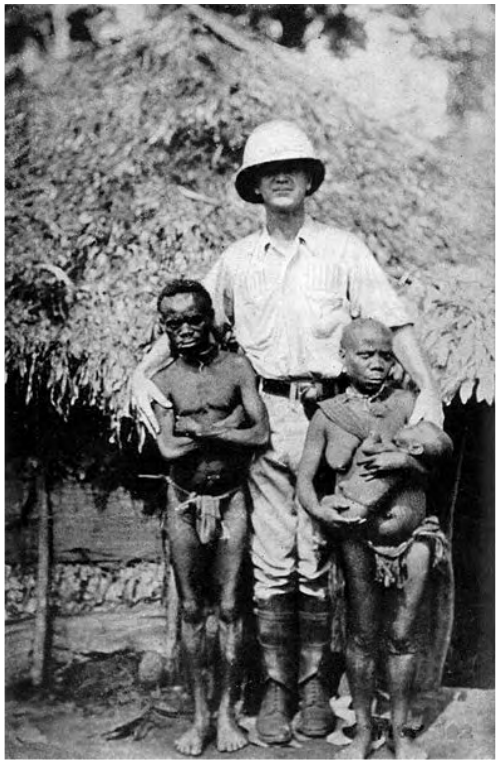

رجل وامرأة من البيغمي، مع أحد المستكشفين الأوروبيين

في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، يُعتبر إنسان "البيغمي" Pygmy فرداً من قبيلة أو شعب يتصف بصِغر القامة. وفي هذا العصر، لازالت مجموعات "البيغمي" البشرية موجودة في مناطق كثيرة حول العالم وليس فقط في أفريقيا. وبالطبع، ليس جميعهم سود البشرة، فهناك شعوب من "البيغمي" لازالت تعيش في أجزاء متفرقة من آسيا، مثل شعب الـ"أيتا" Aeta في الفيليبين، والـ"سيمانغ" Semang في مالايا، والـ"ماني" Mani في تايلند، و قبائل الـ"أندامان" Andamanese في مجموع

جزر أندمان شرقي الهند، والـــ"رامباساسا" Rampasasa في جزيرة فلوريس، وقبائل كثيرة أخرى على شفير الانقراض تعيش في جبال غينيا الجديدة أو في مجموعة جزر "فانواتو". وما يثر العجب هو وجود بقايا عرق مـــن "البيغمـــي" فـــي أســـتراليا، انقرضت تماماً من تلك البلاد في منتصف القرن العشرين، ليس هذا فحسب، بل اختفوا تماماً من ذاكرة الأستراليين أيضاً لدرجة أن الجيل الحالي يجهل تماماً وجود هؤلاء البشر في أستراليا في إحدى فترات التاريخ. هناك الكثير مـــن الـــشعوب والقبائـــل الأخرى من "البيغمي" وسوف نتعرّف عليهم خلال سرد المواضيع بالتسلسل.

نساء وأطفال من قبيلة الـــ"ماني" Mani في تايلند، يقف بينهم رجلين عاديين

امرأة عادية تقف بجانب امرأة من شعب الـــ"أيتا" Aeta في الفيليبين

رجل يمشي بين أفراد قبيلة الـــ "خوي سان" Khoi-San في جنوب أفريقيا

يُعتقد بأن "البيغمي" هم أوائل سكان القارة الأفريقية. هذا ما تشير إليه الدلائل الأثرية على الأقل. وقد ورد ذكرهم في الكثير من المراجع التاريخية القديمة، حيث وُجدت صوراً لهم محفورة على قبر المستكشف الفرعوني "هاركوف" Harkuf الذي عاصـــر الملك الفتى "بابي الثاني" Pepi II في مصر القديمة. مع نصّ مُقتبس من مخطوط أرسله الملك "بابي الثاني" إلـــى "هـــاركوف" (حوالي ٢٢٥٠ ق.م) يصف الملك بهجته الكبيرة بعد معرفة أن "هاركوف" سيجلب له "رجل صغير" بعد عودته مـــن الرحلـــة الاستكشافية في الجنوب. وهناك مراجع فرعونية أخرى تذكر "البيغمي" الذي جُلب إلى مصر خلال حكم الملك "إيساسي" Isesi الذي حكم بعد "بابي الثاني" بقرنين تقريباً.

هؤلاء ليسوا أطفالاً، بل رجال ونساء وصغار قبيلة الـــ"المامبوتي" Mambute من وسط أفريقيا.

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 252559-16-963+ contacts@sykogene.com

ورد ذكر "البيغمي" في الكثير من كتابات الإغريقي "هومر" Homer و"هيرودتس" Herodotus و"أرسطو" Aristotle. وفي الحقيقة، فإن الكلمة "بيغمي" Pigmy التي هي كلمة لاتينية في الأصل (Pygmae)، تعود للكاتب الإغريقي "هومر" في الأساس، والذي استخدمها في ملحمة الإلياذة لوصف عرق من الأقزام الذين سكنوا الجنوب الأقصى. والكلمة Pigmy تُستخدم عند الإغريق كوحدة قياس، حيث تساوي المسافة بين مرفق اليد ومفاصل الأصابع. ذكر "هومر" بأن هؤلاء الرجال الصغار لا يتجاوز طولهم ٣ بيغمات *Three-Span Pygmae*. وأضاف متحدثاً عنهم:

"..بُلغ بأنه في فترة الربيع تقوم مجموعات منهم بالركوب على ظهور كبوش الخرفان وأناث الماعز، مسلحين بالأقواس النشابة، ويتوجهون نحو السواحل ويأكلون بيوض طيور الغرنوق crane والدجاج، وهذه الحملة تستغرق ثلاثة شهور فقط، حيث إن بقوا هناك فسوف لن يستطيعوا حماية أنفسهم من أسراب الغرنوق بعد أن تكبر.."

لقد كتب "أرسطو" عن "البيغمي" أيضاً، قائلاً بأنهم جاؤوا من البلاد الواقعة جنوبي مصر حيث مصدر نهر النيل. أضاف مؤكداً بأن "البيغمي" ليس شعباً خرافياً من نسيج الخيال، بل هو عرق حقيقي من الأقزام البشرية. حتى أن خيولهم التي يركبوها هي صغيرة الحجم بالنسبة للخيول الأخرى. ويسكنون على الأغلب في الكهوف والحفر تحت الأرضية.

رجال ونساء من قبيلة الباتوا" Batwa (جنوب الكونغو)

بقيت الروايات التي تتحدث عن "البيغمي" مجرّد أساطير خرافية ليس لها أساس واقعي لفترة طويلة من الزمن حتى جاء عصر الاكتشافات حيث بدأ الرحالة والمستكشفين يعودون بتقارير مشاهدات ومقابلات مع هذه النوعية البشرية المثيرة للجدل. أما الاهتمام العلمي بهذا الموضوع، فبدأ في القرن التاسع عشر حيث كانت المشاهدات تتم من قبل مستكشفين أكاديميين، وأوّل المشاهدات التي نالت الاهتمام الرسمي حصلت في العام ١٨٧٤م، على يد أحد المستكشفين الألمان.

لقد شهدت أواخر القرن التاسع عشر الكثير من حملات أسر للبيغمي القاطنين في أفريقيا، حيث كانوا يُجلبون ويُعرضون للعامة في المتاحف والمعارض المختلفة، وحتى حدائق الحيوانات حيث كان بعضهم يُوضع في أقفاص.

رجال ونساء من قبيلة الـــ"باكا" Baka (من غابات الكامرون)

إن المعاملة غير الإنسانية التي تلقاها هؤلاء من قبل المستكشفين الأوروبيين لم تكن حالة جديـــدة علـــيهم، فغالبـــاً مـــا كـــانوا (ولازالوا) يتعرضون لأبشع معاملة على يد جيرانهم من البشر العاديين والذين يعتبرونهم نوعية متدنية من البشر. هنـــاك مـــن يعاملهم كما الحيوانات تماماً. لهذا السبب نرى أن هذه النوعية البشرية، مهما كانت البلاد التي وُجدوا فيها حول العالم، تـــسكن في المناطق الموحشة، كالأدغال الكثيفة والخطرة أو الجزر الصغيرة النائية، حيث يفضلون العيش مع الوحوش الضارية علـــى أن يجارون الإنسان العادي. فهم يستطيعون في تلك الظروف القاسية أن يحافظوا على ممارسة عـــاداتهم وتقاليـــدهم الخاصـــة بحرية. هذه النوعية من البشر أصبحت شبه منقرضة أو منقرضة تماماً في معظم أنحاء العالم. غالباً ما كـــان الـــسبب نتيجـــة للهجرات البشرية التي كانت تحتل مواطنها وتدفعها إلى العيش في المناطق المعزولة. ففي أفريقيا مثلاً، كان عـــرق "البيغمـــي" سائداً في معظم المساحة التي تغطي وسط وجنوب أفريقيا، لكنه الآن بالكاد يجد لنفسه مكاناً فـــي الأدغـــال الموحـــشة بـــسبب الاختفاء التدريجي، ذات الوتيرة السريعة، للغابات التي تُقطع على نطاق واسع من قبل الإنسان المتحضّر.

على طريق الانقراض

تشير المراجع التاريخية العديدة في كل من اليابان والصين وفيتنام وكمبوديا واندونيسيا والتي تذكر هذا النوع من البشر إلى أن قبائل "البيغمي" كانت مزدهرة في تلك البلاد الآسيوية في إحدى فترات التاريخ. والذي يؤكّد هذه الحقيقة التاريخية هـــو وجـــود بقايا نادرة جداً منهم في بعض هذه البلدان. فمثلاً، هناك بقايا قبيلة الـــ"تارون" Taron المنعزلة في جبال "بورما" (مينمار حالياً) النائية.

أفراد من قبيلة "التارون" شبه المنقرضة القاطنة في جبال "مينمار" (بورما). الصورة على اليمين تمثّل أحد الصيادين، لا يتجاوز طوله ١,٢ متر. الصورة على اليسار تعبّر تلقائياً عن حجمهم بالمقارنة مع الإنسان العادي.

لقد فضّل هذا الشعب الصغير أن يعزل نفسه عن باقي المجموعات البشرية بسبب الاضطهاد الوحشي الذي تعرض لـــه عبـــر التاريخ. كانوا يتعرّضون للأسر والحجز في أقفاص كما الحيوانات، ومن ثم يُباعون في الأسواق الشعبية كحيوانات أليفة ليلعب بهم الأطفال، وبالإضافة إلى أعمال شاقة أخرى تفوق طاقة تحمّلهم.

فتاة من إحدى قبائل "البيغمي" التي لا زالت تعزل نفسها عن أي تواصل مع الخارج، والموجودة في جزيرة "أندامان" Andamans الواقعة شرقي السواحل الهندية. الأمر المثير بخصوص هذا النوع من البشر هو الشكل الغريب الذي تتميّز به أجسامهم (كما يظهر في الصورة) وهذه الميزة غير موجودة في أي مكان آخر على وجه الأرض. والمصطلح العلمي الذي يشير إلى هذه الحالة الجسدية (المنتفخة) هو Steatopygia. لقد بقي هذا الشعب (العدواني) معزولاً تماماً عن البشر حتى العام ١٨٥٨م حيث تم اكتشافهم من قبل البحرية البريطانية.

أحد المحاربين من قبيلة "البيغمي" التي ازدهرت يوماً في "غينيا الجديدة"، والتي أصبحت منقرضة تماماً اليوم. هذه الصورة مأخوذة في العام ١٩٢٢م، خلال حملة استكشافية أمريكية/هولندية إلى الجزيرة.

رجلين من المحاربين "البيغمي" مع أحد المستكشفين الغربيين

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

ذاكرة أستراليا الضعيفة

بين الأربعينات والستينات من القرن الماضي، كان شائعاً على نطاق واسعة وجود "البيغمي" في أستراليا. لقد عاشوا في الأدغال الكثيفة شمال "كوينزلاند" Queensland وراحوا يتسرّبون من تلك المناطق الموحشة مستهدفين الإرساليات التي تتمركز في تلك المنطقة النائية. هذه حقيقة تاريخية مسجلّة ومعروفة جيداً في تلك الفترة، حيث ليس فقط علماء الأنثروبولوجية يعرفونها بل كانت أخبارهم تملأ المجلات والصحف الشعبية أيضاً. أما الصور التي التُقطت لهذه النوعية البشرية المميزة في أستراليا، فكانت منتشرة جداً في الأدبيات الشعبية والأكاديمية على السواء.

صورة لقبيلة من البيغمي الأسترالية، مأخوذة في العام ١٨٩٠م. طول الفرد منهم لا يتجاوز ١,٢ متر.

أما اليوم، فقد انقرض عرق "البيغمي" الأسترالي تماماً دون أن يترك أثر. يبدو أن هذا المصير كان متوقعاً حيث الأمر ذاته حصل ولازال يحصل مع كافة شعوب "البيغمي" حول العالم، وبالتالي فهو ليس أمراً مفاجئاً. لكن الأمر الذي يدعو ليس للمفاجأة فحسب بل للصدمة، هو أن "البيغمي" الأستراليين اختفوا تماماً من الذاكرة الأسترالية العامة، وكأنهم لم يكونوا موجودين أصلاً.

بعد عملية استطلاع أجراها الباحثين "كيث ويندشوتل" و"تيم غيلين" على نطاق واسع، تبيّن أن معظم الذين تم سؤالهم، ومعظمهم من المثقفين والمتعلمين، لم يسمعوا بوجود "البيغمي" في أستراليا من قبل. وهناك من سخر من هذا السؤال واستبعد هذه الحقيقة تماماً! لكن بعد أن شاهدوا ذلك الكم الهائل من الصور التي جمعها الباحثان من الأرشيف الأسترالي الزاخر بها، أصيب الجميع بالصدمة.

أحد رجال قبائل "البيغمي" الأسترالية، يقف بجانب أحد أعضاء إرسالية متمركزة في شمال كوينزلاند والتي نشأ فيها. صورة مأخوذة في العام ١٩٣٨م.

هل من الممكن أن تكون ذاكرة كافة شعوب العالم لأخرى مُصابة بالضعف ذاته الذي يعاني منه الأستراليون؟ هل يُعقل أن "البيغمي" كانوا موجودين في إحدى الأيام بين كافة شعوب العالم، الأوروبي والشرق أوسطي والهندي الأمريكي.. وغيرها من مجتمعات خالية من وجودهم اليوم؟ صحيح أننا لا نستطيع الإجابة على السؤال السابق بيقين، ذلك لانعدام الإثباتات، لكن ما لدينا من معلومات عن شعوب "البيغمي" الموجودة حول العالم اليوم يكفي ليجعلنا نطرح السؤال المهم التالي:

من أين جاءت هذه النسخة طبق الأصل للكائن البشري، لكن بحجم مُصغّر؟!

ربما هذا السؤال يبدو غير مكتمل إذا أهملنا جانب آخر للموضوع، حيث ليس هناك فقط بشراً صغار، بل عالم حيوان بكامله ***صغير!*** وبعد الاطلاع على الحقائق التالية، سوف نعيد صياغة السؤال ليشمل ما سنعرفه من معلومات جديدة.

العالم الصغير

هناك الكثير من الظواهر التي تتحدى المفاهيم الداروينية ونظرية التطوّر البالية التي يت تسويقها حول العالم. أهمها هي تلك الحقيقة العجيبة المتمثلة بوجود نسخات مُصغّرة لمُعظم الكائنات الحية في العالم: حيوانات، نباتات، بشر. وفي الحقيقة، إن التعتيم الإعلامي على موضوع شعوب "البيغمي" حول العالم ليس أمراً عفوياً، بل أعتقد بأنه عمل مُدبّر ومقصود من قبل الداروينيين المسيطرين على عالم المعرفة، ذلك لأن هذه الظاهرة البشرية ستوقع نظرية التطوّر في أزمة كبيرة جداً هي بغنى عنها الآن.

الحقائق التي سأوردها فيما يلي، وبشكل سريع، لازالت تُعتبر ظواهر معزولة، مُبعثرة هنا وهناك دون وجود أي رابط يجمـــع بينها. لكن بعد جمعها في مكان واحد، تشكّلت صورة غريبة عجيبة عن الطبيعة المحيطة بنا، مما سيدفعنا إلى سؤال كبيـــر لا يمكن تجاهله وسوف أختم به هذا الموضوع.

الفيل القزم

الحصان القزم

الماعز القزم

فرس النهر القزم

القرد القزم marmoset

القنفذ القزم

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

وطاويط قزمة بحجم الصراصير

حرباء قزمة لا يتجاوز طولها ٣ أو ٤ سم

سنجاب قزم طوله ٥ سم دون الذيل

سلحفاة قزمة لا تتجاوز ٤ سم

ضفدع قزم لا يتجاوز حجم الأظفر

فأرة البوسيوم قزمة

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

آكل النمل قزم (٨ سم)

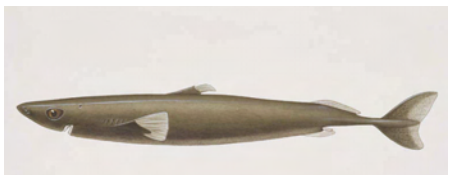

سمك القرش قزم

خنزير برّي قزم (بحجم الفأرة)

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

إوزّة أفريقية قزمة (طولها ٦سم)

بومة قزمة

قرد التازير Tarsier قزم

سرطان قزم (طوله واحد سم)

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

قرد السلوث قزم (٦سم)

أفعى أمريكية سامة جداً لا تتجاوز ٠,٥ سم!

أشجار قزمة

شجرة *Peucephyllum* قزمة

شجرة *Yatsubusa* قزمة

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

شجرة الكاراغانا caragana، إحدى الأشجار القزمة العديدة التي تشتهر بها اليابان

شجرة البلح القزمة

الكائنات الواردة في الصفحات السابقة ليست سوى عينات من هذا العالم الصغير الواسع الانتشار حول العالم. والحديث عنها يطول ويطول، لكن اعتقد بأن الفكرة قد توضّحت. وجب العلم بأنها ليست ظواهر منفردة، بل تمثّل فصائل قائمة بذاتها، وهذه هي النقطة المهمة هنا. لماذا يا تُرى هناك نسخات مُصغّرة لمعظم (أو كلّ) الكائنات حول العالم؟ وهناك أمر آخر يمكن ملاحظته، وهو وجود تفاوت في درجة الصغر بين الفصائل المختلفة. ربما كان هناك تدرّج في الأحجام (في كل نوع وفصيلة) من الأكبر إلى الأصغر.

بعد تعديل السؤال المطروح في نهاية الموضوع السابق، سوف يبدو على الشكل التالي:

من أين جاءت هذه النسخات طبق الأصل لمعظم الكائنات الحيّة حول العالم، لكن بأحجام مُصغّرة؟!

هل هو عامل الصدفة كما يزعم الداروينيون؟ أم هناك سبب آخر لوجودها على وجه الأرض؟ قبل محاولة وضع إجابة مناسبة لهذا السؤال، هناك الكثير مما وجب معرفته.

كائنات شبه آدمية من نوع آخر

لقد تعرّفنا في المواضيع السابقة على عينات من الاختلافات البشرية من ناحية الحجم، حيث اطلعنا على حقيقة وجـود تفـاوت كبير في الأحجام التي تميّزت بها الأعراق البشرية. أما المواضيع التالية، فسوف تتناول الاختلافات في الشكل. أنـا لا أقـصد ذلك الاختلاف الذي أظهرته جماجم أشباه القرود (والتي يحاولون إنسابها إلى أسلاف الإنسان)، بل القصد هنا هو تلك الجمـاجم الغريبة التي تشبه الإنسان تماماً لولا وجود بعض السمات التي تميزها عنه، كوجود قرون، أو امتداد الجمجمة بشكل طولي إلى الخلف أو غيرها من مظاهر سوف نعرضها بالتفصيل.

صورة الجمجمة في الأعلى ظهرت للعلن بين العشرينات والأربعينات من القرن الماضي، حيث يُزعم بأنها اكتُشفت في فرنسا. لم يكشف الفحص الدقيق الذي خضعت له من قبل الخبراء عن تزوير من أي نوع. لقد اختفت هذه الجمجمة من الساحة بـشكل مريب، كما هي الحال دائماً مع هكذا ظواهر، فنسيها الناس كالعادة. هذه الجمجمة ليست الوحيدة، بل هناك عـدد كبيـر مـن الجماجم المنتمية لذات النوعية. والأمر المثير هو أن جميعها تختفي من الساحة بطريقة مريبة مما يجعلنا نصدّق بوجود أجنـدة خفية تهدف لإخفائها. لقد ذكرت في موضوع "العمالقة" إحدى المناسبات التي اكتُشفت فيها بقايا عظمية بشرية يبلـغ طولهـا ٧ أقدام وكان للجماجم قروناً بارزة منها وعلى مسافة ٢ بوصة فوق الحواجب. وتم تسليمها لإدارة متحف فيلاديلفيا، لكن العظـام اختفت بعدها دون أن تترك أثراً. كما اكتُشف هيكلاً عظمياً مع جمجمة ذات قرون جنوبي "ألميرا" Elmira، نيويورك. ذلك فـي أواسط القرن التاسع عشر. وفي نفس الفترة تقريباً (أي أواسط القرن التاسع عشر) نُبش هيكلاً عظمياً في إحدى المناجم في "أل باسو" El Paso في تكساس.

لقد ذكرت سابقاً أن القرن التاسع عشر شهد عدد كبير من الاكتشافات العظمية الغريبة، ومعظمها تم توثيقه في تلك المرحلـة، لكن الأمر الذي يدعو للعجب هو اختفائها تماماً من الذاكرة البشرية! وهذا أمر مريب بالفعل.

الأمر المثير بخصوص هذه النوعية من "أشباه الإنسان" هو إمكانية وجود صلة بينها وبين ذلك المُعتقد العريق الذي ساد عبر التاريخ والذي ينسب الحكمة والتنوّر بوجود قرون على الرأس! وأحياناً تُنسب القرون إلى السلطة والقوة. هذا ما زعم به الكثير من المفكرين خلال تناول هذا العرق البشري الغريب. وهناك من فسّر عملية تصوير القرون على رأس الإسكندر الأكبر تيمناً بهذا العرق "شبه الآدمي" الذي تميّز بخواص استثنائية.

الإسكندر ذو القرنين

الأمر لا يقتصر على شخصية الاسكندر، بل على عدد كبير من الشخصيات التاريخية، والتي غالباً ما تُعتبر مقدّسة أو تنتمي إلى سلالة ملكية أو حتى إلهية معيّنة. ربما بدأ يتوضّح السبب الذي جعل فنان عصر النهضة المشهور "مايكل أنجلو" Michelangelo يصوّر أحد شخصيات العهد القديم (الكتاب المقدّس) وكأن له قرون بارز على رأسه.

تمثال أحد الشخصيات المقدسة في العهد القديم، كما يصوّره مايكل أنجلو

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

وربما هذا هو السبب الذي يجعل مُعظم السحرة والشامانيين حول العالم يرتدون على رؤوسهم أقنعــة ذات قــرون، أو حتــى جماجم حيوانية لاه قرون، خلال إقامة طقوسهم وشعائرهم السحرية. كان الاعتقاد سائداً بأن ارتداء قرون على الــرأس يمكّــن الساحر من أن يستمدّ طاقة روحية استثنائية لإنجاز مهمته السحرية.

أحد الأقنعة الطقسية التي يستخدمها الشامانيون في جنوب أفريقيا.

تذكّر أن كل ما سبق هو مجرّد افتراضات، حيث ربما لا يوجد أي صلة بين كل هذه الأشياء المذكورة. لكن هذا لا يمنع وجود رمزية مميّزة للقرون على الرأس لدى كافة الحضارات القديمة. هذه الخاصية التي طالما رغــب الملــوك والــسحرة وحتــى الشخصيات المقدسة أن يُنسبونها لهم، ذلك من خلال وضع تيجان أو أقنعة أو غيرها من أشياء ترمز لوجود قرون على الرأس.

.....

يبدو أن هذا ليس كل شيء، حيث هناك عدد كبير من الجماجم والبقايا شبه الآدمية الغريبة التي لا تتوافق مع ما نألفه بخصوص أصول الإنسان. والصفحات التالية تكشف عن بعض العينات منها.

جماجم غامضة تعود لعصور غابرة

لماذا نستبعد حقيقة وجود كائنات آدمية ليس لها علاقة بالقرود في الوقت الذي تحتوي فيه الكثير من المتاحف حول العالم على جماجم شبه آدمية تشير إلى هذه الحقيقة؟.. تم اكتشاف هذا النوع من الجماجم في مناطق مختلفة حول العالم.

من أجل دعم معلوماتنا بخصوص هذا الأمر بالمزيد من الحقائق التي أظهرتها الاكتشافات الأثرية والدراسات العلمية التي أجريت لها، سوف أذكر عيّنة من بين عشرات الدراسات الاستثنائية تلك. سأتناول مجموعة متنوعة من هذه الجماجم الغريبة والتي خضعت لأبحاث مختلفة بالإضافة إلى الجدل الواسع الذي أثارته بخصوص أصولها الغامضة وسبب وجودها. حيث أنه، وفقاً للنظرة العلمية الرسمية (الآخذة بنظرية أصل القرود)، من المفروض أن لا تكون هذه الأشياء موجودة أصلاً.

تذكروا أننا هنا نبحث عن الحقيقة ولسنا بصدد فرض فكرة على حساب أخرى، كما يفعل العلم المنهجي. لذلك، من الواجب على كل باحث أصيل عن الحقيقة أن يقبل بالحقائق المذكورة هنا وأن يأخذها بعين الاعتبار. تذكّر أن المعلومات التالية قد تبدو غريبة وغير واقعية، ليس لأنها غير صحيحة أو غير حقيقية، بل لأنها غريبة عن ***المنطق المألوف*** الذي يحكم عقولنا.

جماجم بشرية غريبة

لقد تم اكتشاف عدة جماجم مكوّنة بشكل غريب في المكسيك والبيرو. كما اكتشف مجموعات أخرى حول العالم، ولكن هذه هي المرة الأولى لتعدد أنواع الجماجم ضمن مساحة صغيرة (وهي منطقة باراكاس Paracas في البيرو) والتي تم فحصها وتصنيفها. فبعض الجماجم مميزة بشكل كبير، كما لو أنها تنتمي كليا إلى سلالات مختلفة، مع أنها بنفس الوقت مشابهة بشكل كبير لعرق البشر Homo genus.

الكثير من الناس يفترضون بأن هذه الجماجم "المخروطية" تمثل حالة ربط الرأس، وهي عادة (تقليد شعبي) كانت معروفة جيداً في منطقة النوبة في مصر وبعض الثقافات الأخرى في أفريقيا وأمريكا الجنوبية وآسيا. ولكن علماء الإنسان أقروا بأن شكل الجماجم المكتشفة في البيرو لا تشبه الجماجم المشوهة بواسطة الرباط.

إن أي ادعاء بأن ما تمثله هذه العينات هو ببساطة عيوب خلقية أو حالات مرضية لا يمكن دعمه بالدليل المادي. ومن الضروري أيضاً أن نتذكر أن أي نمو مرضي للقحف أو الجمجمة له مضاعفات رهيبة على الشخص المصاب به في المرحلة المبكرة من نموه عملياً وبدون استثناء. فالطبيعة غير متسامحة في مثل هذه الحالات وجميع العينات التي عرضت هنا هي لأشخاص طبيعيين.

الشكل الطولي للجمجمة طبيعي وليس ناتج من تشويه خلقي أو صناعي

يعود أقدم تاريخ تذكره الكتب لظهور الإنسان في أمريكا الشمالية إلى ٣٥٠٠٠ عام قبل الميلاد وإلى أبعد من ذلك التاريخ في أمريكيا الجنوبية بناء عل فرضيات نظرية الانتشار البشري. وليس من الممكن إلا للكائنات البشرية ذات التشريح الجسدي الحديث أن تعيش في البيرو بشكل مريح. ولذلك فهذا النوع من الجماجم الغريبة يجب أن لا يكون موجوداً أبداً. أما الجمجمة ذات الشكل المخروطي الرأس conehead (كما في الصور السابقة) فهي نادرة جداً بسبب الشكل القحفي لها. وهنا لدينا ثلاث عينات، والتي تستبعد إمكانية التشوه أو العيوب الخلقية الصناعية أو الحادث العشوائي (فالعيوب أو التشوهات الموجودة في مصر النوبية التي ذكرتها سابقا لها عدد من الأشكال المختلفة). هذه الجماجم الغريبة لديها ميزات فردية ضمن مجال التشكل العام. ومما لاشك فيه هو أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً وربما تمثل فرعاً مميزاً للجنس البشري Homo genus، إذا لم تكن سلالة

مختلفة تماماً. في ما يلي عينتين مختلفتين من نوع آخر لهذه الجماجم والتي تحوز على خواص وأشكال مختلفة، يُشار إليهما بالنوع **[ج]** "J" Type والنوع **[م]** "M" Type.

النوع [ج]

"J" Type

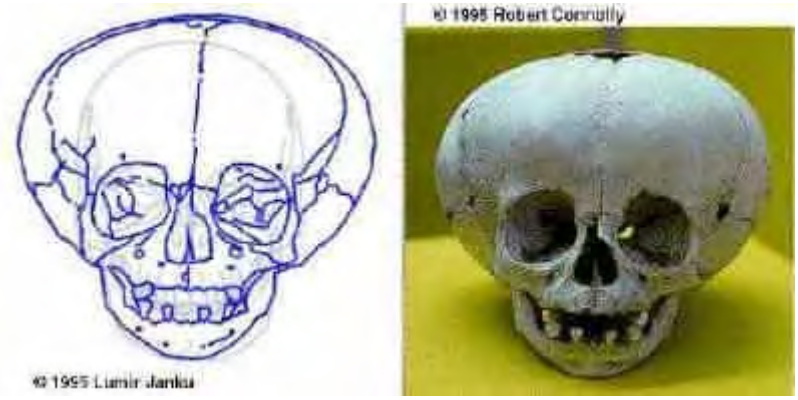

يمثّل النوع "جي" من هذه الجماجم مجموعة جديدة من المشاكل والتساؤلات. فهو معادل للنوع الحديث للجمجمة في جميع النواحي، مع وجود عدة عوامل فقط خارج هذا التلاؤم. فحجم محاجر العيون أكبر قليلاً حيث تبلغ ١٥% أكبر من حجم البشر حالياً. ولكن ما هو أهم من ذلك هو ضخامة العقد القحفي، حيث تتراوح السعة القحفية بين ٢٦٠٠ سي سي م إلى ٣٢٠٠ سي سي م. ومرة أخرى فإن عمر العينة غير معروف وحسب علمي لا وجود لعينات أخرى من هذا النوع.

النوع [م]

"M" Type

نوع "أم" هو جماجة غير كاملة، بالنسبة للقسم الأسفل من الجمجمة. ومما يظهر من بقية القسم الوجهي للجمجمة هو أن الميزات تندرج بالكامل ضمن مجال الجمجمة البشرية العادية. ومن جهة أخرى فإن القوس أو العقد القحفي هو الأكبر بين جميع العينات المعروضة. كما أن الفلقتين النافرتين هي شديدتي الشذوذ. ويمكن تقدير السعة القحفية لها بدرجة فوق ٣٠٠٠ سي سي أم.

كلا النوعين (جي) و (إم) يدلان على استحالة بيولوجية حقيقية. والتفسير الوحيد الذي يمكن تصوره لهذه العينات هو أنها قد ولدت بشكل طبيعي (في حال قدرة هذه السلالة الغريبة على تمديد فترة النمو قبل مرحلة البلوغ إلى ما بعد مجال النوع الحديث للجماجم البشرية لكي تنمو إلى هذا الحجم) وذلك يمكن أن يعني أن فترة حياة هذه العينات ربما يكون أطول من متوسط حياة النوع الحديث للجماجم البشرية.

.....

هل يُعقل أننا نتحدث عن كائنات شبه آدمية ذات أصول فضائية؟!.. لكن بنفس الوقت، إذا لم تأتي من خارج الأرض، فمن أين جاءت إذاً؟

في الحقيقة، هناك الكثير من المسائل التي وجب توضيحها، كما أن هناك بعض الحقائق التي وجب معرفتها قبل السير قدماً نحو تناول هذا السيناريو الغريب بالنسبة لمعظمنا. هو ليس غريب فحسب، بل منبوذ أيضاً.. حتى أنه يدعوا للاشمئزاز لدى الأغلبية. لكن تريثوا قليلاً، واطلعوا على الحقائق المُقدمة هنا قبل إصدار أي حكم مسبق على الموضوع. قبل الدخول إلى الموضوع التالي من بابه الواسع، سوف أورد قضية مهمة شغلت العلماء لفترة من الوقت (ولازالت تثير جدلاً واسعاً) تتمثّل باكتشاف غريب قدمه الباحث "لويد باي" Lloyd Pye للعالم متحدياً به المنطق العلمي الرسمي بخصوص أصول الإنسان. سوف أذكر المقالة التالية كما ظهرت في المرجع الأساسي، وبعدها سنناقش ما ورد فيها، كما سنتعرّف على الباحث "لويد باي" بالتفصيل.

.....

جمجمة "طفل النجوم"

في عام ١٩٣٠، وفي قرية ريفية صغيرة تبعد ١٠٠ ميل إلى الجنوب الغربي لمدينة شيهوواهوا Chihuahua، في المكسيك، وخلف نفق تابع لمنجم قديم، وجدت بقايا غامضة لهيكلين عظميين بشريين أحدهما كامل والأخر صغير وغير طبيعي. وفي أواخر شباط من عام ١٩٩٩، كان "لويد باي" Lloyd Pye أول من اكتشف هذه الجمجمة الغريبة وأخضعا لفحوصات واختبارات عديدة تثبت أصليتها قبل أن يستعرضها للعالم (من خلال نشر كتابه المشهور: "كل ما نعرفه هو خاطئ" Everything You Know Is Wrong). وقد كانت الجمجمة التي لم يطلق عليها اسم في ذلك الوقت جمجمة شاذة بشكل كبير. وقد شعر بأنها ستكشف عن تشويه جيني نادر من نوعه. ولكن تناظر الجمجمة كان مدهشاً (أي أنها ليست مشوّهة جينياً). حتى أنها أكثر تناسقاً من جمجمة الإنسان العادي. وفي الواقع – فقد كانت جميع عظامها – والتي معظمها كان له نظير

بشري– ذات شكل رتيب وجميل. ولكنها مشابهة لماذا؟ وقد مثّل حل العديد من الألغاز التي أثارتها هذه الجمجمة، تحدياً كبيـــراً واجه "لويد باي" والباحثين المهتمين بهذا الموضوع.

مقارنة بين الجمجمة العادية وجمجمة "طفل النجوم"

تدل الدرزات والأسنان الطفولية الموجودة في إحدى أجزاء الجمجمة (الفك العلوي) على أن الوفاة حصل في سن الخامسة. وقد كان قسم من الوجه مفقوداً وهو الجزء الواقع فوق الجسر الأعلى للأنف حتى الثقب الكبير في الجمجمة (وهو الثقب الذي يدخل منه الحبل الشوكي إلى الجمجمة)، ولكن القحف ومعظم تجاويف العيون (الجزء الخارجي من المحجر العيني) كانت سليمة. أما كون هذه الجمجمة عائدة لجنس البشر فهو مشكوك به، لأن عدة مظاهر فيها لا تندرج تحت فئة العيب الجيني (المـــوروث)، أو التشوه الخلقي (بالولادة)، أو التشوه المكتسب (ربط الجمجمة، وهي عادة سائدة بين بعض الشعوب). وقـــد اقتـــرح العلمـــاء أن الدرجة العالية للتشوه الجمجمي الخلقي قد يكون على الأغلب ناتجاً عن الرباط أو العصاب الذي هو عادة معروفـــة وتمارســـه الشعوب غير المتحضرة حول العالم. ولكن هذا الربط لم يمتد تحت النتوء الذي يقع خلف الرأس لأن العنق البشري يبدأ تمامـــاً تحت هذه النقطة. بالإضافة إلى أن ضغط العظام العلوية إلى خارج شكلها الطبيعي تتركها منفصلة بشكل دائم، والتي ينتج عنها منطقة طرية تدوم مدى الحياة وتقع على قمة الرأس. وقد وجد أن جمجمة هذا الطفل مدروزة بشكل جيد (أي لا وجود لمنطقـــة طرية)، هذا يستبعد بالتالي أن تكون التشوهات ناتجة عن ربط أو تعصيب الجمجمة. وبالإضافة إلى ذلك فإن درجـــة التـــسطح الخلفية تمتد إلى ما بعد النتوء الواقع خلف الرأس، والذي جعلها مقعرة قليلا. وهذا يشير إلى أن دوافع قوية، غيـــر الـــربط أو التعصيب، يجب أن تكون السبب وراء التشوه الواسع في قذال الرأس (القسم الخلفي منه).

جمجمة "طفل النجوم"

هجائن مغايرة للبشر

لا زال شائعاً بين الكثير من الباحثين في مجال المؤامرات والمشاريع الحكومية السرّية، أن مخلوقات فضائية قادمة من الفضاء الخارجي، تجري تجارباً واختبارات على البشر بهدف إنتاج هجائن بينها وبين الإنسان. وتم وصف الهجائن الناتجة (المواليد) بأنها تميل إلى كونها أكثر بشرية ولكن مع انتفاخات متصلة في العظام الجدارية في الجمجمة ومحاجر عين سطحية، واختصار في المساحة للقسم الأسفل من الوجه، وعنق رفيع قادر فقط على دعم رأس متوازن بشكل جيد، وآذان أصغر وأدنى (وقد تكون مفقودة كلياً) بالمقارنة مع الآذان البشرية. ويمكن وصف عيون الغرباء الفضائيين بأنها أشكال بيضوية كبيرة سوداء قادرة على ذرف الدموع، وتقع بشكل أفقي عبر وسط الوجه. وفي حال كون دوائر العين هذه تمثّل آلية الرؤيا لديهم، فإن ذلك يناقض أن تكون عينا الطفل (صاحب الجمجمة المكتشفة) تنتمي إليهم. ولكن خلال تشريح أحد المخلوقات الفضائية (ظهر في إحدى الأفلام السرّية المُسرّبة للعلن في الخمسينات من القرن الماضي)، وجد أن له عيون معيارية حيث قام الطبيب الذي كان يجري التشريح برفعهما ورأى لونها أسود وفيهما غشاء مرن يشبه عدسات العيون الكبيرة. وتحت هذه العدسات توجد عيون فيها بياض كبير المساحة يحيط بحدقة سوداء. وهذه العيون تتناسب تماما مع المحجرين المختصرين لجمجمة الطفل المكتشفة.

أساطير مخلوقات النجوم

هذه أساطير معروفة جيداً ومنتشرة بين سكان أمريكا الجنوبية والوسطى، وقيل أن هذه الحالة (الغزو الفضائي والتهجين مع البشر) استمرت لمدة قرنين من الزمان أو أكثر (منذ زمن سحيق)، وتقول هذه الأساطير أن مخلوقات من النجوم، بدأت تتردد بشكل منتظم من السماء ويقومون بتلقيح النساء في القرى البعيدة المنعزلة. حيث تحمل هؤلاء النسوة "أطفال نجوم" إذا صح القول. ثم يقومون بتربيتهم حتى سن السادسة تقريباً. وفي ذلك التاريخ تعود ***المخلوقات النجمية*** لاستعادة ذريتهم وينقلونهم إلى أماكن أخرى ولأهداف لم تكن واضحة في الأساطير، رغم أن تحسين الجينات البشرية قد ذكر على أنه أحد الدوافع وراء عمل هذه المخلوقات.

الاستنتاج

الموقف العلمي الرسمي:

ــ إن علم الأمراض والجينات أو علم التشوهات أو العيوب الخلقية هو ملجأ التفسير العلمي التقليدي لأي جمجمة آدمية شبيهة بالجمجمة البشرية أولا تتناسب كلياً مع قالب الجمجمة العادي. هذا هو دائماً رأي العلماء المنهجيين الذين يرفضون الخروج عن الحدود التي رسمتها لهم الأكاديميات الرسمية.

ــ في الحقيقة فإن العيوب النادرة وفريدة من نوعها قد تكون التفسير الممكن للاضطرابات أو الانحرافات الواضحة التي ظهرت على الجمجمة المكتشفة. ففي حالة عدم وجود أي إثباتات تدعم قصة أخرى، فإن العلم التقليدي سوف يصرّ على أن الجمجمة قد نتجت عن لاشيء أكثر من عيوب مرضية مختلفة.

ــ هذا الرأي سوف يهيمن دائماً على أي رأي آخر بسبب البعد العلمي الأكاديمي لأولئك الناس الذين يصرحون بـــه (وعنـــدما نقول أكاديمي، هذا يعني مصداقية لا يمكن التشكيك بها). هذا هو الواقع، وجميعنا نسلّم به ولو مُكرهين.

حقائق تدعم الأصل غير الأرضي للاكتشاف

تقدم الأساطير المتداولة في أمريكيا الجنوبية والوسطى حول المخلوقات القادمة من النجوم، آلية قابلة للتـــصديق لكيفيـــة خلـــق جمجمة تختلف بشكل كبير عن الجمجمة العادية (بالمقارنة مع البشر) أكثر من كونها عائدة إلى تشوه جيني أو خلقـــي أو أنهـــا مشوهة بشكل مقصود (مثل ربط الجمجمة أو تعصيبها).

إن التشوه الكبير عبر المنطقتين الخلفية والجانبية العليا للجمجمة لا يمكن أن ينتج عن ربط الجمجمة بدون وجـــود تـــشوه فـــي المنطقة الأمامية والتي هي غير واضحة. كما أن التشوهات أو العيوب الموجودة عبر المناطق القذالية والجداريـــة للجمجمـــة، والتي هي غير مستحيلة، تبدو غير ممكنة هنا بسبب التماثل والتناظر الكبير الموجود في كل مناطق الجمجمة بما فيهـــا تلـــك المناطق المتأثرة بالعيوب. ويحتوي التشكل الجيولوجي للعظم في محاجر العيون أثلاماً رقيقة تبدو متماثلـــة تمامـــاً فـــي كـــلا المحجرين والتي ربما تكون قد تشكلت بتوجيهات جينية أكثر من كونها ناتجة عن عيوب خلقية.

يمتد العيب الخلقي من التاج إلى الثقب الكبير في الجمجمة، وهي منطقة من المستحيل أن يصل إليها أي ربـــاط أو عـــصاب بسبب عضلات العنق الكثيفة (حتى لدى الطفل) التي تحيط وتدعم وصلة الجمجمة مع الحبل الشوكي. ولا يمكن لرباط الـــرأس أن يمتد تحت النتوء الموجود في خلف الرأس. حيث يترك رباط الرأس مساحة في أعلى الرأس حيث تفشل عظام الجمجمة في الارتباط مع بعضها. والنتيجة النهائية هي أنه رغم أن الميزات غير العادية للجمجمة تتطلب دراسة من قبل عـــالم ذات عقـــل منفتح، فإن العلم التقليدي المحافظ سوف يرفض أي فكرة غريبة عن أفكاره، إلا إذا فرض عليه إثباتات قوية كنتـــائج فحـــص جينات الحمض النووي DNA، ربما يؤدي ذلك لتغيير رأيه.

.....

إعادة اعتبار لمنطق منبوذ

بما أن هذا الموضوع (الحياة في الفضاء الخارجي) لا زال يُصنّف في خانة الماورائيات، أي في المجالات غيـــر المحترمـــة، وجب أولاً قبل أن نكمل مسيرتنا أن نضفي عليه طابعاً جدياً ونخرجه من المستوى الوضيع الذي طالما حاولوا أن يضعوه فيه. دعونا أولاً نتعرّف على بعض التطورات التي حصلت في الوسط العلمي مؤخراً والداعمة لهـــذا الـــسيناريو الفـــضائي (غيـــر المألوف)، مما أدى إلى حصول انشقاق كبير بين أنصار نظرية التطوّر (الداروينيون) ولا زال الانشقاق يتعاظم يوماً بعد يـــوم. طبعاً هؤلاء العلماء المنشقّون لم يتحدثوا عن كائنات فضائية ذكية، بل عن الأصول الفضائية للحياة على الأرض، والاخـــتلاف بين الفكرتين كبير، وسوف أشرح هذه النقطة بالتفصيل وبالتسلسل. لكن مجرّد الاعتراف بالأصول الفضائية للحياة على وجـــه

الأرض يكفي لأن يجعلنا نتقدم خطوة جريئة وغير مسبوقة نحو السيناريو الأكثر غرابة والأكثر بعداً عن المنطق المألوف وهو: ***الأصول الفضائية للإنسان!***

بدأت القصة في أواخر الستينات من القرن الماضي، حيث كانت الدلائل التي تقدمها النظريات الحديثة التي تبرز بعد كل اكتشاف جديد في البيولوجية الجزيئية تسير بطريقة معاكسة للمنطق العلمي السائد، حيث راح مفهوم "النشوء التلقائي على الأرض" spontaneous generation يقترب تدريجياً من اتخاذ شكل المعجزة غير المنطقية بدلاً من كونه عملية كيماوية عرضية.

وفي السبعينات من القرن الماضي، اتخذت التخمينات حول أصل الحياة منحاً غير متوقعاً. لأن القوانين الجديدة التي استُنبطت من الاكتشافات العلمية الجديدة، جعلت فكرة "النشوء التلقائي" تبدو سخيفة بحيث لم تعد مقبولة، وبدأ بعض العلماء (من بينهم شخصيات علمية مرموقة مثل "فرانسيس كريك" Francis Crick، "فريد هويل"Fred Hoyle، و"جورج والد" George Wald) يصرّحون دون تردد أو خجل بأن النشوء التلقائي للحياة على وجه الأرض هو مستحيل، وراحوا يبحثون عن مصدر "فضائي خارجي" في محاولة جدية لإيجاد أصل الحياة. أما الحقائق التي استندوا عليها، فسوف أذكرها في الصفحات التالية. لكن قبل ذلك دعونا نتأمّل الفكرة التالية:

الحياة في الفضاء الخارجي

".. إن الاعتقاد بأن كوكب الأرض هو العالم الوحيد المأهول في الفضاء غير المتناهي هو شيء سخيف تماماً كالاعتقاد بأن حقل كامل مبذور بالقمح ولن تنمو فيه سوى حبة واحدة.."

ميترودونوس *Metrodonus of Chios*

القرن الرابع قبل الميلاد

هل يُعقل بأنك لا تزال تستبعد فكرة وجود حياة في الفضاء الخارجي؟ إذا كنت كذلك، فهذا يعني أنك لا زلت حبيس الصورة الصُغرى وترفض الخروج إلى الصورة الكُبرى للوجود من حولك وتتحرّر. إذا لا زلت كذلك، فكل ما عليك فعله هو تأمّل الحقيقة التالية:

"... إن شمسنا مجرّد واحدة من حوالي ١٠٠ مليار نجم في المجرّة التي ننتمي إليها فقط!..."

من بين المئات من العلماء اللامعين، دعونا نستشهد بقول السير "فرانسيس كريك" Sir Francis Crick، وهو فيزيائي وكيميائي حيوي بريطاني، (حصل على جائزة نوبل في العام ١٩٦٢ على اكتشافه للهيكل الحلزوني الثنائي للحمض النووي DNA). يقول بأن هناك حوالي ١٠٠ مليار مجرّة في الكون، ويؤمن بأن هناك على الأقل ١ مليون كوكب في مجرّتنا وحدها والذي يمكن أن يدعم الحياة التي نألفها. إذا كانت مجرّة واحدة فقط تحتوي على هذا العدد الكبير من إمكانيات وجود حياة، فما بالك ١٠٠ مليار مجرّة؟!!

هل تكوّنت الصورة لديك الآن، أم يتطلّب الأمر المزيد من الوقت لكي تستوعب هذه الحقيقة؟ تريّث وفكّر ملياً قبل أن تصدر أي حكم مسبق على الموضوع. نحن لا نتكلّم هنا عن أبعاد أخرى للوجود (العالم الماورائي) حيث هذا يمثّل موضوع آخر، بل نتحدّث عن البُعد الذي نلمسه ونألفه ونراه بعيوننا. إذا سافرت بسرعة الضوء، أي ٣٠٠ كيلومتر في الثانية تقريباً، فسوف تستغرق ٤ سنوات قبل أن تصل إلى أقرب نجم من نظامنا الشمسي. صحيح أننا نشأنا على تعاليم ومُعتقدات تحثّنا على استبعاد فكرة وجود حياة في الفضاء الخارجي، حيث يعلمونا بأن التفكير بهذه الإمكانية يُعتبر جنوناً وغباء، أو حتى كفر وإلحاد. لكن صدقوني.. إن استبعاد هذه الحقيقة يُعتبر تخلفاً بكل ما تحمله الكلمة من معاني، إن كانت من الناحية الروحية والعقلية وحتى الحضارية.

أحد جوانب الفضاء

وإذا افترضنا وسلّمنا جدلاً بوجود حياة في مكان ما في الكون، هناك أمر آخر ربما لا نستطيع استيعابه بسهولة أيضاً، وهو إمكانية كبيرة لوجود حضارات متقدمة جداً من الناحية العلمية والتكنولوجية بالمقارنة مع حضارتنا الحالية. إذاً، فالتنوّع الكبير في أشكال الحياة العاقلة في الكون لا يمنع حقيقة وجود تفاوتات مختلفة في مستوى تقدمها الحضاري، أو تطورها البيولوجي، أو حتى تفاوتاً في مستواها الروحي والعلمي أيضاً.

بعد هذه الافتتاحية الاستهلالية التي بدأت بها للدخول إلى رحاب الموضوع المثير للجدل المطروح في الصفحات التالية، أعتقد بأننا أصبحنا محضّرين (ولو جزئياً) لمواجهة الحقائق المذكورة لاحقاً. تذكروا أن كل ما ورد في هذا الكتاب من مواضيع لا يمثّل سوى أجزاء مُبعثرة ومتناثرة بحيث عندما تكون منفردة لا يمكنها أن تشكّل صورة كاملة قائمة بذاتها. لا أحد يستطيع أن يبني صورة كاملة متكاملة للماضي الحقيقي للإنسان ويجزم بأنها الحقيقة. السبب هو أن هذه الصورة مهما أبدته من كمال فلا بد من أن ينقصها الكثير من الأجزاء المفقودة والغائبة تماماً عن مجال المعرفة والإدراك البشري. المفكّر أو الباحث الذي يدعي بأنه ملماً بكل جوانب الموضوع الذي يبحث فيه هو مفكّر منافق. الحقيقة الأليمة التي وجب علينا معرفتها هي أننا نبني مفاهيمنا واستنتاجاتنا، وحتى قناعاتنا ومعتقداتنا، على حقائق ناقصة.. مجرّد أجزاء مفتتة ومنقوصة للصورة الحقيقية. لا أحد يستطيع أن يزعم بأن الصورة قد اكتملت لديه بالكامل.. فهذا يُعتبر من أعلى درجات الصفاقة!

أعيد وأكرر بأن الغرض من هذا الكتاب ليس للخروج باستنتاج مُفصّل على قياس قناعاتي الشخصية. إنه مجرّد طرح موضوعي لكافة الحقائق التي يمكن أن يكون لها صلة بالموضوع الذي نتناوله. أما الاستنتاج النهائي فيعود أولاً وأخيراً للقارئ الكريم. وبخصوص الموضوع التالي، فقد أصبح من المعيب الاستمرار بتجاهله واعتباره من المواضيع الخيالية أو الخرافية أو غيرها من صفات لا ترقى إلى مستوى أهميته الكُبرى. وخلال بحثنا عن أصول الحياة على هذه الأرض على الأقل، وجب علينا إدخال هذا الجانب (المُهمّش دائماً) إلى ساحة بحثنا ونوليه الاعتبار الذي يستحقه. لم يعد من المجدي تجاهل الأمر. هذا طبعاً إذا أردنا فعلاً البحث عن الحقيقة الأصيلة وليس مجرّد التزلّف والنفاق لصالح جهة فكرية معيّنة بهدف كسب رضاءها.

ذكرت سابقاً عن الانشقاق الذي حصل بين صفوف الداروينيين منذ عدة عقود مضت. وفي الحقيقة، هذا الانشقاق تطوّر إلى درجة ساهمت في نشوء مذهب علمي قائم بذاته. وأنصار هذا المذهب لم يكتفوا بما وصل إليه الداروينيون المنشقون (الذين نقلوا شرارة الحياة، وعامل الصدفة، من كوكبنا إلى كوكب آخر) بل ساروا قدماً إلى الأمام بحيث راحوا يفترضون بأن الحياة لم تأتي بالصدفة إلى كوكب الأرض بواسطة أحد المذنبات (وهذا ما يقترحه الداروينيون المنشقون) بل جاءت بشكل مقصود وتخطيط مُسبق من قبل حضارات فضائية متطورة!

طبعاً هذا الكلام لا يمثّل أي معنى إذا أخذته بالشكل السطحي، لكن إذا قرأنا إحدى المقالات العلمية التي تعود لأحد أنصار هذا المذهب العلمي الجديد، اسمه "لويد باي" Lloyd Pye (وهو الذي أجرى دراسة علمية لجمجمة طفل النجوم المُكتشفة في المكسيك، كما وردت في الصفحات السابقة)، ربما تبدأ الفكرة باتخاذ مظهر آخر أكثر عمقاً وأقرب للمنطق مما نتصوره. في

هذه المقالة، ينتقد الكاتب كل من المذهبين "التكويني" و"الداروينيي" ويطرح سيناريو مختلف تماماً مستنداً على اكتشافات علميـــة حديثة، وبالإضافة إلى حقائق علمية أخرى لا يمكن تجاهلها.

من هو لويد باي؟

"لويد باي" Lloyd Pye هو باحث وكاتب أمريكي، مولود عام ١٩٤٦م، لديه نظرة مختلفة تماماً لأصول الإنسان، عبر عنها في المحاضرات العديدة التي أقامها حول العالم، بالإضافة إلى مجموعة من الكتب التي ألفها، وأشهرها كان بعنوان "كل تعرفونه هو خاطئ" Everything You Know Is Wrong.

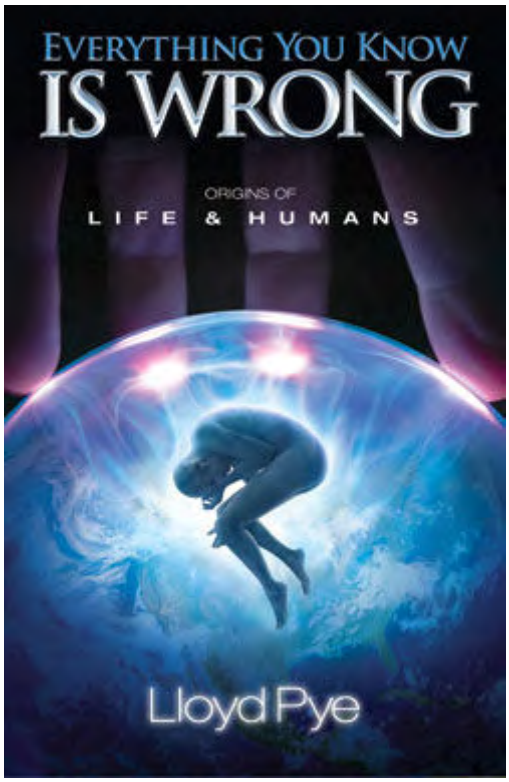

واجهة كتاب "كل ما تعرفونه هو خاطئ"، لمؤلفه "لويد باي"

القســـــم الثالث

الحياة في الفضاء الخارجي

أصل الحياة على الأرض

Lifes Beginnings On Earth

بقلم: "لويد باي" Lloyd Pye

كيف بدأت الحياة على الأرض؟ لقد سُفكت أكبر كمية من الدماء واستُنزف أكبر عدد من الأدمغة خلال محاولة الإجابة على هذا السؤال أكثر من أي موضوع آخر تناوله العلم أو الدين في تاريخ البشرية. لماذا يا تُرى؟

السبب هو أن الجواب، إذا أصبح أكيداً وتجاوز كافة الشكوك، سوف يكشف لنا عن أعمق المعاني الكامنة وراء كياننا الظاهري وكل ما نراه من حولنا. والأهم من ذلك، سوف يقضي بشكل نهائي على كل تلك الأفكار، الواعية وغير الواعية، التي سُفكت من أجلها الدماء عبر التاريخ.

في الوقت الحالي، هناك تفسيرين رئيسيين لمسألة نشوء الحياة على هذه الأرض. يصرّ ***العلم المنهجي*** على أن الحياة نشأت وتطوّرت بوسائل طبيعية تماماً، أي باستخدام المواد المتوفرة على سطح الكوكب حين كان في مرحلته البدائية، دون أي تدخّل أو مساعدة من مصدر خارجي، إن كان ماورائياً أو مقدساً أو حتى فضائياً. أما ***الدين***، فيصرّ على أن الحياة جُلبت إلى الوجود دفعة واحدة، كاملاً وشاملاً، من قبل خالق مقدّس أشاروا إليه بأسماء كثيرة (حسب الديانة أو المذهب). وبين هاتين النظرتين المتناقضتين ليس هناك أي نقطة التقاء أو أرضية مشتركة يمكن المفاوضة على أساسها. وأتباع هذين المذهبين الفكريين يعتبرون بأن منطقهم هو الصحيح والآخر هو الخاطئ، وهذا التأكيد الجازم من قبل كل من الطرفين جعله من المُباح إطلاق النار على المنطق الآخر دون أي تردد أو تعقّل أو تفكير أو تفنيد أو حتى الدعوة إلى حوار هادئ ومعقول.

يسرع ***العلم المنهجي*** للإشارة إلى الدلائل التقنية الكثيرة على أنه لا يمكن للحياة، وهذا صحيح، أن تظهر فجأة بشكل كامل وشامل خلال تلك المدة الزمنية المحدودة المذكورة في الكتب المقدسة. وطبعاً فالدينيين، المؤمنين بشكل أعمى بكل ما هو

مكتوب، لديهم مناعة كبيرة ضدّ الجدالات المنطقية مهما استندت على حقائق عقلانية. فالإيمان يفرض عليهم تقبّل كل ما كُتب دون أي استثناء، حتى لو كان متناقضاً مع، أو بعيداً عن، الواقع الملموس من حولهم. بالإضافة إلى أنهم يستطيعون إثبات عدم وجود أي دليل نظري أو عملي يؤكّد أو يدعم فكرة قابلية الفصائل على التحوّل من شكل إلى آخر، مهما كانت المساحة الزمنية التي مُنحت لها ومهما كانت نسبة الفرص الجينية الإيجابية المساعدة على هذه العملية، وهذا يدحض المبدأ الأساسي الذي استندت عليه نظرية "تشارلز داروين" حول "التطوّر المتنامي" incremental evolution، أو "التطوّر التدريجي" gradualism.

في بدايات القرن التاسع عشر، زار "داروين" جزر الغالاباغوس Galapagos Islands ولاحظ أن بعض الفصائل هناك قد طوّرت آليات جديدة للتلاؤم مع البيئة السائدة هناك. فمناقير العصافير قد تم تعديلها لتتناسب طعامها: الفاكهة، الحشرات، والبذور. وكانت قوقعة السلاحف محززة وغير محززة بحيث تناسب المشي في أعالي أو أدنى الأشجار. مع أن كل نوعية بقيت تنتمي لفصيلتها ولم تتحوّل. فالعصافير بقيت عصافير، والسلاحف بقيت سلاحف. لكن هذه التغييرات الجزئية الحاصلة في أجسادها جعلت "داروين" يخرج باقتراح يقول بأن كامل الأجسام قابلة للتغيّر بنفس الطريقة وعبر فترات زمنية طويلة. وبناءً على هذه الفرضية (غير الواقعية) وُجدت نظرية "التطوّر التدريجي"، وبعد فترة حمل دامت ثلاثة عقود من الزمن، أعلن عن ولادتها رسمياً في العام ١٨٥٩م، مع نشر الكتاب الذي مثّل حجر الأساس بالنسبة للداروينيين: "***حول تطوّر الأجناس***" On The Origin Of Species. منذ حينها أصبح داروين وعمله هذا يمثلان نقطة خلاف وجدال واسع ومرير، وأحياناً كان ساخراً، بين ***الدين المنظّم*** و***العلم المنهجي***.

الأمر المضحك المتعلّق بنظامين سياسيين والذين يستنزف أعضائهما مُعظم أوقاتهم يطلقون النار على، ويصنعون الثقوب في، سياسات بعضهم البعض، يكشف بوضوح عن حقيقة أن كلاهما يجهل تماماً عما يتكلّم وماذا يفعل. ففي وسط هكذا جدالات، يضيع المنطق وتزول العقلانية بشكل كامل. ومع ذلك، فالحياديين، الذين يجدون أنفسهم في وسط هذا الصراع المحموم بين الدين والعلم، قد يفطنوا للحقيقة لكنهم لا يتصرّفون على أساسها ويقولون:

"..كلاكما على خطأ.. فحتى الأحمق يدرك هذا.. ابحثوا عن تفسير آخر.."

لا.. ففي هذا الجو المشحون عاطفياً، كل فرد يميل للاصطفاف مع أحد الجانبين، لأن البقاء في الوسط (حيادي) سوف يعرّضه للهلاك وحتى الإبادة. هذا هو الواقع. ففي أي معركة مُحتدمة بين طرفين قويين، يكون شعار كل منهما: "..من ليس معنا، فهو ضدّنا.."، وبالتالي، من أجل المحافظة على البقاء، وجب على الحياديين الاصطفاف تحت مضلة أحد الأطراف المتنازعة، ربما بهذه الوسيلة ينفذ بجلده.

الحقيقة تبقى الحقيقة

لأن الدينيين يصرون على أن لديهم مناعة ضدّ الجدالات التي تستند على حقائق ثابتة، نراهم يتجنبون أو يترفعون على النقاشات الجدّية المتناولة للأصل الذي انبعثت منه الحياة في هذا الكوكب. ولهذا، أودّ أن أحذر كل من يقرأ هذا القسم، والذي نظرته لهذا العالم تستند على أسس دينية، بأن يتوقف فوراً عن متابعة القراءة هنا. فسوف لن يتقبلوا الحقائق المزعجة الواردة

في الفقرات التالية. وهذا ينطبق أيضاً على المتعلّم (العلماني) الذي فطر على معلومات معيّنة يُزعم بأن لها أسس علمية غير مشكوك بصحتها. فهو أيضاً لن يتقبل الآتي بسهولة. وكما تبيّن من خلال ما ورد سابقاً، فكلا الجانبين المتصارعين (العلمي والديني) لا يعرف بالضبط عما يتكلم، حيث هو مشغول في إيجاد أو صنع الثغرات والهفوات في الجانب الآخر.

من أجل سهولة السير قدماً في موضوعنا، وجب علينا إيجاد اسم خاص للذين يؤمنون بأن الحياة انبعثت إلى الوجود تلقائياً عبر وسيط كيماوي غير عضوي يطفو هنا وهناك في أحد البحار غير العضوية الموجودة في الفترات الأولى من تاريخ الأرض. دعونا نسميهم "الداروينيين" Darwinists (نسبة لتشارلز داروين)، وهذا اسم شائع ويُستخدم بشكل واسع اليوم. لقد وجد "الداروينيون" أنفسهم وسط لعبة صعبة المراس، لأن هذا البحر غير العضوي الذي افترضوه يجب أن يكون بدرجة حرارة محددة (برودة) حتى تتمكن الكيماويات غير العضوية العائمة عليه من الارتباط ببعضها وتشكّل جزيئات مركّبة complex molecules. إن كل من درس الكيمياء في المدرسة يعلم بأن أحد أفضل الوسائل لتفكيك الجزيئات الكيماوية يتمثّل بإخضاعها للتسخين. لهذا السبب، فالبرودة تشكّل شرطاً أساسياً بالنسبة للداروينيين.

بالاستناد على الحقيقة الكيماوية السابقة، يسرع الداروينيون إلى التسليم بأنه لا بدّ من أن أوّل شرارة حياة قد أطلقت نفسها في فترة زمنية تبعت مرحلة تشكّل القارات، أي منذ حوالي ٢,٥ مليار سنة. في تلك المرحلة، كانت اليابسة قد تشكّلت وأصبحت "يابسة" والبحار أصبحت "بحاراً"، مع أنها لم تكن في الشكل الذي نألفه اليوم. لكن المياه في تلك البحار لا بدّ من أنها كانت باردة بما يكفي للسماح بحصول التفاعلات الكيماوية التسلسلية التي تتطلبها نظرية "الظهور التلقائي للحياة" spontaneous animation التي يعتنقها الداروينيون (لأنهم لا يؤمنون بأي تدخّل رباني أو حتى فضائي خارجي). إذاً، فقد ظهر بين الداروينيين إجماع عام يقرّ بأن "الظهور التلقائي للحياة" لم يحصل سوى بعد تشكّل القارات، أي بعد ٢,٥ مليار سنة ماضية.

لقد تم اعتناق هذه الفرضيات كمعتقدات مُسلّم بها وتم تعليمها في المدارس حول العالم بحماسة شديدة جعلت الدينيين يخضرّون ويصفرّون من الحقد والحسد. لقد تم تعليمها على أنها حقائق ثابتة، لأن هذا ما يفعله العلم الرسمي أصلاً: تعليم الحقائق المُثبتة علمياً.. أليس كذلك؟ لقد نجح الداروينيون (المسيطرون على العالم الأكاديمي الرسمي) بتشكيل إجماع شبه كامل حول مجموعة من الافتراضات الوهمية التي تتناول مجال معيّن، مع العلم بأن قسم كبير من هذا المجال لازال غامضاً، ثم تم أخذ هذه الافتراضات كمعتقدات ومسلّمات ثابتة وتم تعليمها في المدارس على أنها حقائق علمية واقعية، مع أنها بعيدة كل البعد عن الواقع الحقيقي. تذكّر أن الحقائق العلمية المُجمع عليها أكاديمياً غالباً ما تصمد لفترات قصيرة فقط. فمثلاً، فرضية إسحق نيوتن القائلة بأن "سرعة الضوء هي عبارة عن قياس نسبي" دامت ٢٠٠ سنة فقط، حيث تعرّضت في النهاية للدحض من قبل النظرية النسبية لأينشتاين (المشكوك بها أيضاً، والمُعرّضة للدحض في أي لحظة). وبنفس الطريقة، فقد تعرّضت أخيراً فرضية تاريخ انطلاق شرارة الحياة للدحض من قبل اكتشافات جديدة حصلت في السبعينات من القرن الماضي، والتي تشير إلى أن أصل الحياة كان أكثر قدماً مما هو متوقّع. كان تاريخها قديم جداً لدرجة أنه يعود لبدايات ولادة الأرض، أي ٤,٥ مليار سنة، عندما انطلقت شرارة الشمس واستقرّت الكواكب البدائية في شكلها ومسارها كما نألفها اليوم. إذاً، لقد أصبح تاريخ ٤ مليارات سنة يمثّل النقطة الجديدة التي انطلقت منها الحياة على هذه الأرض، ذلك بالاستناد على اكتشاف "سترومانوليتات" stromatolites متحجّرة (عضويات بدائية الخلية) في أستراليا والتي يعود تاريخها إلى ٣,٦ مليار سنة.

"سترومـاتوليت" يعود تاريخها إلى ٣,٦ مليار سنة

بالنسبة للداروينيين، فهذا يعني أنهم انتقلوا من المقلاة إلى النار. لقد أصابهم هذا الاكتشاف بالإرباك الكبير، لأنه وفق منطقهم الخاص، الكرة الأرضية لم تكن في ذلك التاريخ (٤ مليار سنة) سوى كتلة من المياه الساخنة لدرجة الغليان، والحمم البركانية شبه الباردة، والبخار السام، وغيرها من عوامل بعيدة كل البعد عن كونها شروطاً لتشكّل الحياة. باختصار نقول: بدأت صورة داروين المقدّسة تتحوّل إلى مهزلة.

الحلقة المفقودة من تاريخ نشوء الحياة

"الستروماتوليتات" المتحجرة التي اكتُشفت في أستراليا نتجت من الأجسام الميتة التابعة لمليارات البكتريا بدائية النواة prokaryotic bacteria، وهي أوّل أشكال الحياة المعروفة بأنها وُجدت عل هذا الكوكب. كما أنها أكثرها بساطة، حيث ليس لديها نواة مجهّزة لاحتواء حمضها النووي DNA. لكن بنفس الوقت، فإن هذه البكتريا "البروكاريوتية" (بدائية النواة) prokaryotes ليست بسيطة إطلاقاً. فهي أكبر بعشرات المرات من الفيروسات النموذجية، التي تملك مئات من شرائط الحمض النووي DNA بدلاً من خمسة أو عشرة شرائط كما هي الحال مع الفيروسات البسيطة.

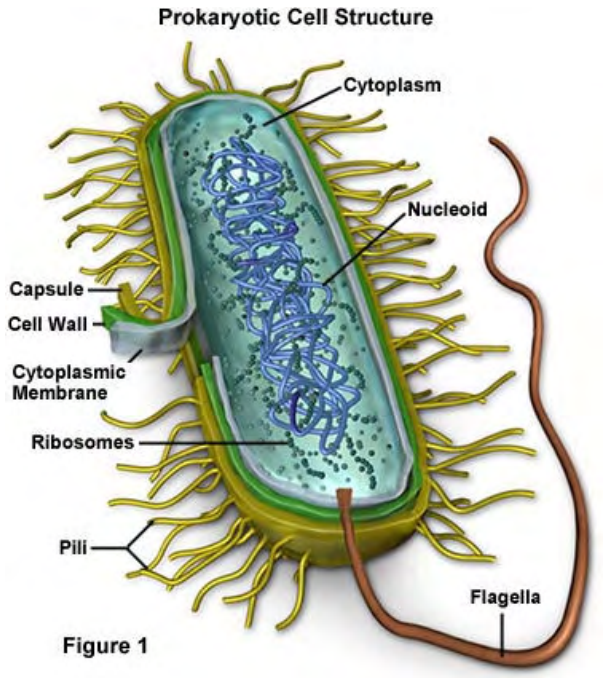

بكتريا "البروكاريوت" prokaryote (بدائية النواة)

إذاً، يبدو واضحاً أن البكتريا "البروكاريوتية" هي كائنات فائقة التعقيد بالمقارنة مع ما كنا نفترضه عنها أنها أشكال الحياة الأولى وتلقائية الإحياء، والتي يُظنّ بأنها أصغر من الفيروسات الأكثر صغراً.

مع العلم بأن الفيروسات ليس لها دور في هذا السيناريو لأنها وفق المنطق العام لا تُعتبر حيّة من الناحية التقنية. من أجل أن تكون حيّة تماماً يعني أن يكون لديها قدرة على أخذ الغذاء من البيئة المحيطة مباشرة، ثم تحوّل ذلك الغذاء إلى طاقة، ثم تطرح الفضلات، ومن ثم التكاثر. بينما في الحقيقة، الفيروسات تحتاج لكائن مضيف من أجل الازدهار، ولا تستطيع التكاثر سوى عندما تسكن في مضيف مناسب لها. إذاً، من المنطقي الافتراض بأن الكائنات المضيفة تسبق الفيروسات في كافة الظروف والحالات.

خلاصة الأمر هي أن اكتشاف البكتريات "البروكاريوتية" المتحجّرة العائدة إلى تاريخ ٣,٦ مليار سنة أوقع العلماء في حيرة وإرباك كبيرين. لكن، لأن الكثير من نظرياتهم القائمة في الماضي قد تعرّضت للدحض والانقلاب والاستبدال، أصبح لديهم خبرة كبيرة في كيفية التجاوب مع أي عملية دحض جديدة دون أن يبدوا أي إرباك أو هلع من أي نوع. لقد قرروا في النهاية السير قدماً بأفكارهم القديمة وكأن شيئاً لم يحصُل. وهكذا حصل فعلاً، حيث لم يتغيّر شيئاً أبداً. لم يتم إعادة كتابة أو تعديل المناهج المدرسية توافقاً مع هذا الاكتشاف الجديد. واستمرّ المدرسون في تعليم نظرية "الظهور التلقائي للحياة" كما كانوا يفعلون منذ عقود. وقد صُنفت هذه "الستروماتوليتات" stromatolites المتحجّرة في خانة الغرائب الأثرية، أي لم تُؤخذ بالجدية المُستحقة، فتم تجاهلها تماماً.

لكن هذا التجاهل كان مؤقتاً حيث لم تدم فرحة العلماء طويلاً قبل انفجار القنبلة التالية في وجوههم. في أواخر الثمانينات من القرن الماضي، اكتشف عالم بيولوجيا يُدعى "كارل ويوز" Carl Woese بأنه ليس فقط الحياة ظهرت على وجه الأرض على شكل بكتريات "بروكاريوتية" منذ حوالي ٤ مليار سنة، بل كان هناك أكثر من نوع واحد. لقد وجد "ويوز" بأن ما كان يُعتبر أنه كائناً بسيطاً هو في الحقيقة مؤلف من نوعين مختلفين، أشار إليهما بأسماء: "أرشيا" archaea و"البكتريا الحقيقية" true bacteria. هذا الاكتشاف المذهل وغير المتوقّع جعل الأمر واضحاً ومتجاوزاً لأي شكّ:

..... لا يمكن للحياة أن تنشأ وتتطوّر على ها الكوكب تلقائياً.....

إن المعلومات التي كشفت عنها هذه الآثار المتحجرة، والمحتوية على نوعين مختلفين من البكتريا فائقة التعقيد من ناحية التطوّر، كلها تشير إلى معنى واحد لا جدال حوله: ***"الظهور التلقائي للحياة" لم يحصل أبداً على هذا الكوكب!***

لقد قوبل هذا الاكتشاف بنفس الصمت والتجاهل الذي قابله اكتشاف "الستروماتوليت" stromatolite. لم تُعدّل الكتب المدرسية لاحتوائه. لم يغيّر المدرسون منهجهم التدريسي. إذا استطعت إيجاد معلّم مدرسة يدرّس علم الأحياء، وطبعاً يكون متحرراً من مضايقات وحتى إرهاب المتطرفين الدينيين، راقب ما يدرّسه في الصفّ وستكتشف بأنه لازال يعلّم الطلاب بكل سعادة ومرح كيف بدأت الحياة في هذا الكوكب وفق نظرية "الظهور التلقائي للحياة". وإذا ذكرت أسماء مثل "الستروماتوليت" أو "البروكاريوت" سوف ترى وجوهاً مُربكة وحائرة يظهرها كلاً من الأستاذ والطلاب. هذه معلومات مجهولة لدى معظم المثقفين والمتعلمين، وهي لازالت كذلك عن سابق قصد وتدبير. لقد حُجبت عن الناس من قبل المسيطرين على العالم الأكاديمي، ذلك لأنها لا تتوافق مع المنطق القائم الذي يتمحور حول نظرية ***تشارلز داروين*** بخصوص "التطوّر التدريجي" gradualism.

تدخّل من الفضاء الخارجي

إن التهجّم القاسي والمستمرّ على نظرية "التطوّر التدريجي" من قبل المتطرفين الدينيين يشكّل السبب الرئيسي الذي يجعل العلماء عاجزون عن تعليم أي أفكار جديدة في المدارس. لو أن المتطرفين احتفظوا بنظرياتهم وآرائهم الخاصة لأنفسهم، وداخل حدود معابدهم حيث من المفروض أن تكون، ربما يستطيع العلماء حينها إيجاد مساحة أكبر للحركة والتفكير بهدوء ومن ثم تحديد في أي نقطة بالضبط يتعارض منطقهم مع الواقع الحقيقي. لكن، بسبب وقوف المتطرفين على مسافة قصيرة ورائهم، ويطرقون أبواب مدارسهم بقوة وعنف، لم يعد للعلماء أي خيار سوى أن يجدوا سبيلاً لتجنّب غضبهم العنيف، وبالتالي لم يجدوا سوى الاستمرار بتسويق التفسيرات الواهمة بخصوص أصول الحياة، والتي أصيبت بالإفلاس منذ أكثر من عقدين.

والسبب الآخر الذي جعل العلماء يقاومون ظهور الحقيقة هو أن الأمر سيحدث تغيراً هائلاً في الوضع الاقتصادي للكثير منهم. تصوّر كل تلك الملايين وحتى المليارات من الدولارات التي تُصرف سنوياً على الجمعيات العلمية (النافذة) التي تحاول إيجاد الجواب على السؤال الكبير: ***هل هناك حياة في مكان ما خارج كوكب الأرض؟***، ثم تصوّر ماذا سيحصل بعد ظهور اكتشاف مستحاثات "البروكاريوت" فجأة والتي يعود تاريخها إلى ٤ مليار سنة، والتي توفّر الجواب على ذلك السؤال الكبير، والجواب

هو ***نعـــــم هناك حياة أخرى!***. ويصبح من الواضح أن الحياة لم تتشكّل تلقائياً عن طريق كيماويات غير عضوية تطفو على بحار ساخنة بدرجة الغليان حيث تحتوي على حمم بركانية لازالت ملتهبة. وبالتالي، سوف تختفي مليارات الدولارات بين ليلـــة وضحاها مجرّد أن اعترف العلماء جهاراً بأن الحياة لا بد من أنها ***جاءت إلى الأرض من مكان آخر***، لأنه من الواضح ***أنها لـــم تبدأ هنا على هذا الكوكب***.

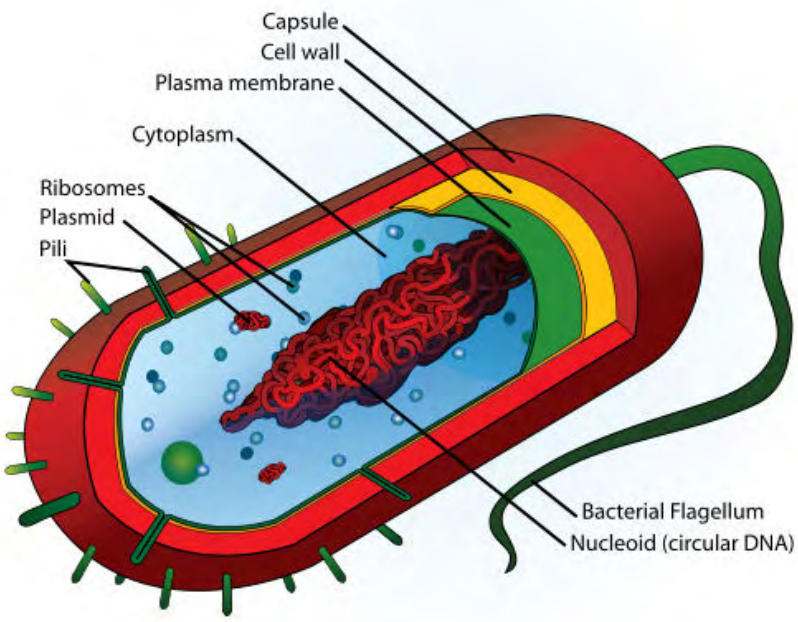

صورة أخرى لبكتريا "البروكاريوت" prokaryote. لاحظ بنيتها الخارجية التي تشبه الكبسولة، والمصنوعة خصيصاً لوقاية المحتويات من مؤثرات خارجية سلبية. هل يمكن أن يكون هذا نتيجة هندسة جينية مقصودة من قبل كائنات متطوّرة تكنولوجياً؟

السبب الثالث الذي يجعل العلماء يقاومون ظهور الحقيقة هو أن نظرية "الظهور التلقائي للحياة" spontaneous animation تمثّل مذهب فكري قائم بذاته ويشكّل أحد الأسس الرئيسية التي تستند عليها الديانة "الداروينية" الجديدة التي برزت ورسخت خلال القرنين الماضيين والتي توصف تطوّر الإنسان على طريقتها الخاصة. وعندما نقول ديانة أو مذهب فكري، هذا يعني وجود طبقة من الكهنة التي واجبها هو المحافظة على المسلمات وحراسة التعاليم المقدسة مهما كان الثمن. ودعوني أقول لكم أن الكهنة الداروينيين هم الأكثر نفوذاً في عالم المعرفة اليوم. وفي الحقيقة، إن نفوذهم هو الذي أبقى على استمرارية رسوخ نظرية التطوّر الداروينية، وليس المصداقية التي تتمتع بها. على أي حال، فكما في موضوع "الحياة" بشكل عام، يصرّ العلماء على أن البشرية تمثّل المُنتج الآتي من ذات السلسلة التدريجية من عملية التحوّل الجيني genetic mutations والتي، كما يشعرون، هي المسؤولة عن نشوء كافة الكائنات الحية على الكوكب. ومرّة أخرى، كل هذه التجسيدات المختلفة والمتنوعة للحياة قد تطوّرت بشكل طبيعي ضمن حدود هذا الكوكب، أي دون أي تدخّل خارجي من أي نوع (ما ورائي أو فضائي). وبالتالي، إذا تعرّضت نظرية "الظهور التلقائي للحياة" للدحض والتكذيب، فسوف تفسح المجال لدخول فكرة جديدة تماماً تتمثّل بـــ"تدخّل من الفضاء الخارجي"، وهذه الفكرة الجديدة كانت ولازالت تمثّل لعنة حقيقية بالنسبة للعلماء المنهجيين حيث ستفتح عدد كبير من الأبواب الجديدة، هذا ولم نتحدث عن المصير البائس لنظرية التطوّر التي ستلحق بصاحبها داروين إلى مزبلة التاريخ.

ما هو الجواب إذاً؟

لقد جاءت الحياة إلى كوكب الأرض من مكان آخر.. نقطة انتهى. جاءت إلى الأرض بشكل كامل وشامل، بكميات ضخمة، وبدأت أولاً وفق شكلين مختلفين كانا منيعين جداً ضد أكثر الظروف البيئية قساوة. بعد التسليم بهذه الوقائع الجديدة، وغير المشكوك بها، آن الأوان للقيام بالوثبة الفكرية المخيفة التي يعجز الدينيين ومعظم العلمانيين الإقدام عليها. ***لقد زُرعت الحياة هنا!***.. هذه هي الحقيقة. ها هي أمامنا، واضحة وضوح الشمس.. فالأرض لم تفقس كالبيضة وجسّدت الحياة تلقائياً... والحياة لم تتجسّد نتيجة شرارة برق انطلقت في المكان المناسب والوقت المناسب وضربت محلولاً كيماوياً يطوف على سطح البحر.. لقد جاءت الحياة إلى هنا.. وعلى دفعات.. موجة بعد موجة.. هذا هو الواقع الذي لا يرغب أحد في التعرّف عليه.

إذا كانت الحياة قد زُرعت هنا فعلاً، فكيف يمكن أن يحصل هذا؟ هل كان بالصدفة؟ أو عن قصد وتخطيط مُسبق؟! حسناً، من ناحية "بذر الحياة بالصدفة" accidental seeding فقد تم البحث في هذه الفكرة وبالتفصيل المملّ من قبل عدد كبير جداً من المفكرين المستقلّين (غير الرسميين)، وكذلك البعض من المفكرين الرسميين وأشهرهم كان عالِم الفلك "فريد هويل" Fred Hoyle. المُصطلح الأكاديمي الذي يُستخدمونه للإشارة إلى نظرية "بذر الحياة بالصدفة" هو "بانسبيرميا" panspermia (التبزّر الشامل)، وتقول هذه النظرية بأن حياة بكتيرية جاءت إلى كوكب الأرض بواسطة المذنبات والكويكبات القادمة من كواكب أخرى كانت تسبح في الفضاء الخارجي قبل أن تنفجر وترسل شظاياها عبر مسافات بعيدة حتى وصلت إحداها إلى كوكب الأرض الذي كان حديث التشكّل في حينها.

وهناك شقّ آخر لهذه النظرية ويشير إليه المصطلح directed panspermia أي "التبزير الشامل المقصود"، وتستند على فكرة مختلفة تستبدل عامل المذنبات والكويكبات بعامل آخر: كبسولات صناعية تم إطلاقها من قبل حضارات فضائية متقدمة جداً، لتخترق المساحات الفضائية الشاسعة مستهدفة كوكبنا الذي كان يتشكّل حديثاً. لكن هذه الفكرة المتمثلة بـ"التوجيه المقصود والتدبير الواعي من قبل كائنات عاقلة تقبع في مكان ما في الفضاء" هي أكثر الأفكار الممقوتة والمثيرة للاشمئزاز بالنسبة للعلم المنهجي الذي لا يرغب في تجاوز حدود الكوكب عندما يتعلّق الأمر بكائنات عاقلة. لهذا السبب، فقد تلقّت فكرة "التبزير المقصود" القليل من الاحترام أو على الأقلّ الجدّية التي تستحقها من قبل العلم المنهجي. لكن من جهة أخرى، ورغم أن فكرة "التبزير غير المقصود" تمثّل أيضاً تحدياً سافراً بالنسبة للمبادئ العلمية المنهجية، إلا أن العلماء تقبلوها (ولو بشكل مُهمّش) على أساس أنها تمثّل بديل ممكن لنظريتهم الحالية (النشوء التلقائي للحياة). لقد أُخذت هذه الفكرة بقدر وافر من الجدّية لدرجة أنه حصل محاولات عديدة لفحص بعض المذنبات الساقطة على الأرض للتأكّد من إذا كان هناك مواد أوّلية مسببة للحياة عالقة عليها أو كامنة بداخلها.

الأمر الذي وجب ملاحظته هنا هو أن لا أحد يرغب في التقدم للأمام واقتراح ما هو واضح للجميع، ويتمثّل بحقيقة أن كيان ما أو كائنات من مكان ما خارج نظامنا الشمسي، جاءت إلى كوكبنا في فترة بداية تشكّله، ولسبب لازال مجهولاً، قررت أن تبذره بنوعين من بكتريا "البروكاريوت" prokaryotes، وهي أقسى أنواع البكتريا التي نعرفها، وما نعرفه عنها هو أنها كائنات مجهرية ***مُصممة خصيصاً وبشكل مقصود*** لكي تتكاثر وتزدهر في أي بيئة في هذا الكون. (وجب معرفة أن بكتريا "البروكاريوت" لازالت موجودة اليوم بنفس المظهر والخواص التي تمتعت بها قبل ٤ مليار سنة... دون أي تغيير أو تطوّر أو

تحوّل. هي غير قابلة للتدمير. إنها متممات مجهرية مجهّزة بقدرة فريدة وعجيبة على تحويل الجحيم إلى جنّـــة، كمـــا فعلـــت بكوكب الأرض.. وهذا ما سنشرحه لاحقاً).

إذا اتخذنا هذه الوثبة الفكرية الجريئة وتقبّلنا حقيقة "التبزير المقصود"، فسوف نواجه الكثير من الأسئلة المتسلسلة. هل حـــصل هذا التبزير في كافة الكواكب أو فقط في كوكب الأرض؟ لماذا الأرض؟ لماذا حصل التبزير عندما كانت تغلي وتثور وتحترق؟ لماذا ليس بعد عدة مليارات من السنين حيث تكون قد بردت وأصبح جوّها معتدلاً؟.. هذه الأسئلة الجيّدة، والكثير غيرها، قابلـــة للتفسير والإجابة. لكن جميعها بعيدة عن المسألة الأساسية، وهي: لماذا يرغب أحداً (أو شيئاً ما) في أن يجلب الحياة إلـــى هنـــا أساساً، إن كان إلى كوكبنا الأرض أو إلى أي كوكب آخر؟ وهذا سيؤدي بنا إلى السؤال الأهم، والذي سيقلق الكثير منا: ***هل تم إحياء وتعديل وإصلاح هذا الكوكب بشكل مقصود؟.. من فعل ذلك؟.. ولماذا؟!***

أهلاً بكم إلى عالم النمل

إن مفهوم إصلاح وتعديل بيئة الأرض من قبل كائنات عاقلة يستنهض في مخيلتنا صورة مدينة النمل، وهـــي هوايـــة مـــسلّية يمارسها بعض الأشخاص، يقومون بتصميم مدناً أو بيئة معيّنة (داخل علبة أو صندوق) ويضعون فيها نـــوع مـــن النمـــل (أو حشرات صغيرة أخرى) ويراقب تصرفاتها. في جميع الأحوال، لا بدّ من أن راود كل منا فكرة أن نحن البشر، وكافة الكائنات الأخرى، مجرّد لاعبين صغار على مسرح كبير جداً بالنسبة لنا لدرجة أننا لا ندرك شموليته بالكامل. ومع ذلك، هذا المـــسرح الكبير (كوكب الأرض) الذي لا نستطيع استيعاب شموليته وضخامته، هو في الحقيقة مجرّد كرة صغيرة جداً تسبح في رحـــاب فضاء كون واسع جداً بحيث لا حدود له. إنه سيناريو غير مرغوب فعلاً، وقد يكون غير صحيح، لكـــن وجـــب أخـــذه بعـــين الاعتبار. إذاً، ماذا بعد؟ ماذا لو كنا مجرّد ممثلين صغار جداً في فيلم سينمائي كوني عملاق بلغت مدته حتى الآن ٤ مليـــارات سنة؟ وطالما تُركنا للعيش منفردين للقيام بمهامنا وعيش حياتنا بسلام معقول نسبياً، فأين الضرر في ذلك؟

هل يمكن أن تكون هذه الفكرة المذهلة ممكنة؟ أو أنها معقولة بنسبة معيّنة؟ دعونا نعيد النظر في الحقائق التي أمامنا، وليس تلك التي جعلونا نؤمن بها من خلال تظليلنا على يد الذين منحناهم ثقتنا العمياء. الحقيقة الأولى، البسيطة والواضحة، هي أن ***الحياة جاءت إلى كوكبنا*** عندما كان عبارة عن جمرة نار متوهّجة على وشك أن تبرد. أشكال الحياة الأولى التي جُلبت، ***نوعين مـــن بكتريا البروكاريوت***، هي أبسط الكائنات المجهرية وأكثرها قدرة على التحمّل. والأهم من ذلك هو أنها تتمتـــع بقـــدرة فريـــدة وعجيبة على ***إنتاج الأكسيجين*** كنتيجة لعمليات الأيض metabolic processes التي تجريها.

لماذا الأكسيجين؟ لماذا هو مهمّ؟ لأنه من دون بيئة جوية تستند على الأكسيجين، فالحياة التي نعرفها تصبح مستحيلة. لكن طبعاً، الكائنات العضوية التي نسميها "لا هوائية" anaerobic تستطيع العيش من دون الأكسيجين، لكنها كائنات بـــسيطة ولا تـــستطيع إكمال السيناريو لوحدها. الأكسيجين ضروري جداً للحياة المركّبة التي نعرفها والتي هي الأكثر وتعقيداً، ويبدو أنه ضـــروري بالنسبة لأشكال الحياة المتطورة في كل مكان وليس فقط في هذا الكوكب. إذا كانت هذه هي المـــسألة، أي الأكـــسيجين، تمثّـــل عنصراً أساسياً للحياة في كافة أنحاء الكون، فبالتالي، أصبح الأمر عقلانياً ومنطقياً (إذا نظرنا في الأمـــر مـــن منظـــور تلـــك الكائنات الفضائية) أن تكون الحمولات الأولى التي يشحنوها إلى هذا النظام الشمسي تحتوي على بكتريا "البروكاريوت".

دعونا نضع أنفسنا مكانهم. إنهم، كفصيلة عاقلة، متطورون بشكل خيالي، حيث حضارتهم تحوز على خبرة دامت عدة ملايين أو حتى مليارات من السنوات. وبالتالي، فالسفر عبر الفضاء الواسع، أو حتى عبر الزمن، لا يعني شيئاً بالنسبة لهم. إذاً، فقطع مسافات شاسعة عبر الفضاء لا يمثّل مشكلة كبيرة. خلال سفرهم بحثاً عن أنظمة شمسية تحتوي على كواكب مناسبة لنثر بذار الحياة فيها، وصلوا إلى منظومتنا الشمسية، حيث كانت الكواكب في طور مناسب لغايتهم المنشودة، ورشّوا كميات معيّنة من بكتريا "البروكاريوت" في كل من هذه الكواكب الحديثة على أمل أن يسمح كوكب أو اثنين منها بازدهار الحياة على سطحه.

إن ما تعرفه هذه "الكائنات الفضائية" هو أنه مجرّد ما عمّت بكتريا "البروكاريوت"، فسوف تتزايد عبر الزمن ومن ثم تتمكّن من إنتاج ما يكفي من الأكسيجين لكي تحوّل أولاً كل الحديد على سطح الكوكب الذي يبرد تدريجياً إلى "أكسيد حديد" (صدأ)، ومجرّد ما تم إنجاز ذلك، والذي لا بد من أن يستغرق وقتاً طويلاً، أي ربما مليار سنة (والذي يبدو أنه لا يعني شيئاً بالنسبة لكائنات متطورة متعددة الأبعاد).. وسوف يتوفّر المزيد من الأكسيجين الذي تنتجه "البروكاريوت" لإشباع مياه البحار والجو في الأعلى.

عندما يصبح ذلك الإشباع كافياً بدرجة معيّنة، أي دعونا نفترض بعد مليار سنة أخرى، تبدأ الكائنات الفضائية بتقديم أشكال حياة أكثر تعقيداً للكوكب. كمثال على هذه النوعية الجديدة من أشكال الحياة هناك بكتريا "اليوكاريوت" eukaryotes، والتي تُعتبر ثاني شكل حياة يُقدم لكوكب الأرض، وهو بكتريا أحادي النواة والذي من الواضح بأنه ظهر فجأة من لا شيء (أي أنه لم يتطوّر من شكل سابق)، لقد ظهر بنفس سرعة ظهور "البروكاريوت"، لكن بعده بملياري سنة على الأقل. إن "اليوكاريوت" مميّزة لأنها تمثّل شكل الحياة الأولى التي تحتوي على نواة، والتي تشكّل أساس كل أشكال الحياة على وجه الأرض ما عدا "البروكاريوت". فنحن البشر مثلاً نُصنّف على أننا مخلوقات "يوكاريوتية" eukaryotic creatures. هذه الدفعة الثانية من البكتريا التي جاءت إلى الأرض (أي اليوكاريوت) لازال شكلها قائماً اليوم كما كانت منذ وصولها إلى الكوكب (أي لم تتطوّر

أو تتحوّل أو تتغيّر)، وهي أكبر حجماً من سلفها "البروكاريوت"، وصحيح أنها أكثر هشاشة منها، لكنها أكثر كفاءة في إنتاج الأكسيجين.

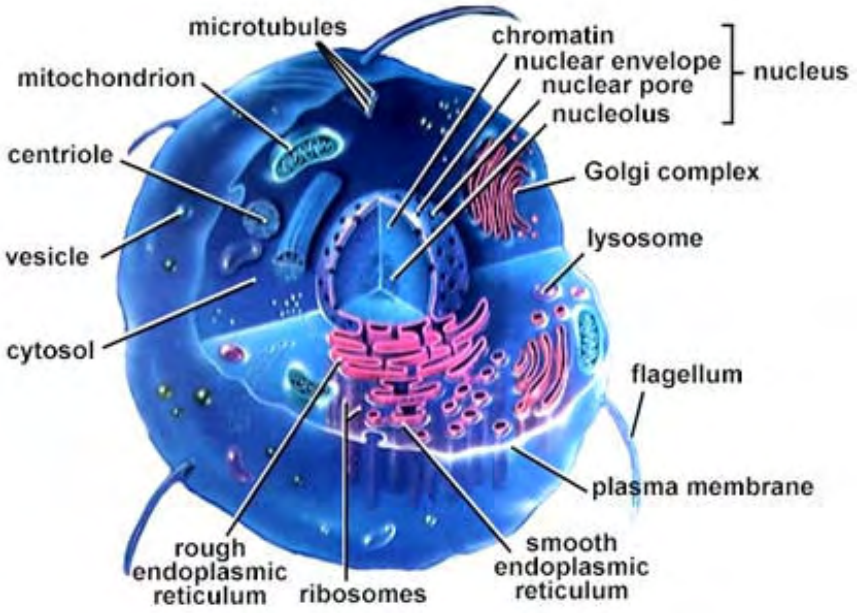

بكتريا "اليوكاريوت" eukaryote

بعد الانتهاء من المرحلة الأولى في برنامجهم، ينتظر هؤلاء الفضائيون بصبر وتأنّي حتى يبرد الكوكب إلى درجة يمكن فيها تقديم أشكال حياة حقيقية. وعندما يحين الوقت المناسب، دعونا نقول منذ حوالي نصف مليار سنة، يقدمون أشكال حياة أكثر تنوعاً وتطوراً وتعقيداً، وتلك الفترة من تاريخ الأرض تُدعى "المرحلة الكامبرية" Cambrian حيث شهدت ظهور كم هائل من الحيوانات المتنوّعة (معظمها بحرية) ويشير العلماء إلى هذه العملية بالانفجار الكامبري Cambrian Explosion. بين ليلة وضحاها، ظهر الآلاف من الكائنات والفصائل المختلفة، ذكور وإناث، فرائس وطرائد.. لقد أصبحت الأرض فجأة مفعمة بالحياة الغنية والمتنوعة. قد يبدو الأمر غريباً لكن هذا ما حصل بالفعل (أنظر في قسم العصور الجيولوجية).

يستمرّ الفضائيون بمراقبة مشروعهم القائم في كوكب الأرض. وطبعاً، لا بد من أنهم لاحظوا أمراً مهماً، هو أن هذا الكوكب يتعرّض بشكل دوري لكوارث كونية (ربما اصطدام مذنبات)، وهذه الكوارث تقضي على ٥٠% إلى ٩٠% من أشكال الحياة في هذا الكوكب. (هكذا كوارث كونية مسببة لدمار شامل قد حصلت أكثر من خمس مرات على الأقل، وهذا ما تشير إليه الآثار الجيولوجية، وآخر دمار شامل مسح كل شيء من على وجه الأرض إلى حدّ الفناء حصل في العصر الكريتاسي Cretaceous، أي قبل ٦٥ مليون سنة، والتي قضت على الديناصورات). بعد كل كارثة كونية شاملة، ينتظر الفضائيون عدة آلاف من السنوات، حتى تستعيد الكرة الأرضية توازنها الحيوي، ثم يقدمون دفعة أخرى من أشكال الحياة: نباتات وحيوانات جديدة تستطيع الصمود في البيئة القائمة بعد الكارثة، (هذه الحقيقة أيضاً تستند على دلائل ملموسة تقدمها المستحاثات الصخرية)، ويحاول العلماء المنهجيين تفسير هذا التحوّل المفاجئ والتلقائي الواسع في نوعية أشكال الحياة بالاستناد على فرضية مُلحقة بنظرية التطوّر الداروينية وتُسمى "التحوّل السريع"، المصطلح العلمي هو punctuated equilibrium، ويُقصد

به: التحوّل السريع لأشكال الحياة دون المرور عبر مرحلة طويلة من التطوّر التدريجي. فكما هي الحال دائماً، لقد وجدوا فتوى مناسبة تخلّصهم من هذا المأزق، مع أنهم يعلمون أن هذا التفسير ليس صحيحاً إطلاقاً. إن ظاهرة ***الظهور المفاجئ لأشكال حياة مختلفة تماماً عن أشكال حياة سابقة اختفت فجأة*** يُعدّ من الألغاز التي لازال العلم المنهجي يتجنب الدخول في تفاصيلها.

وأخيراً، مهما بدا السيناريو السابق صارخاً ومشيناً، أو كفراً وإلحاداً... إلا أنه أقرب إلى الواقع من نظرية التكوين (الدينية) ونظرية النشوء (الداروينية)، والسبب سوف يفاجئكم: إن هذا السيناريو الذي قرأتموه الآن هو الوحيد الذي تدعمه الدلائل الملموسة إن كانت جيولوجية أو أثرية أو تاريخية، وبالإضافة إلى التسلسل المنطقي. وهذا ما يجعل الأمر مضحكاً ومبكياً بنفس الوقت. حيث رغم هذه الأسس المتينة التي تدعم فرضية التدخّل الفضائي الخارجي كسبب رئيسي لأصل الحياة على الأرض، إلا أن هذا المفهوم يتعرّض للتجاهل الكامل والمستمرّ (لدرجة القمع) من قبل الجبارين الفكريين اللذان يحكمان عالم المعرفة الإنسانية: ***الدين المنظّم.. والعلم المنهجي***. وهذا الوضع طبعاً يمكن أن نفهمه ونستوعبه. فالأمر لا يتعلّق بمعرفة الحقيقة (حيث لا أحد يأبه بالحقيقة أصلاً)، بل يتعلّق بالسيطرة والنفوذ. الأمر إذاً هو استراتيجي أكثر من كونه معرفي. إن مجرّد السماح بمناقشة هذه الحقيقة التاريخية بانفتاح سوف يجعلها تكسب مصداقية سريعة، وكلا الجانبين المتنازعين (الدين/العلم) لا يتحملان هكذا مخاطرة في الوقت الحاضر. فكلاهما مرتاح الآن في هذا الصراع الثنائي القائم بينهما، وآخر ما يريدانه هو دخول جانب ثالث ينافسهما.

لكن تنبّهوا... فقد بدأ هذا الجانب الثالث بالظهور بقوة، ويتنامى بسرعة.. والسنوات المقبلة سوف تشهد الكثير من المفاجآت. فلذلك أنصحكم بأن لا تظهروا الكثير من الثقة واليقين في قناعاتكم وأحكامكم المسبقة.

بعد تكوين فكرة عن الحقائق الجديدة حول أصل الحياة، والتي لا تمثّل افتراضات أو وجهات نظر ضيّقة، بل تستند على اكتشافات علمية ثابتة. دعونا الآن نتعرّف على الطبيعة المميزة للكائن البشري، ذلك من خلال النظر إليه من زاوية جديدة مختلفة تماماً عن طريقة النظر التي ألفناها سابقاً، وبعدها، ربما نستطيع استيعاب ما سيأتي من معلومات بسهولة أكثر.

الموضوع التالي هو مُقتبس من كتاب بعنوان "***من نحن؟***" (للكاتب نفسه)، والذي يتناول الجانب الغامض من الكائن البشري وقدراته الاستثنائية التي تميّزه عن باقي الكائنات الأخر. واعتقد بأنه الأنسب لبدء به القسم التالي وما سيحتويه من مواضيع.

مـــن نحـــن؟

الطبيعة الاستثنائية للكائن البشري

إن كافة الجهود التي بُذلت عبر التاريخ لوصف فصيلتنا البشرية كانت ولازالت تنطلق من مفاهيم ضيّقة متوافقة مـع مـا هـو مألوف ومعروف. والذي هو مألوف ومعروف بخصوص طبيعة الإنسان وقدراته الحقيقية هو ضئيل جداً مما تـرك الجانـب الأكبر، وهو الأهم، مجهولاً تماماً.

وبطبيعة الحال، إذا أردنا تعريف أو تحديد الجانب غير المفهوم من فصيلتنا البشرية، فسوف يحتلّ مساحة كبيرة جداً بالمقارنـة مع ما نعرفه ونألفه. وبالتالي ما هو معروف يمثّل مفاهيم ضيّقة لا يمكن أن ترقى إلى المـستوى الحقيقـي لطبيعـة الإنـسان الاستثنائية.

يمكن استيعاب الفكرة السابقة، ومن زوايا مختلفة، بعد اعتبار ما يلي:

أحد العوامل الفريدة لفصيلتنا البشرية هو أنها تحوز على قدرات "فكريـة" intelligence و"عقليـة" mental كافيـة لأن تقـوم باجتهادات، ليس فقط للتعبير عن نفسها، بل للتعبير عن، وتفسير الوجود من حولها أيضاً.

ربما يعجز الكثيرون عن استيعاب عظمة هذا العامل الفريد الذي تتمتع به الفصيلة البشرية، خاصة أذا كـان إدراكهـم العـام محصور ضمن مستويات دنيا حيث لا يوجد تقدير حقيقي لمعنى الفكرة السابقة.

حسبما عرفناه عن الكائنات الأرضية الأخرى، يبدو أن فصيلتنا هي الوحيدة التي تحوز على هذه الميـزة الاسـتثنائية، وهـي تحوزها على مستوى الفصيلة بالكامل (كافة الأعراق البشرية).

وبالإضافة، فصيلتنا هي الوحيدة التي شيّدت صروح تنظيمية اجتماعية وثقافية وعمرانية مذهلة بالمقارنة مع الفصائل الأرضية الأخرى.

هذا العامل الفريد أيضاً يمثّل حقيقة أكثر إذهالاً إذا أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة التالية: صحيح أن أصـولنا الحقيقيـة وسـبب وجودنا غير مفهومة بعد، لكن فصيلتنا البشرية شرعت إلى اختراع أو تخيّل سيناريوهات تشرح هذه الألغاز، وقبل بها الكـائن البشري كحقائق ثابتة.

هذه السيناريوهات المُبتكرة بشرياً والتي تفسّر سبب وطبيعة وجودنا هي عديدة ومتنوعة، وبالتالي، كل مجموعة بشرية تتخـذ أحد هذه السيناريوهات وتؤمن به على أنه يمثّل الحقيقة. وبالتالي، بما أن السيناريوهات مختلفة ومتنوعـة وتمثّـل مجموعـات

بشرية محددة وليس كامل الفصيلة البشرية، فهذا يعني أن تلك السيناريوهات هي مجرّد صور صُغرى مجزّأة ولا ترقى لمستوى الصورة الكبرى التي من المفروض أن تشمل كامل الفصيلة البشرية.

كافة السيناريوهات المُبتكرة بشرياً، والمتعلقة بالطبيعة الحقيقية لفصيلتنا، تركّز دائماً على الجانب الجسدي (المادي) للكائن البشري، مهما تمادت في مزاعمها وادعاءاتها الروحانية غير الدنيوية.

ليس هناك أدنى شكّ بأن الأجساد البيولوجية البشرية تمثّل إنجاز هندسي بيولوجي مذهل وعجيب، إن كان هذا الإنجاز طبيعي، ناتج من عامل الصدفة، اصطناعي، إلهي..أو غيرها من "سيناريوهات نشوء" تأخذ بها المذاهب العلمية والفكرية المختلفة.

لكن بالإضافة إلى الجانب الجسدي، هناك الجانب المذهل الآخر الذي نادراً ما يتم مناقشته أو تعريفه أو استكشافه، مع أنه يحوز على إجابات كثيرة بخصوص الأصول الحقيقية للكائن البشري (وبنفس الوقت، يدحض بكل السيناريوهات الضيّقة المُبتكرة بشرياً). هذا الجانب يكشف عن حقيقة مذهلة أخرى يمكن تلخيصها بما يلي:

إن فصيلتنا البشرية مجهّزة بعناصر واستعدادات وقدرات تتجاوز، بأشواط عديدة، ما تتطلّبه عملية البقاء على كوكب الأرض!

أي بمعنى آخر، ومن الناحية الاستراتيجية، إن التجهيزات التي مُنحت لفصيلتنا البشرية تتجاوز حدود الهدف البدائي الذي نسميه "الصراع للبقاء" survival. وهذه السمة وحدها ترفع بفصيلتنا إلى مستويات أرقى بكثير من الكائنات الأرضية الأخرى والتي يبدو واضحاً أنها مُصممة لمهمات بدائية لا تتجاوز حدود "الصراع للبقاء".

هذا العامل وحده يثبت حقيقة وجود مسافة شاسعة جداً بين فصيلتنا وباقي الفصائل الأرضية الأخرى. وهذا يمهّد الطريق لبروز السؤال الكبير حول الأصول الحقيقية للكائن البشري.

طبعاً، وكما ذكرت سابقاً، فقد تم توفير الكثير من التفسيرات (السيناريوهات المُبتكرة بشرياً) التي تجيب على هذا السؤال الكبير، لكن جميعها تعبّر عن صور صُغرى ولا ترقى إلى مستوى صورة واحدة كُبرى، ويبدو أن جميعها تجاهلت حقيقة مهمة جداً وهي وجود مسافة هائلة بين فصيلتنا والفصائل الأخرى.

وتوضيحاً للفكرة السابقة، يمكن القول بأن كافة الجهود المبذولة لفهم واستيعاب فصيلتنا البشرية ركّزت على تشابهنا مع الفصائل الأخرى، وليس على الاختلافات الكبيرة التي تفصلنا عنها.

وكإثبات على حوزتنا لقدرات وخواص تتجاوز حدود مهمة "البقاء"، هو أن فصيلتنا البشرية تملك الكثير من القدرات الاستثنائية الكامنة التي لا تُستخدم إطلاقاً. لكنها مع ذلك تقبع في جوهر الكائن البشري جيلاً بعد جيل، إلى أن تشاء الأقدار لأحد هذه

القدرات الاستثنائية أن تبرز تلقائياً لدى أحد الأفراد بطريقة غير متوقعة أو محسوبة، وغالباً ما يكون تجاوباً لظرف معيّن فُرض عليه. حينها فقط يعلم الإنسان بأنه أكثر مما هو عليه بكثير.

هذه القدرات البشرية الاستثنائية ليست فقط مجهولة (بحيث لا تُدرك سوى بعد ظهورها تلقائياً وبالصدفة)، بل هناك الكثير من الثقافات الاجتماعية (المُبتكرة بشرياً) التي تشرع إلى وضع مثبطات لمنع ظهورها، واعتبارها من المظاهر غير المرغوبة اجتماعياً، وإجراءات أخرى تشجّع على قمعها ومحاولة إلغاء استخدامها في الحياة اليومية للبشر.

إحدى الأفكار الشائعة التي يمكن ذكرها لمساعدتنا على فهم الفكرة السابقة تقول بأن الكائن البشري لا يستخدم سوى ١٠% من قواه العقلية. وأعتقد بأن هذه ليست مجرّد فكرة نظرية بل قريبة جداً من الواقع، حيث يبدو واضحاً أن القوانين الاجتماعية التي تفرضها سلطات مختلفة (دينية، سياسية، علمية.. إلى آخره) لا تشجّع الفرد على استخدام أكثر من هذه النسبة المئوية الضئيلة من قدراته العقلية!

وهذه الحقيقة وحدها تضعنا أمام أحد أكبر الألغاز المتعلّقة بالإنسان:
ــ لماذا تحوز فصيلة معيّنة على قدرات استثنائية عديدة، لكنها لا تستخدمها؟
ــ بمعنى آخر، لماذا تم تجهيز هذه الفصيلة بكل تلك القدرات الاستثنائية إذا لم يكن مخططاً لها تفعيلها واستخدامها أصلاً؟!

سوف نتعرّف إلى المزيد من الحقائق المذهلة المتعلّقة بالإنسان في كتاب *"**من نحن**"* (للمؤلف نفسه)، لكن أعتقد بأن الحقائق القليلة التي طُرحت كافية لأن توضّح فكرة مهمة جداً بخصوص الطبيعة البشرية. وهذا في الحقيقة يؤدي بنا إلى سؤال آخر أكثر جرأة:

هل الكائن البشري نشأ وتطوّر أصلاً للعيش على كوكب الأرض؟!

هناك الكثير من الأسباب التي تجعلنا نطرح هذا السؤال، ليس فقط لإثارة أحلامنا ودغدغة خيالنا، بل من أجل النظر بجديّة في هذا الموضوع. هناك ظاهرة واحدة فقط (نختبرها يومياً رغم أننا لم نفطن لها أبداً) تكفي لتجعلنا نطرح هذا السؤال بشكل جدّي وحثيث. هذه الظاهرة تتمثّل بحقيقة أن:

الكائن البشري هو الوحيد الذي لا يستطيع النظر مباشرة إلى الشمس بعيون مفتوحة.. بينما كافة الكائنات الأرضية الأخرى تستطيع فعل ذلك!

إذا راقبت الحيوانات من حولك، الأبقار، الكلاب، الزواحف، العصافير.. سوف تكتشف بأنها جميعاً لا تواجه أي مشكلة في النظر بعينين جاحرتين نحو الشمس! هل نبّهك أحد إلى هذه الحقيقة المذهلة؟ ما هو السبب الذي جعل الإنسان مختلفاً؟ الجواب هو بسيط وواضح:

البيئة الأرضية لا تناسب تركيبة الإنسان البيولوجية

لكن رغم ذلك، وبفضل طبيعته العجيبة المجهّزة بقدرات استثنائية متعددة، تمكّن من تطويع نفسه للتعايش معها

هذا الاستنتاج السابق يقودنا مباشرة إلى طرح أسئلة كبيرة مثل:

إذا كانت البيئة الأرضية غير مناسبة لتركيبة الإنسان البيولوجية، فمن أين جاء إذاً؟.. وكيف وصل إلى هنا، حيث أُجبر على العيش في هذه البيئة الجديدة مما اضطرّه إلى التعايش معها وتحمّلها؟

الأصول الفضائية للإنسان؟

ربما يتساءل بعضكم: إذا أردنا الافتراض بأن أصل الإنسان لا يعود لكوكب الأرض، بل إلى مكان ما في الفضاء الخارجي، فهل هناك دلائل وإثباتات ملموسة، أو وقائع تاريخية موثّقة تدعم هذه الفرضية؟

الجواب:

كل شيء في التاريخ البشري القديم يتحدّث عن هذه الحقيقة لكنه إما مقموع أو مخفي أو مُحرّف أو مفقود.. ورغم ذلك، فلازالت بقايا من هذه الأحداث التاريخية محفوظة (جزئياً على الأقل) في الذاكرة البشرية منذ ذلك الزمن الغابر، إما على شكل أساطير أو نصوص مقدّسة أو عينات ملموسة أو دلائل أثرية. والسيناريوهات التي تتحدث عن هذه الحقيقة التاريخية هي كثيرة، (يختلف السيناريو حسب اختلاف العرق البشري) لكن يمكن تصنيفها إلى سيناريوهين رئيسيين:

السيناريو الأوّل

[سيناريو روبنسون كروزو]

يتحدث هذا السيناريو عن عملية هبوط إجباري على كوكب الأرض واضطرار الكائنات الهابطة لأن تتعايش مع البيئة الجديدة التي يوفرها هذا الكوكب الجديد لأنهم عجزوا عن العودة إلى ديارهم بسبب عدم توفر التقنيات اللازمة، أو ربما بسبب دمار كوكبهم الأصلي، فانحدروا عبر الأجيال من مستوى متطوّر إلى مستوى بدائي جداً. أي يمكن تشبيه هذا السيناريو بقصة "روبنسون كروزو" الذي علق على جزيرة نائية في أحد المحيطات، فانحدر من مستوى رجل أوروبي ينتمي لطبقة نبيلة راقية إلى إنسان بدائي (شبه متوحّش) ليس لديه أي همّ سوى الصراع من أجل البقاء ومحاولة التعايش مع بيئته الجديدة.

"روبنسون كروزو"

إذا أردنا التفكير وفق ما يفرضه هذا السيناريو، وجب أن لا ننخدع بالحالة البدائية التي تظهرها بعض المجموعات البشرية التي تسكن الأدغال أو الجزر النائية، فنحكم عليها مباشرة بأنها شعوب بدائية لا بد من أن تكون أصولها حيوانية (قرود مـــثلاً) ولا يمكن لها منطقياً أن تنحدر من أصول فضائية متطوّرة.

مهما أظهره الإنسان من بدائية وتوحّش، فهذا لا يمنعنا من افتراض فكرة انحداره من أصول فضائية متطورة

مثال واقعي

هناك مناسبات كثيرة يتم فيها إثبات حقيقة أن مجرّد أسطورة تتناقلها الأجيال عبر الموروثات الشعبية بحيث تعتبـــر مـــستحيلة عملياً، هي في النهاية عبارة عن تاريخ حقيقي لأحداث وقعت فعلاً، وغالباً ما تقودنا إلى اكتشاف آثار مادية لما يروى. القـــصة التالية هي مثال واقعي يدعم هذه الحقيقة.

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

عـــــرق الـــدروبـــاس

DROPAS

في أعالي جبال بيان ــ كارا – يولا Bayan – Kara – Ula على حدود الصين والتبت كان فريقاً من علماء الآثار يدير مـــسحاً رتيباً مُفصّلاً لسلسلة من الكهوف الموجودة هناك، وقد أثار اهتماماتهم اكتشاف صفوف منظمة لقبور تحتوي على هياكل عظمية لما يجب أن يكون عرقاً غريباً من البشر حيث أن لها أجسام هزيلة ورؤوس كبيرة جداً.

اعتقدوا في البداية أنّ تلك الكهوف كانت عبارة عن ملاجئ لأجناس معيّنة من القرود غير المعروفة. ولكن كما صـــرّح قائـــد الفريق، عالم الآثار الصيني البروفيسور "تشي بو تي" Chi pu tei، متسائلاً: ".. من سمع بقرود تدفئ بعضها البعض..؟" وبينما كانت تتم دراسة الهياكل العظمية، عثر أحد أفراد الفريق على قرص حجري دائري كبير، نصفه مغمور بـــالتراب فـــي أرض الكهف. اجتمع الفريق حول هذا الاكتشاف وراحوا يتفحصوه بإمعان. بدا كنوع من "اسطوانة فونوغراف" لكنه آت من العـــصر الحجري! وكان هناك فجوة في المركز وأخدود حلزوني يتشعّب إلى الحافة.

أظهر فحص أدق أنّ الأخدود كان في الواقع خطاً حلزونياً متواصلاً مكتوب عليه بطريقة دقيقة ومتقنة جداً. كانت هذه القطعـــة عبارة عن سجل من نوع خاص، تشير الدلائل إلى هذه الحقيقة بأكثر من طريقة. لم يكن أحد في ذلك الوقت (١٩٣٨م) يمتلـــك الحل لرسالتها المذهلة. تمّ تصنيف القرص وحفظه بين الاكتشافات الأخرى التي تمت في المنطقة ذاتها... حتى الذين عرفـــوا بوجوده لم يعرفوا شيئاً عن معناه أو القصد منه. حاول العديد من الخبراء ترجمة الحروف الهيروغليفية خلال عشرون ســـنة، وكلّهم فشلوا. بقي الحال كذلك إلى أن تمكن البروفيسور الدكتور "تسوم أم نوي" Tsun Um Nui من حل الشيفرة وبدأ يكتـــشف المعنى الغامض للأخاديد. وبذلك عرفت المضامين الغريبة للأسطوانة. لكن بقي الأمر سراً محصوراً ضمن عـــدد قليـــل مـــن الأشخاص المعنيين بالأمر، أما العالم بأسره، فبقي جاهلاً عن هذا الاكتشاف الكبير. كانت الحقائق التي اكتشفها البروفيسور من خلال ما كتب على القرص هائلة جداً لدرجة أنها منعت رسمياً من الظهور للعلن! لقد منعته أكاديمية بيكنغ للأبحاث التاريخية من نشر نتائج بحثه.

وبعد سنتان، أي في عام ١٩٦٥، أعطي الترخيص أخيراً للبروفيسور وأربعة من زملائه لإظهار نظريتهم. وظهـــرت تحـــت عنوان طويل ولكنه مثير، هو التالي:

"النصوص المسجّلة على الاسطوانات تتحدث عن سفن فضائية حطت على الأرض قبل اثنا عشر ألف سنة"!!

تروي الكتابات المحفورة على الاسطوانات المكتشفة في نفس الكهوف (عددها ٧١٦ اسطوانة) – قصّة مدهـــشة لـــــ"مركبـــة فضائية" مأهولة من قبل سكان كوكب آخر سقط في سلسلة جبال بايان – كارا – يولا. روت هذه الكتابة الحلزونية الغريبة كيف أُسيء فهم النوايا السليمة للغرباء وكم عدد الذين تمّ اصطيادهم وقتلهم من قبل أفراد قبلية "هام" Ham الذين كانوا يعيـــشون فـــي الكهوف المجاورة.

وفقاً للبروفيسور "تسون أم نوي"، تم تفسير أحد خطوط الكتابة الهيروغليفية كما يلي: *".. نزل الدروبا من الغيوم في طائراتهم... اختبأ رجالنا ونساؤنا وأطفالنا في الكهوف عشر مرّات قبل شروق الشمس... وعندما فهموا أخيراً اللغة الرمزية للدروبا، أدركوا أنّ القادمين الجدد ذو نوايا حسنة.."*

عبّر مقطع آخر عن أسف قبيلة "هام" على تحطّم سفينة فضائية للغرباء في مثل هذه الجبال البعيدة والصعبة الوصول وعلى عدم وجود طريقة لصنع سفينة فضائية جديدة تمكن الدروبا من العودة إلى كوكبهم. وفي أعوام اكتشاف أوّل قرص، تعلّم علماء الآثار وعلماء الإنسان المزيد حول منطقة بايان ــ كارا – يولا المعزولة. وبدا أنّ الكثير من المعلومات تؤيّد القصّة العجيبة التي سجّلت على تلك الأقراص.

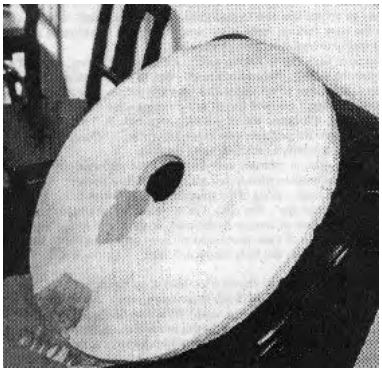

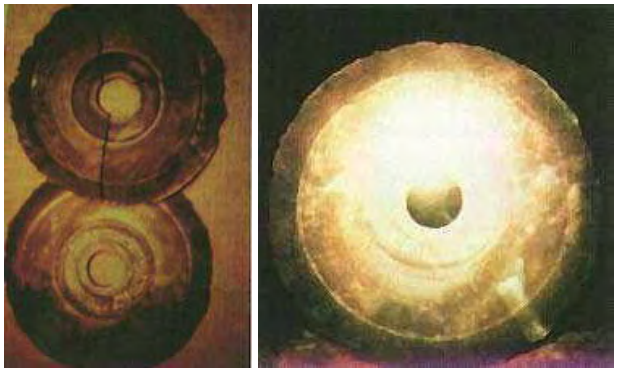

عينات من الاسطوانات المُكتشفة

لا تزال الأساطير باقية حول وجود رجال ذو وجوه صفراء وصغيرة وهزيلة في المنطقة المذكورة والذين هبطوا من السماء منذ فترة طويلة جداً. وكان لهؤلاء "الأسلاف الأوائل" رؤوساً ضخمة ومنتفخة وأجساماً ضئيلة وكانوا قبيحين وكريهين لذلك كان يتمّ مطاردتهم من قبل رجال قبيلة "هام" على الأحصنة، والغريب في الأمر هو أن أوصاف المخلوقات المذكورة في الأسطورة تطابقت مع الهياكل العظمية المكتشفة في الكهوف من قبل البروفيسور "تشي بو تي" Chi Pu Tei.

ولاحظ علماء الآثار على جدران الكهوف نفسها صوراً مكشوفة بسيطة لشروق الشمس، والقمر.. وخريطة نجوم غير قابلة للتطابق مع تلك التي نألفها في سماء الأرض، وكلها متصلة ببعضها بواسطة خطوط ونقاط بحجم حبّة البازلاء. يعود تاريخ رسومات الكهف مع الأسطوانات لما يقارب اثنا عشر ألف سنة. لازالت منطقة الكهوف هذه مسكونة من قبل عرق شبيه بالقرود يسموهم شعب الهام والدروبا Ham&Dropas وهم ذو مظهر غريب، متوسّط طول رجال القبيلة الضئيل الحجم يبلغ حوالي خمسة أقدام فقط (١,٥ متر). هم ليسوا من أصل صيني ولا تيبيتي. وكما قال أحد الخبراء: "إنّ خلفيتهم السلالية غامضة تماماً".

ولكن حتى مع إعلان البروفيسور "توم أوم نوي" عن ترجماته المذهلة، لم تنتهي قصّة "الأسطوانات الفضائية". فقد طُلب العلماء الروس رؤية الاسطوانات ودراستها، وتمّ إرسال العديد منها من أجل البحث. ووفقاً لما قاله الدكتور "فياتشيسلاف سايزيف" Vyatsheslav Saizev، الذي وصف الاختبارات في المجلة السوفيتية "سبوتنك" Sputnik: *".. عندما تمّ وضع هذه الأشياء على قرص دوّار خاص اهتزت أو أصدرت همهمات بنغم غير عادي كما لو أنّ شحنة كهربائية كانت تمرّ عبرها. أو كما لو أنّها شكّلت جزءاً من دارة كهربائية..!"*

صورة مأخوذة لفردين من قبيلة "هام ودروبا" في بدايات القرن الماضي.

إنهم حقاً مختلفون عن شعوب تلك المنطقة.. وحتى عن البشر!

هل كانت الأسطوانات فعلاً عبارة عن سجلّ يروي قصة مخلوقات فضائية هبطت قسراً على كوكبنا وعجزت عن العودة إلى ديارها؟!.. هل كان ذلك منذ اثنا عشر ألف سنة مضت؟!

لا أحد يعلم كم من الكائنات الغريبة التي سقطت من السماء بمركبات فضائية كما حصل مع عرق "الدروبا"، وتعرّضت للملاحقة والذبح من قبل البشر الأرضيين، لكن الأساطير المتناقلة في أماكن كثيرة حول العالم تحدثت عن حصول الكثير من هكذا مجازر اقترفها سكان الأرض.

السيناريو الثاني

[التهجين والتلاعب الجيني]

هذا السيناريو يتحدث عن عمليات تهجين من قبل أعراق فضائية متطورة كانت تزور الأرض إما بشكل دوري أو بشكل مستمر. وتجري عمليات التهجين هذه إما بواسطة تلقيح النساء البشرية مباشرة (كما حالة "أطفال النجوم" في أمريكا الجنوبية)، أو إجراء "ولادات أنبوبية" بالاعتماد على عينات بشرية. وهذا السيناريو شائعاً جداً، حيث يبدو أن أساطير "أطفال النجوم" المنتشرة في أمريكا الجنوبية (المذكورة سابقاً) ليست الوحيدة في هذا العالم. هذا السيناريو بالذات متجذّر بعُمق في مُعظم الأساطير والموروثات الشعبية لدى كافة الأعراق البشرية.

كافة الحضارات القديمة آمنت بقدسية السلالات الملكية التي حكمتها عبر قرون طويلة. وهذه السلالات الملكية كانت وليدة أو تنحدر من آلهة مقدسين.. ليس آلهة خياليين بل حقيقيين من لحم ودم (كما سنرى لاحقاً). ابتداءً من ملوك سومر القديمة، نجد دلائل تشير إلى كونهم أنصاف آلهة، مُنحوا الحق المقدّس لحكم الرعايا البشرية بشكل مطلق. وكان هذا الحق مقدساً لدرجة لم يفكّر أحد بمناقشته أبداً. الأمر ذاته كان سائداً بالنسبة لفراعنة مصر، وملوك الإنكا في البيرو، وكذلك السلالات الملكية التي حكمت الصين القديمة واليابان أيضاً. جميعهم كان لديهم التقليد ذاته. جميعهم تحدثوا عن الأحداث التاريخية ذاتها (تختلف تفاصيلها حسب اختلاف الحضارة والشعب، لكن السيناريو هو ذاته). جميعهم تحدثوا عن أنه: ***منذ زمن بعيد جداً، تزاوج الآلهة الهابطين من السماء مع أبناء الإنسان لخلق سلالة خاصة ومميّزة من البشر المؤهلين لحكم الأمم التي ينتسبون إليها!***

حتى في أفريقيا، نجد هذا السيناريو ذاته في قصة "الأصل الملكي" التي تتوارثها سلالة شامانية عريقة جداً تعود لعصور غابرة، والمنحدرين من هذه السلالة يُعتبرون حُراس الحكمة القديمة لقبيلة الزولو Zulu. مع العلم أن الكلمة "زولو" Zulu تعني حرفياً "الشعب القادم من النجوم"! لأنهم كانوا يؤمنون بأنهم يمثلون عرقاً ملكياً/مقدساً يعود أصله إلى مكان ما خارج كوكب الأرض.

لازال الشاماني الكبير "كريدو موتوا" Credo Mutwa، ويُعتبر المؤرّخ الرسمي لشعب الزولو في أفريقيا، يحوز على أدوات وقطع فنية متوارثة من أجيال شامانية تنحدر من زمن بعيد جداً، ويستخدمها (كما فعل أسلافه قبله) لرواية القصة الحقيقية لشعب الزولو وباقي الأعراق البشرية.

الشامانـي الأكبر "كريدو موتوا" Credo Mutwa

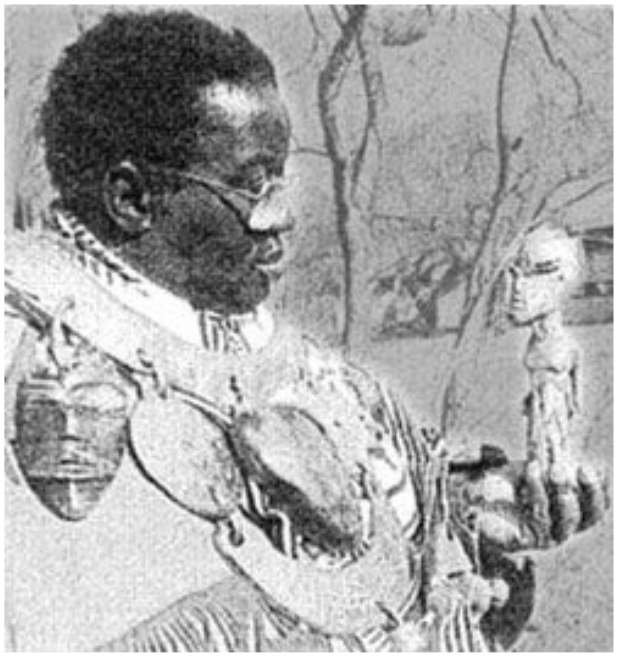

الشامانـي "كريدو موتوا" يحمل أحد الآلهة (الفضائية) بيده

إحدى هذه القطع الفنية التي يحوزها هي تلك التي تشبه العقد الذي يُرتدى حول الرقبة، لكنه ثقيل جداً لأنه من معـــدن الحديـــد، ويبدو أن له مهمة أخرى مختلفة تماماً. الهدف من صنع هذه العقود المعدنية الثقيلة (كالتي يرتديها حول عنقـــه فـــي الـــصور السابقة) هو من أجل حفظ المعرفة السرية التي لا يفهمها سوى المنتمين للحلقة الشامانية (أو السانوسية) المقدّسة.

أحد العقود التي ورثها "كريدو موتوا"، ويُسمى عقد الأسرار. ويُقدّر عمره بأكثر من ألف عام حسب تقدير "موتوا"، وربما يعود إلى قبل ذلك الزمن بكثير.

القطعة الدائرية الموصولة باليد هي، كما يقول الشامني "كريدو موتوا"، طبق طائر نزل به هؤلاء الآلهة (أو "الشيتايوري" كما يسمونهم) على الأرض. الخريطة النجمية المرسومة على الكف تمثّل الموقع الفضائي الذي قدم منه هؤلاء الفضائيون. والعين في منتصف الكف هي رمز يمثّل "المراقبون" أو "الشيتايوري" كما يسميهم حكماء الزولو، وهذا الرمز هو شائع جداً في كافة

الحضارات القديمة، أشهرها هي عين حورس العائدة لمصر القديمة والتي يستخدمها اليوم الكثير من المجتمعات السرية النافــذة حول العالم.

هذه الصورة تبيّن أحد مخلوقات "الشيتايوري" وهو يتزاوج مع امرأة بشرية

هذه صورة تبيّن قطعة معدنية دائرية موصولة بالعقد، وهي تمثّل الكرة الأرضية! تصوروا أن حكماء هذا الشعب كانوا يعلمون منذ ذلك الزمن البعيد بأن الكرة الأرضية دائرية الشكل، وليست مسطّحة كما كان سائداً بين مثقفي العالم حتى وقت قريب (منذ عدة قرون).

في الحقيقة، كافة الثقافات القديمة كانت تؤمن بهذه الحقيقة (كروية الأرض) لولا القمع الفكري والثقافي الذي جرى على مــدى قرون طويلة من الزمن، ذلك بهدف فرض أيديولوجيات قمعية مُفصّلة خصيصاً على قياس المسيطرين.

نستطيع الحديث عن هذا السيناريو الذي تناولته كافة الحضارات القديمة إلى ما لا نهاية. لكن أعظم السجلات التاريخية وأشملها التي تحدثت عن عرق متفوّق "هبط من السماء" هي تلك التي احتوتها عشرات الألوف من الألواح الفخارية المُكتشفة في العراق

عام ١٨٥٠م، على يد عالم الآثار "أوستن هنري لايارد" Austen Henry Layard، ذلك خلال أعمال تنقيب في موقع نينـــوى، عاصمة آشور. وقد حصلت اكتشافات مماثلة لها علاقة بهذا الموضوع في مواقع مختلفة في ما نسميها بلاد ما بين النهرين.
المصدر الحقيقي لهذه الروايات والمعرفة التي ترفقها ليس الآشوريين، بل السومريين الذين عاشوا في نفس المنطقة من حوالي ٤٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ ق.م. لهذا السبب سوف نشير إلى اللوائح الفخارية بأنها اللوائح أو النصوص السومرية. تُعتبر هذه اللـــوائح من أكثر الاكتشافات التاريخية إذهالاً وعجباً، ورغم ذلك فقد مرّ أكثر من ١٥٠ سنة على اكتشافها ولازالت مجهولـــة بـــسبب إهمالها من قبل المسيطرين على عالم المعرفة، ولهذا السبب لم تُذكر في التاريخ الرسمي والمنهج التعليمي أبداً. لماذا يا تُـــرى؟ السبب بكُل بساطة هو أنها تناقض كل ما هو معروف ويُدرّس بخصوص الأحداث التاريخية وأصول المعتقدات البشرية.

إن أشهر المترجمين لهذه اللوائح هو الأكاديمي والكاتب الشهير "زكريا سيتـــشن" Zecharia Sitchin، الـــذي يـــستطيع قـــراءة النصوص السومرية والآرامية واليهودية والعربية ولغات أخرى شرق أوسطية وشرقية قديمة. لقد تعمّق في دراســـة وترجمـــة النصوص السومرية لدرجة أنه أصبح متيقناً تماماً بأنها كانت توصف مخلوقات متطورة جداً قدِمت من الفضاء الخارجي!

"زكريا سيتشن"

لقد أحدثت أبحاث البروفيسور "زكريا سيتشن" جدلاً واسعاً في العالم الأكاديمي، ولازال الجدل قائماً حتى الآن. في ١٩٧٦ نُشر أوّل كتاب له وهو بعنوان "الكواكب الاثنا عشر" The 12th Planet، وفيه يصف زكريا ستشن المعرفة المتطورة والمعجزات التّقنيّة لحضارة سومر القديمة. وقد نشر ٨ كتب أخرى ختمها بكتاب يحمل العنوان: "كتاب أنكي المفقود" The Lost Book of Enki، وجميعها تحتوي على مقاطع مترجمة من تلك النصوص السومرية القديمة ومرفقة مع الصور والشروحات التي تجعـــل الشخص مُجبراً على إعادة النظر في كل شيء يعرفه عن العالم القديم.

يؤكّد من خلال عمله المثير للجدل بأنّ السّومريّين قد تم مساعدتهم في إنشاء حضارتهم من قبل عرق فضائي متقدّم، وهو الذي أشاروا إليه في المخطوطات القديمة بـــ"الأنوناكي" Anunnaki، وهي تعني باللّغة السّومريّة "الذين هبطوا من السّماء".

يروي "زكريا سيتشن" (وهو يهودي الأصل) المناسبة التي غيّرت طريقة تفكيره وجعلته مهتماً بهذا المجال من البحث، فيقول:

".. بدأت رحلة البحث في تاريخ الماضي البعيد نتيجة حادثة حصلت معي عندما كنت تلميذاً صغيراً في المدرسة، وكنت محظوظاً في حينها بدراسة العهد القديم (الوارد في الإنجيل) باللغة الأساسية وهي اليهودية (التوراة) لأكتشف مكمن الخطأ. عندما وصلنا إلى المقطع السادس من سفر التكوين، راح المعلّم يشرح لنا النصوص الواردة فيه إلى أن مرّ على النصين التاليين، مما أثار فضولي:

وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات،انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهنّ جميلات فاتخذوا لأنفسهم منهنّ زوجات حسب ما طاب لهم.

وفي تلك الحقب، كان في الأرض جبابرة، وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الإنسان وولدن لهم أبناء، صار هؤلاء الأبناء أنفسهم الجبابرة المشهورين منذ القدم.

.. فرفعت يدي بحماسة شديدة وقلت للأستاذ: سيدي، أعتقد بأن هناك خطأ ما في النصوص.. أليس من المفروض أن تعني الكلمة "نفيليم" Nefilim حرفياً "الذين هبطوا من مكان عالي" بدلاً من "عمالقة"؟.. أما بخصوص عبارة "بني ها ألوهيم" bene-ha-elohim التي تمثّل "أبناء الله" أليس من المفروض أن تعني حرفياً "أبناء الآلهة"، أي مجموعة آلهة وليس إله واحد؟..

.. في الحقيقة، بعد إعلاني عن هذه الملاحظات، ظننت بأن الأستاذ سيفرح لهذا الاكتشاف الكبير الذي حققته من خلال استعراضي لمستوى عالي من البلاغة والفقه اللغوي.. لكن هذا لم يحصل. ما حصل هو العكس تماماً، حيث فُتحت علي أبواب الجحيم. لقد تم توبيخي ومعاقبتي بشدّة، وتعلّمت درساً مريراً حرِص الأستاذ على أن لا أنساه في حياتي، ويتمثّل ***بعدم مناقشة النصوص المقدّسة أبداً!..***

.. لكن توقعات الأستاذ لم تكن في مكانها، حيث لم تنجح طريقته في قمع فضولي، بل تحوّل هذا الفضول إلى هوس حقيقي. أردت أن أعلم الحقيقة.. من كان "النفيليم" فعلاً؟ لماذا تم تمييزهم عن البشر من خلال القول بأنهم ".تزاوجوا مع أبناء الإنسان..."؟ لماذا وُصفوا في النصوص بأنهم ".. أبناء الآلهة.." بينما يترجم الأساتذة هذه العبارة على أنها ".أبناء الله.."؟. (كلمة "ألوهيم" Elohim الواردة في النصوص اليهودية تعني "آلهة" وليس "الله")...

.. وقادني هذا البحث، الذي احتل جزء كبير من حياتي، إلى الأساس الذي تأصّلت منه حكايا العهد القديم (التوراة)، الطوفان العظيم، برج بابل، خلق آدم... إلى آخره. وهذا الأساس كان مكتوباً في اللوحات السومرية التي تعود لأكثر من ستة آلاف سنة..

حسب الترجمة التي أجراها "سيتشن" (وغيره من الباحثين الآخرين)، تقول النصوص بأن الحضارة السومرية، والتي تأصل منها الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية التي نعرفها اليوم، كانت "هدية من الآلهة". ليس آلهة خرافيين بل من لحم ودم، والذين عاشوا مع البشر. تشير النصوص إلى هؤلاء الآلهة باسم "أن – أوناك – كي" AN.UNNAK.KI (الذين جاؤوا من السماء

إلى الأرض)، وكذلك باسم "دين– غير" DIN.GIR (الصالحين أصحاب الصواريخ المتوهّجة). وسومر ذاتها كان اسمها "كـــي– أن– غير" KI.EN.GIR (أرض رب الصواريخ المتوهّجة، وكذلك: أرض المراقبون، حسب "سيتشن"). ويشير النصّ المقـدّس المعروف بكتاب "أنوخ" Book of Enoch إلى هؤلاء الآلهة بـــ"المراقبون". وهذا ما فعله المصريون القدامى أيـضاً، والـذين سموا آلهتهم "نيتيرو" Neteru، والتي تعني حرفياً "المراقبون"، وقالوا بأن هؤلاء الآلهة جاؤوا من السماء بقوارب طائرة.

أحد الأسماء التي يستخدمها السومريون للإشارة للكرة الأرضية هو "المنفلع" (المبعوج)، وذلك، حسب قـولهم، بـسبب النقـرة الكبيرة التي تشكّلت نتيجة اصطدام جرم فضائي عملاق بكوكب الأرض في الماضي البعيد. وفعلاً، إذا جرّدت المحيط الهـادي من المياه، فسوف تجد في قاعه حفرة عملاقة من الواضح أنها ناتجة من صدمة جبارة.

وجب العلم بأن النصوص السومرية هي عبارة عن سجلات مكتوبة لروايات أقدم بكثير تناقلتها الألسن قبل توثيقها بزمن بعيـد جداً، لذلك وجب الانتباه لهذه النقطة جيداً والحذر من أخذ بعض التفاصيل بحرفيتها. لكن بشكل عام، هناك الكثير من الجوانـب التي تظهرها هذه النصوص والتي تمثّل حقائق منطقية أو واقعية بحيث يمكن إثباتها بسهولة، خاصةً إلمام السومريين الواسـع والمتقدم بعلم الفلك والأجرام السماوية.

تصوّر اللوائح السومرية النظام الشمسي مع الكواكب بترتيبها الصحيح، وكذلك مداراتها وحتى أحجامهـا، وهـذه الدقـة فـي الوصف لم يُصادق عليها علمياً سوى قبل ١٥٠ سنة فقط، أي بعد أن اكتُشفت الكواكب المكملة للمنظومة الشمسية، والتي كانت مجهولة بالنسبة للعلم قبل ذلك التاريخ. كما أن اللوائح وصفت بدقة كبيرة طبيعة ولون كوكبي نبتيون وأورانوس، وبطريقة لـم يُصادق عليها علمياً سوى منذ عدة سنوات فقط! والأمر المثير هو أن العلماء لم يتوقعوا أن يبدو هذين الكوكبين بالشكل الـذي ظهرا فيه. أي أن السومريين عرفوا قبل آلاف السنين ما لم يعرفه العلم الحديث قبل عدة سنوات فقط!

الأمر الأكثر إذهالاً هو وصف النصوص للطريقة التي خلق فيها "الأنوناكي" عرقاً من العمال العبيد (يعتقد البعض بأنها توصف طريقة خلق الإنسان الحديث homo sapien لكن هذا خطأ كبير وسوف أوضّح الأمر لاحقاً). يقـول "زكريـا سيتـشن" بـأن "الأنوناكي" قدموا إلى كوكب الأرض قبل ٤٥٠,٠٠٠ سنة، وراحوا يستخرجون معدن الذهب في أفريقيا، وتحديداً في ما نسميها اليوم "زيمبابوي" Zimbabwe، وهي منطقة يشير إليها الأنوناكي (حسب النصوص السومرية) بـــ"أب– زو" AB.ZU (ومعناها: المخزون العميق). بعد استخراج الذهب من تلك المناجم العميقة، كان يُشحن فوراً إلى كوكبهم الأصلي من قواعد متمركزة فـي الشرق الأوسط. هذا ما ورد في النصوص حسب ما زعم "سيتشن". وفي الحقيقة هناك بعض من الحقائق الداعمة لهذا الادعاء، حيث أن الدراسات التي أجرتها الشركة الأنغلو– أمريكية Anglo-American Corporation (لأسباب ليس لها علاقة بموضـعنا هنا) كشفت عن دلائل قوية تثبت وجود مناجم ذهب قديمة في تلك المنطقة وتعود إلى ٦٠ ألف سنة على الأقـل، وربمـا ١٠٠ ألف سنة!

في البداية، جرى العمل في تلك المناجم من قِبل الطبقة العاملة من عرق "الأنوناكي" ذاته، لكن حصل تمرّد كبير بـين العمـال (تفاصيل الحدث موصوفة في النصوص) وبالتالي قررت نخبة "الأنوناكي" الملكية بأن تخلق عرق جديد من العبيـد المطيعـين

ليكملوا مشروع العمل. وقد وصفت النصوص كيف تم جمع الجينات التابعة لعرق "الأنوناكي" مع الجينات التابعة للبشر في أنبوب بهدف خلق نسخة جديدة من البشر تستطيع إتمام المهمات الشاقة التي يرغبها الأنوناكي. لا بدّ من أن فكرة "أطفال الأنابيب" بدت سخيفة وغير منطقية في الفترة التي اكتُشفت فيها اللوائح، أي العام ١٨٥٠م، لكن هذا بالضبط ما أصبح يستطيع إنجازه العلم اليوم. ومرّة أخرى، وكما هي الحال دائماً، فإن الاكتشافات العلمية الحديثة تدعم صحّة السيناريوهات التي توصفها تلك النصوص السومرية.

هذه النقطة بالذات أصبحت محور اهتمام وجدل واسع بين الباحثين الأنثروبولوجيين (المهتمين بهذا الموضوع طبعاً). فالبعض وجد بأن هذا هو التفسير المناسب للغز الكبير الذي لازال يواجه علماء الأنثروبولوجيا ويتمثّل بالتحوّل السريع والمفاجئ في نوع الكائن البشري قبل ٢٠٠ ألف سنة تقريباً، حيث أن العلم المنهجي لازال يبحث عن الحلقة المفقودة التي تربط بين الإنسان القديم الذي هو قريب الشبه بالقرود (الهومو- إركتوس) والإنسان الحديث (الهومو- سابيان). ومن الواضح أن هذا التطوّر لم يحصل تدريجياً. وقبل ٣٥ ألف سنة حصل تطوّر مفاجئ آخر، حيث ظهر الإنسان الحديث الذي يتمتع بذكاء متطور جداً وهو الذي يسود اليوم. وهذا الظهور كان مفاجئاً أيضاً. مع أنه، وحسب ما يقول عالم البيولوجيا "توماس هوكسلي" Thomas Huxley معلقاً على الظهور المفاجئ للإنسان الحديث، تحولات كُبرى كهذه تتطلّب عشرات ملايين السنوات من التطوّر التدريجي، لكن الأمر لم يكن كذلك بل حصل فجأة.

أنا شخصياً أعتقد بأن الإنسان الحديث (الهومو- سابيان) لم يتأصّل من هذه العملية التهجينية، حيث هناك الكثير من الجوانب التي تم تجاهلها خلال استنتاج هذه الحقيقة. تذكّر أن التحليل السابق مصبوغ بطابع "داروينيي"، أي لازال يتحدث عن الكائن البشري المنحدر من أصل قرد، ولم يسلّم بحقيقة "معاصرة" البشر لأشباه القرود كما أثبتت الدلائل، وبالتالي لا بد من أنه تحليل ناقص. وحسب رأيي، بما أن هذا العرق الفضائي كان يبحث عن عرق بشري قوي جسدياً، فلا بد من أن النوعية البشرية المناسبة لغايتهم هذه تمثّل ***عرق العمالقة*** الذين تحدثت عنهم الأساطير عبر التاريخ، كما رأينا في فصول سابقة، وما سوف تلمّح إليه الفقرات اللاحقة. وهناك اقتراح آخر ربما يكون مناسباً أيضاً. فقد ورد في النصوص بأن البويضة البشرية التي تم تلقيحها لخلق البشر العبيد أُخذت من أنثى بشرية في "أب.زو" AB.ZU، أي في مكان ما في أفريقيا بالقرب من المناجم. هل يمكن أن يفسّر هذا وجود أنواع معيّنة من العرق الأفريقي والتي تملك قوة عضلية استثنائية؟ وكانوا في إحدى الفترات يمثلون مجموعة قائمة بذاتها قبل أن يتفرّقوا ويختلطوا مع المجموعات الأفريقية الأخرى عبر الزمن، مما جعل القوة الجسدية لبعض الأفارقة تمثّل ظواهر فردية فقط؟ في الحقيقة لازال الأمر غامضاً لكن الأمر الأكيد هو أن البشرية بالكامل لم تُخلق من هذه العملية كما هو مزعوم.

ذكرت النصوص السومرية أسماء الشخصين المسؤولين عن خلق هذا العرق الجديد من العبيد، هما: رئيس العلماء ويُدعى "أنكي" Enki سيّد الأرض (حيث أن "كي" تعني الأرض)، الشخص الآخر هو امرأة تُدعى "نينخارساق" Ninkharsag، ومعروفة أيضاً بـ"نينتي" Ninti (سيدة الحياة)، ذلك بسبب خبرتها الواسعة في مجال الطب والدواء، وأشير إليها لاحقاً بالاسم "ماممي" Mammi، ومنه جاء الاسم "ماما" المنتشر بشكل واسع عالمياً والذي يشير إلى الأم.

تقول النصوص بأن "أنكي" و"نينخارساق" وجدا الخلطة المناسبة التي خلقت الكائن البشري الجديد، وهو الكائن الذي أشارت إليه النصوص باسم "لو.لو" LU.LU (أي الإنسان الناتج من خليط). الإنسان العادي بالنسبة للسومريين هو "لو" LU، وبالتالي يختلف عن الاسم المشير للعرق الجديد. إذاً، "لو.لو" هو كائن مهجّن جينياً يجمع بين الكائن البشري والآلهة بهدف خلق عرق من البشر العبيد، وذلك قبل ٢٠٠ أو ٣٠٠ ألف سنة. ومن أجل حصول تكاثر طبيعي وتلقائي لهذا النسل الجديد، خُلقت نسخة أنثى من نفس الخلطة وبنفس الطريقة التهجينية.

يبدو أن هذه القصة قريبة الشبه بقصة معروفة ومألوفة جيداً بين معظم الشعوب حول العالم، والتي تتحدث عن الطريقة التي خُلق فيها الإنسان. وجب العلم بأن العهد القديم (التوراة) بمعظمه هو عبارة عن مجموعة روايات منقولة من روايات سابقة أكثر قدماً، كتبها الكهنة اليهود (اللاوى العبرانيين Levites) خلال فترة سبيهم وأخذهم إلى بابل منذ حوالي ٥٨٦ ق.م. كانت بابل قائمة على أراضي سومرية سابقاً، وبالتالي عرف البابليون، وكذلك اللاوى العبرانيون، تلك القصص السومرية. ويبدو واضحاً بأن السيناريو العام الذي يصوره كل من سفر التكوين Genesis وسفر الخروج Exodus في العهد القديم هو منقول عن روايات سومرية قديمة. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار الأخطاء الفادحة التي اقتُرفت خلال الترجمة والتفسير، وبالإضافة إلى عمليات التحريف المقصودة وغيرها من أمور سوف نتعرّف على عينات منها في الفقرة التالية. لكن بشكل عام، أصبح من الواضح جداً أن الأساس هو سومر القديمة.

تتحدث اللوائح السومرية عن "آ.دين" E.DIN (ويعني: مقرّ الصالحين)، ومعنى هذه العبارة يصبح واضحاً بعد معرفة أن السومريين أشاروا إلى هؤلاء الآلهة بالاسم "دين. غير" (أي: الصالحين أصحاب الصواريخ المتوهّجة). وبالتالي، السومريون تكلموا عن "أدين" Edin، بينما التوراة تكلمت عن "عدن" Eden. وإذا أردنا الأخذ بالرواية الأساسية (أي السومرية)، فهذا يعني أننا نتكلّم عن مكان تمركز الآلهة.. الأنوناكي.

تحدثت النصوص السومرية عن قصة الملك "سارغون الأكبر" وكيف وجدوه وهو طفل صغير موضوع في سلّة تطوف وحدها في النهر وانتُشل على يد عائلة ملكية قامت بتبنيه. بينما التوراة تحدثت عن نفس القصة لكن الاسم يختلف، حيث الطفل كان النبي موسى عليه السلام، والذي نشأ بين أسرة ملكية مصرية. في الحقيقة هناك الكثير من الروايات المتطابقة، لكن لا أعتقد بأن ذكرها يفيدنا هنا.

وبالتالي، إذا أردت التعرّف على القصة الحقيقية لخلق الإنسان، والواردة في العهد القديم، كل ما عليك فعله هو العودة إلى المصدر الأساسي، أي السجلات السومرية، وترى كيف نشأت القصة في الأصل. يقول العهد القديم بأن الله خلق الإنسان الأوّل من "غبار الأرض" ومن ثم استخدم ضلعه لخلق المرأة الأولى. لكن يبدو أن لدى "زكريا سيتشن" رواية أخرى، حيث يشير إلى أن الترجمة الحقيقية لعبارة "غبار من الأرض" جاءت من الكلمة اليهودية "تيت" tit (الأم الحزينة)، وهذه الكلمة مُشتقة من المصطلح السومري "تي.إت" TI.IT، ويعني "الشيء الحيّ" (أو الكائن الحيّ).

إذاً، فالإنسان الأوّل، حسب ما يزعم "زكريا سيتشن"، لم يخلق من غبار الأرض بل من "الشيء الحيّ". والمصطلح السومري "تي" TI يعني إما "ضلع" أو "حياة"، ومرّة أخرى، يبدو أن المترجمين أخطئوا ثانيةً في اختيار الكلمة الصحيحة. وبالتالي فإن "إوي" Eve (حواء) هي كلمة سومرية تعني "هي التي لها حياة"، لم تُخلق من ضلع رجل بل من "الشيء الحيّ". وهذا الخطأ الصغير في الترجمة جعل المرأة تدفع ثمناً غالياً طوال قرون وقرون من المعاملة السيئة الخالية من الرحمة.. وبقي الأمر كذلك إلى وقت قريب في أوروبا (عصر النهضة) حيث قرّر الكهنة المجتمعين في مجلس "ترنت" عام ١٥٤٥م بأن النساء لها أرواح كما الرّجال! وقد توصلوا إلى هذا القرار بعد إجراء اقتراع بأغلبيّة ثلاثة أصوات فقط! هذا التأثير ألاعتقادي المتجذّر بقوة في عقول الناس جعل تحرر المرأة (جزئياً على الأقل) يتأخّر حتى بدايات القرن العشرين.

لقد روت اللوائح السومرية، وكذلك النصوص الأكادية بعدها، قصصاً تكشف عن أسماء السلالة الملكية للأنوناكي. أشاروا إلى أب الآلهة بـ"آن" AN وأصبحت ترمز بعدها بالنسبة لهم بـ"الجنة"، حيث بقي "آن" (أو "آنو" Anu عند الأكاديين) في أغلب الأحيان في "عدن" Edin، ومنها جاءت عبارة "جنّة عدن" (وهي كلمة مركبة لفظها الأصلي هو: "جا.آن. أدين"، حيث أن معنى "أدين" هو "مكان تمركز الآلهة" كما أسلفت سابقاً)، مع زوجته "أنتو" Antu، ونادراً ما كان يزور كوكب الأرض الذي أشاروا إليه بالاسم "آ.ري.دو" E.RI.DU (ومعناه: الوطن المُبنى بعيداً)، وهذه الكلمة بالذات تطوّرت عبر الزمن لتصبح "أرضُ" وهي الكلمة التي نستخدمها للإشارة إلى كوكبنا. وكذلك الكلمة الإنكليزية "آرث" Earth التي ليست بعيدة من ناحية اللفظ. هذا على الأقل ما يزعمه "زكريا سيتشن" خلال ترجمته. لكن يمكن للمواصفات أن تُفسّر بطريقة أخرى تقول أن "آنو" بقي معظم الوقت في الجبال المرتفعة في الشرق الأوسط حيث توجد "أدين" Edin (عدن)، وهو مكان تمركز الآلهة، ونادراً ما يزور بلاد سومر المنخفضة (حيث هناك مدينة سومرية تُسمى "أريدو" Eridu).

أرسل "آنو" Anu اثنين من أبناءه لتطوير الأرض وحكمها، حسب ما تقوله النصوص. والابنان كانا "أنكي" Enki (المذكور سابقاً والمسؤول عن خلق عرق جديد من البشر العبيد)، وأخوه "أنليل" Enlil. وأصبحا فيما بعد منافسان لدودان ونشب صراع مرير بينهما حول منصب السيطرة الكاملة على الأرض. كان "أنكي"، وهو الابن البكر لـ"آنو"، مرؤوساً من قبل أخوه "أنليل"، وكان هذا بأمر من الوالد "آنو"، والسبب هو احترام الأنوناكي لصفاوة الدم وبالتالي يمنحون هذه المسألة أولوية دائمة. حيث والدة "أنليل" كانت أخت غير شقيقة للأب "آنو"، وهذا النوع من الزواج يجعل الدم الساري في عروق الأولاد الذكور أكثر صفاوة ونقاء. أما الأخ الأكبر "أنكي"، فكان من أم أخرى بعيدة القرابة من الأب، وهذا ما جعله أقل مرتبة من أخوه الصغير. هذا السيناريو بشكل عام يجعلنا نعتقد بقوة أن منه اشتُقت قصة "قابيل" و"هابيل" المذكورة في العهد القديم.

لكن الصراع الذي دار بين الأخوين لم يكن بالمستوى البسيط الذي تم تصويره في النصوص المقدسة، بل تم استخدام تكنولوجيا متطورة جداً كادت تدمّر كوكب الأرض بالكامل. وكما ذكر "زكريا سيتشن" في ترجمته، الحرب الشرسة التي دارت بين الأخوين وذريتهما تشبه بشكل كبير تلك الحروب المذكورة في مخطوطات الفيدا الهندية Vedas التي تحدثت عن الحروب المريعة التي دارت بين الآلهة المتنافسين. واستُخدمت فيها المركبات الطائرة والصواريخ والقنابل النووية.. ويُعتقد بأن الدمار الشامل الذي أصاب "سادوم" و"عمورة"Sodom and Gomorrah المذكور في العهد القديم يمثّل أحد تلك المعارك التي كانت قائمة.

ويُعتقد بأن موقع المدينتين كان جنوبي البحر الميّت، واليوم لازالت الفحوص الإشعاعية تسجّل درجات أعلى من الطبيعي. ويقول "سيتشن" بأن القصة التوراتية التي وصفت زوجة "لوط" التي نظرت للخلف وتحوّلت إلى عمود من الملح، لها أساس أقدم بكثير، وحسب الرواية الأساسية، من المفروض أن تتحوّل إلى عمود من "بخار" بدلاً من "الملح".

وكما هي الحال مع الروايات التي تناقلتها الشعوب الأخرى حول العالم، والتي توصف عمليات تزاوج بين "الآلهة" أو "زوار من النجوم" أو "رجال السماء" أو غيرها... مع بنات الإنسان، فالسومريون أيضاً ذكروا هكذا حالات في أساطيرهم. وبعد أن نقلها الكهنة اليهود (اللاوى العبرانيين Levites) خلال كتابة توراتهم، تجلّت بوضوح في المقطع السادس من سِفر التكوين:

وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات،انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهنّ جميلات فاتخذوا لأنفسهم مِنهنّ زوجات حسب ما طاب لهم.... وفي تلك الحِقب، كان في الأرض جبابرة[١]، وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الإنسان وولدن لهم أبناء، صار هؤلاء الأبناء أنفسهم الجبابرة[٢] المشهورين منذ القِدم.

ملاحظة: في النصوص المكتوبة باللاتينية، كلمة جبابرة[١] تمثّل Nefilim، وكلمة جبابرة[٢] تمثّل إما "أبطال" Heroes أو عمالقة Giants حسب نسخة الكتاب المقدس.

المفكر والرياضياتي الروسي "إمانويل فاليكوفسكس" Immanuel Velikovsky (١٨٩٥– ١٩٧٩م)، مؤلف الكتابين الشهيرين "صِدام العوالم" Worlds in Collision و"عصور الفوضى" Ages in Chaos، (منشوران في الأربعينات من القرن الماضي، حيث حاول من خلالهما إعادة استنباط التاريخ بالاعتماد على النصوص المقدسة وبعض المخطوطات الفرعونية القديمة، مثبتاً حصول كارثة كونية في الماضي البعيد نتيجة تغيير كبير في مسار كواكب النظام الشمسي)، قال معلقاً على ما ورد في هذا المقطع بالذات:

*.. خلال عملي في الأربعينات على كتاب **صِدام العوالم**، والذي تناول أيضاً الكارثة العالمية (الطوفان) الواردة في العهد القديم والتي سبقت سِفر الخروج Exodus، توقّفت لأتأمّل أحد المقاطع (المقطع ٦) والذي يبدو أنه يوصف زيارة من الفضاء الخارجي..*

.. القصة التي تم روايتها في سِفر التكوين[٦] عن انجذاب أبناء الله إلى بنات الإنسان غالباً ما يتم تفسيرها على أنها تتكلّم عن مجموعة متطورة من الناس التي اختلطت مع إحدى القبائل المتخلفة. عندما اكتشف كولومبس أمريكا، اعتبره السكان الأصليون، حسب ما ورد في المذكرات، بأنه هو وبحارته قدموا من السماء. وهذا الموقف تكرر أكثر من مرّة حول العالم بين مجموعات مختلفة من المستكشفين والسكان الأصليين، حيث دائماً يُعتبر الزوار الجُدد [أبناء الآلهة الهابطين من السماء]. ربما يشير هذا الاعتقاد المتجّذر في وجدان كافة الشعوب حول العالم إلى حصول هكذا زيارة فعلاً من الفضاء الخارجي في إحدى فترات ما قبل التاريخ..

.. بعد أن أصبحنا اليوم على أعتاب السفر في الفضاء، وجب بالتالي أن لا نستمر في الإصرار على استحالة الفكرة القائلة بأن الأرض كانت، قبل عصور طويلة، هدف زيارات من قبل أناس قدِموا من الفضاء الخارجي. أو هل يُعقل أن هذا الكوكب وحده هو المأهول بكائنات عاقلة؟ حسب ما فهمت من هذا المقطع الوارد في سِفر التكوين، يبدو أنه دليل قوي على حصول زيارة للأرض من قبل كائنات عاقلة قدِمت من كوكب آخر..

وإذا عدنا إلى ترجمة "زكريا سيتشن"، فالكلمة "نفيليم" Nefilim (التي تمثّل جبابرة[١] في المقطع المضلل) تعني حسب النصوص السومرية "الذين انحدروا"، وهناك من يترجمها بـ"الذين سقطوا". أما كلمة "المشهورين" الواردة في النص التوراتي (أنظر في المقطع المُضلّل في السابق) فهي ترجمة منقولة لكلمة "شَم" shem في النص السومري. وتُرجمت وفق المفهوم اليهودي على أنها تعني "صاحب الاسم" أي "مشهور". بينما يقول "سيتشن" أن المعنى الحقيقي لكلمة "شَم" (السومرية) هو "سماء". (ربما المتحدثون باللغة العربية سيفهمون هذا اللغط الحاصل في المعاني والألفاظ، حيث اللغط ذاته قد يحصل في اللغة العربية بين كلمة "اسم" وكلمة "سما"). وبالتالي، مثلاً، بدلاً من القول "رجل مشهور" نقول "رجل سماوي".

يقول "سيتشن" بأن هناك كلمة سومرية مركّبة واردة في النص الأساسي وهي "شو.مو" shu-mu، تعني ***مركبة سماوية***، حيث أن "مو" تعني "مركبة". وبالتالي العبارة تمثّل مجموع كلمتي " shu سماء" و"mu مركبة"، فتتشكل عبارة "مركبة سماوية". ويضيف "سيتشن": نستنتج بالتالي أن المعنى الحقيقي لعبارة "..الجبابرة[٢] المشهورين.." الواردة في النص التوراتي هو "..الجبابرة أصحاب المركبات السماوية.." وبالتالي هؤلاء هم الذين تزاوجوا مع بنات الإنسان. أما عبارة "..أبناء الله.."، فهي واضحة وجلية في النص اليهودي من التوراة (بني–ها– ألوهيم *bene-ha-elohim*) حيث معناه الحرفي هو ".. أبناء الآلهة.."، وهنا تكتمل الصورة بوضوح.

يبدو أن المواليد التي نتجت من التزاوج مع أبناء الإنسان كانت أحجامها عملاقة فعلاً. وربما يشكّلون عرق العمالقة الذي جاب الأرض في إحدى الفترات الغابرة. لقد تحدثت عنهم كافة الشعوب في كافة القارات، وحتى اكتشف لهم الكثير من البقايا والآثار (أنظر في موضوع ***العمالقة*** الوارد سابقاً). لكن حسب رأيي، هناك أنواع مختلفة من أعراق العمالقة الذين جابوا الأرض في الماضي البعيد، حيث بعضهم كان مظهره بشرياً تماماً، بينما البعض الآخر كان من أشباه البشر. وبالتالي لا تشمل هذه القصة كافة أنواع العمالقة الذين سادوا في الأرض.

النص الأثيوبي (الحبشي) المتناول للعهد القديم، ويُدعى "كيبرا ناغاست" Kebra Nagast، يشير إلى الحجم العملاق للأطفال التي نتجت من التزاوج بين البشر والآلهة. وتروي تفاصيل الولادة التي خاضت بها بنات الإنسان نتيجة تزاوجهنّ مع الملائكة (الفضائيين).. حيث عجزن عن إخراج مواليدهنّ من بطونهنّ فماتت المواليد.

وقد وصف النصّ كيف اضطرت بعضهنّ إلى إجراء عمليات قيصرية لإخراج المواليد الضخمة: ".. بعد بقر بطون الأمهات وفتحها، خرج الأطفال من منطقة الصرّة.."

في المخطوط اليهودي القديم "كتاب نوح" Book of Noah وكذلك المخطوط المُشتقّ منه "كتاب أنوخ" Book of Enoch، تم وصف عملية ولادة غريبة لطفل غير بشري، وأصبح فيما بعد "نوح" المشهور والذي ارتبط اسمه بالطوفان العظيم.

وهناك إشارات لهذه الحادثة ظهرت أيضاً في مخطوطات البحر الميّت Dead Sea Scrolls والمعروفة بالعربية باسم "القُمران"، وهي عبارة عن سجلات تابعة لمجتمع "إيسين" Essene الذي عاش في فلسطين قبل ٢٠٠٠ سنة، وهذا المخطوط أيضاً يحتوي على مراجع كثيرة تعود لكتاب "أنوخ". المولود الغريب الذي توصفه هذه النصوص هو ابن "لامخ" Lamech. وذكر النصّ بأن الطفل لا يشبه الإنسان وأقرب الشبه بـ"أطفال الملائكة في السماء". هكذا أشاروا إلى "نوح" إبن "لامخ".

يسأل "لامخ" زوجته عن الوالد الحقيقي للطفل:
".. لقد فكّرت في قلبي بأن الحبل كان من "المراقبين" وأولئك المقدسين.. ومن النفيليم.. وقلبي مُربك وثقيل بداخلي بسبب هذا المولود.."

في "الشاهمانة"، أو "كتاب الملوك"، وهو التاريخ الأسطوري لإيران، والذي اكتملت كتابته عام ١٠١٠م على يد الشاعر العربي الفردوسي، ورد وصف لولادة طفل يُدعى "زال"، وهو ابن الملك "سام". ومرّة أخرى، يُصاب الملك بالرعب بسبب المظهر غير البشري لمولوده الذي كان حجمه ضخم جداً. يشير الملك "سام" إلى ابنه باسم "الطفل الشيطاني"، أو ابن الـ"الدايفاس" daevas (المراقبون). وكان وصفه قريب الشبه للأوصاف الواردة في قصص العهد القديم، بالإضافة إلى أنه كان لملوك إيران بغض شديد لهؤلاء الأطفال بنفس البغض الذي عبر عنه بطاركة العهد القديم.

الآن أصبحنا نعلم لماذا كان الملوك يُصورون على شكل عمالقة

هناك الكثير من النسخ غير المُعترف بها للروايات الواردة في العهد القديم، أشهرها كتاب "أنوخ" Book of Enoch الذي اكتُشف عام ١٧٧٣م في ما يُعرف بأثيوبيا اليوم (الحبشة)، ذلك من قبل المستكشف الاسكتلندي "جيمس بروس" James Bruce. لكن لم ينال الاهتمام اللازم قبل العام ١٨٢١ حين تمت ترجمته.

لقد مُنع تداول كتاب "أنوخ" (وكتب كثيرة غيره) من قبل الكنيسة الرومانية، حيث بقي مجهولاً ومهملاً أكثر من ١٥٠٠ سنة. والهدف هو القضاء على الاعتقاد القديم السائد بين الرعايا والقائل بأن "الملائكة السماوية" كانت كائنات حقيقية من لحم ودم وتزاوجت مع أبناء الإنسان فعلاً. لكن بنفس الوقت نرى أن الماسونيين الذين يسيطرون على الكنيسة من وراء الستار كانوا ولازالوا ينظرون إلى "أنوخ" على أنه من المؤسسين الأسطوريين الأوائل لمحفلهم السرّي العريق. حتى أن الاسم "أنوخ" Enoch هو أصل كلمة "مُنتسِب" بالنسبة لهم (Enochian).

وجب أن نعيد النظر في الكثير من الكتب التي اعتُبرت من قبل الكنيسة القديمة على أنها كتباً "مشكوك بصحتها" والمتمثّلة بالكلمة apocryphal. في الحقيقة، إن الترجمة اللاتينية (وكذلك العربية) لهذه الكلمة ليست "مشكوكاً بصحته" بل للكلمة معنى آخر تماماً. القصد الحقيقي من استخدام هذه الكلمة لتصنيف كتاب معيّن هو القول بأنه "كتاب سرّي" Apocrypha أي وجب اقتصار تداوله على الكهنة والأعضاء المنتسبين للحلقة المختارة فقط وبالتالي هو محرّم على الدنيويين المدنّسين. فالكلمة Apocrypha هي يونانية الأصل وجاءت من المصطلح "كريبتو" crypto، وتعني "إخفاء". وهذه العادة تأصّلت بين كهنة مصر القديمة. وبالتالي، عندما يُصنّف كتاب معيّن، مثل كتاب "أنوخ"، بأنه apocryphal (وهي كلمة نترجمها إلى المعنى "مشكوك به" وهذا خاطئ)، فهذا يعني أنه كتاب وجب اقتصار تداوله على الكهنة المنتسبين للحلقة السرّية المختارة.. والفرق بين التفسيرين كبير جداً.

بالنسبة للذين شعروا بالسخط والانزعاج من ما ورد في السابق أقول، أن سوء الترجمة للنصوص المقدّسة هي التي أدت إلى حصول أبشع الجرائم التي اقتُرفت بحق البشرية عبر التاريخ. إن نصوص كهذه، والتي تجعل فريق معيّن متفوّق على الآخرين من "..أبناء الإنسان.." أدت إلى نشوء الكثير من المفاهيم الخاطئة المزروعة بعمق في وجدان بعض المجموعات البشرية. الآن بدأنا نفهم من أين جاءت تلك المفاهيم اليهودية الشاذة التي تجعلهم يُعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، أو أبناء الله، أو من سلالة الله، بينما "..أبناء الإنسان.." الآخرين هم مجرّد "غوييم"، حيوانات لا قيمة لها... وغيره من سوء تفسير وسوء استخدام للنصوص المقدسة.

رابي يهودي.. من شعب الله المختار؟!

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

وإذا أردتم أن تعرفوا إلى أي حدّ يمكن أن تؤدي به الأفكار الخاطئة (المزروعة حتى في عقول العلماء والمفكرين اللامعـــين)، أعتقد بأن الموضوع التالي سيفي بالغرض. مع العلم بأنه يفيد موضوعنا الأساسي أيضاً.

الأعراق البشرية لم تتفرّع من أصل واحد؟!

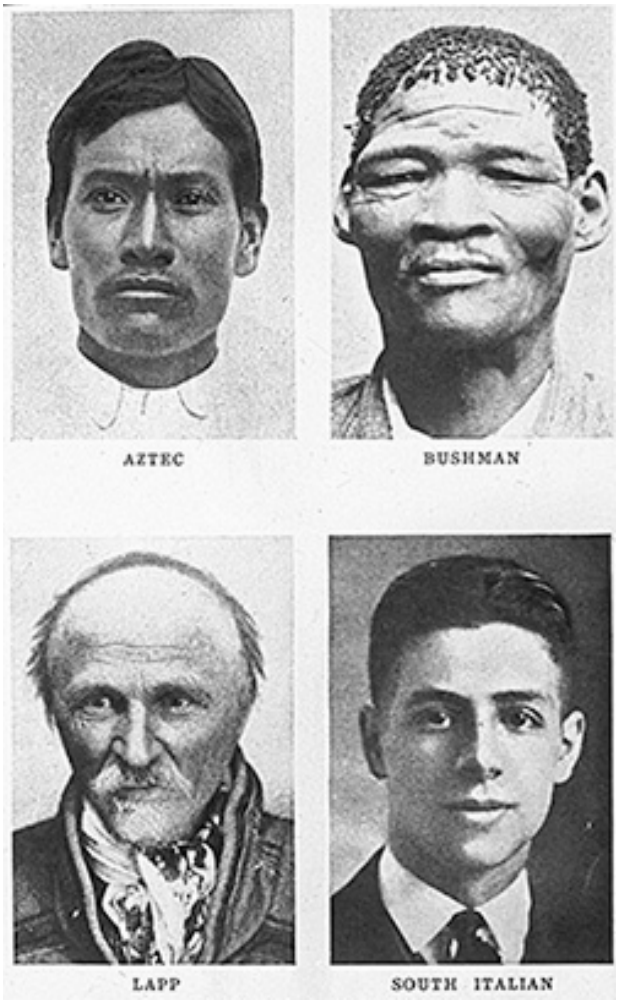

قد يتساءل الفرد، طالما أن هذا السيناريو (الفضائي) هو الذي كان سائداً في المعتقدات القديمة، ومسيطراً بقـــوة علـــى طريقـــة تفكير شعوب العالم القديم، لماذا إذاً هذا الامتناع المريب عن الاعتراف به رسمياً من قبل القائمين على عالم المعرفة الإنـــسانية (بكافة فروعها الدينية/العلمية)، إن كان في الماضي البعيد أو الحاضر؟

الجواب هو بسيط جداً، وقد ذكرته أكثر من مرّة في هذا الكتاب: قمع المعرفة الأصيلة من أجل سهولة السيطرة على الرعايا. إن كل الأيديولوجيات التي حكمت المجتمعات البشرية.."بالدم والدموع".. لم تفعل ذلك من أجل تنويرها بل من أجل تنظيمها والسيطرة عليها. لقد فُقد الكثير من الحقائق الرائعة بخصوص أصول الإنسان وقدراته الاستثنائية عبر هذا التاريخ الطويل، المليء بالمجازر والحروب والقهر والإجبار على الامتثال ألقسري لمشيئة المتحكمين وأهواءهم. أما بخصوص العلم الحديث الذي راح يبسط نفوذه على عالم المعرفة منذ تحقيق التحرر الكبير من سطوة المؤسسات الدينية، فقد بحث منذ البداية في السبب الحقيقي لتعدد الأعراق والاختلاف الكبير في شكلها ولونها وسمات كثيرة أخرى. وخرج العلماء والمفكرين بنظريات كثيرة توصف هذه الحالة، لكن الأمر الأهم هو أن الأغلبية كانت تسلّم، دون جدل، بالحقيقة الواضحة القائلة بأن الأعراق البشرية لم تتأصّل من المصدر ذاته.

أشهر النظريات التي وجدت طريقها إلى ساحة التداول في العالم الأكاديمي هي نظرية تعدد الأعراق polygenism، ذلك بفضل أعمال "لويس أغاسيس"Louis Agassiz و"ساموبل جورج مورتون" Samuel George Morton. وقد أثبت الكثير من العلماء والمفكرين صحّة هذه النظرية دون أدنى شكّ. ذلك من خلال إبراز دلائل بيولوجية كثيرة متعلّقة بالتركيبة الجسدية للأعراق المختلفة، خاصة تلك المتعلقة بالجمجمة. حتى أن "فولتير" Voltaire طرح هذه الفكرة منذ العام ١٧٥٦م في كتاباته، لكنه لم يجتهد للبحث عن السبب. وكذلك الفيلسوف "إمانويل كانت" Immanuel Kant الذي تناول الموضوع في مقالته "حول الأعراق المختلفة للإنسان" On the Different Races of Man، عام ١٧٧٥م، حيث حاول تصنيف الأعراق البشرية بالاستناد على أسس علمية. هناك الكثير من المفكرين والفلاسفة في تلك الفترة والذين تناولوا هذا الموضوع باهتمام، لكنهم جميعاً لم يصيبوا في تحديد السبب الحقيقي لهذا الاختلاف الواضح بين الأعراق، حيث كانت نزعة التفوّق الأوروبية مسيطرة على طريقة تفكيرهم مما جعلهم يفقدون بصيرتهم الحكيمة.

أعراق مختلفة تم تصنيفها من حول العالم

للأسف الشديد، وكما هي الحال دائماً، فقد تم استغلال هذه النظرية بشكل سلبي من قبل مجموعات وأحزاب كثيرة لغايات عنصرية شريرة لا ترقى إلى مستوى المعضلة الفقهية المهمة جداً التي تمثّلها. أشهر الذين استندوا على هذه النظرية في التعامل مع الشعوب الأخرى كان النازيين ومالكي العبيد وحكومات التفرقة العنصرية، وذلك ليبرروا أعمالهم غير الإنسانية تجاه الأعراق الأخرى.

لكن هذا ليس ذنبهم أساساً. فقد نالت هذه النظرية (العنصرية) الدعم السياسي الكبير خلال انتشار الامبريالية الحديثة في أواسط القرن التاسع عشر، حيث كان من الضروري استثمار وتجنيد معتقدات فكرية معيّنة لتوجيه المستعمرين للنظر إلى الشعوب الأخرى بطريقة مختلفة. نظرة فوقية متغطرسة.. خالية من الرحمة.

كانت هذه اللوحات المستعرضة لأنواع للجماجم البشرية مألوفة جيداً بين علماء القرن التاسع عشر، والتي تشرح الاختلاف الواضح في التركيبة البيولوجية بين الأعراق البشرية.

تصوّر كيف يكون الأمر عندما يبني المستعمرون الامبرياليون معتقداتهم على نظريات مفكرين ملهمين مثل "فردريك هيغل" Friedrich Hegel و"أرثر شوبنهاور" Arthur Schopenhauer، والقائلة بتفوّق العرق الأبيض (الأوروبي) على باقي الأعراق... وبالإثبات العلمي! والأمر الساخر هو أننا (نحن المنتمين للأعراق الأخرى) لا زلنا نتغنى بأعمال هؤلاء المفكرين العظماء (العنصرين) وندرسها في مدارسنا وجامعاتنا! إنها مفارقة غريبة تدعوا للعجب فعلاً!

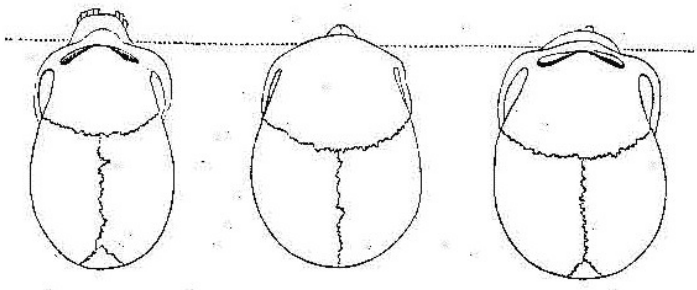

صورة تعود للعام ١٨٣٩ يشرح فيها "صامويل جورج مورتون" الفرق بين جمجمة أفريقي، وقوقازي، ومنغولي.

لكن هذه النظرية العنصرية، وبعد قضاء فترة مجيدة سيطرت خلالها على الساحة العلمية، عادت وفقدت الدعم السياسي بشكل كامل بعد الحرب العالمية الثانية التي شهدت الكثير من الجرائم العنصرية البشعة، حتى أنها اعتبرت جريمة عنصرية يحاسب عليها القانون. وأعلن رسمياً عن تجريم هذا التوجّه العنصري وكافة الأفكار والمعتقدات المتمحورة حوله، ذلك في العام ١٩٥٠

عبر الإعلان الشهير لمنظمة "اليونيسكو" UNESCO. (أي أن سبب منع هذه النظرية هو سياسي/أمني أكثر من كونه علمي. وهذه نقطة مهمة جداً ستتوضّح في الفقرات التالية).

القـــرود الموحـــدون!

إذاً، فالسبب الرئيسي الذي يجعل نظرية علمية تسود أو تسقط هو ليس مدى مصداقيتها أو شعبيتها أو قوة حجتها، بل هو سبب سياسي في المقام الأوّل. ففي أواسط القرن التاسع عشر، كان من الضروري تسويق هكذا توجهات علمية وفلسفية (عنصرية) من أجل تبرير ودعم السياسة الإمبريالية المتوحّشة التي اتبعها المستعمرون خلال تعاملهم مع الشعوب الأخرى. أما الآن، فأصبحت هذه النظرية (تعدد الأعراق) غير ضرورية لأنها لم تعد مناسبة لأغراضهم وغاياتهم المبيّتة (لأنهم أصبحوا اليوم يسيطرون على العالم بالكامل، لكن بشكل غير مباشر). أما النظرية المناسبة اليوم بالنسبة للمتحكمين بالسياسة العالمية (الذين بسطوا نفوذهم المطلق على البشرية)، فهي نظرية ***توحّد الأعراق*** Monogenism. وطبعاً، السبب لدعمهم لهذه النظرية العلمية لا ينبع من نيّة بريئة محبّة للسلام، بل لأنها تتوافق مع النظرية التي طالما رغبوا في تسويقها وترسيخها بين كافة شعوب الأرض، وهي ***نظرية التطوّر*** التي تعود بنا إلى أصل واحد.. سلف واحد يجمع بين كافة الأعراق.. ***القرود!***

إذا تناولنا، بشكل جدّي، مقولة مشهورة لأحد المهووسين بنظرية المؤامرة (هكذا يعتبره الكثيرون) واسمه "جوج أورويل"، والقائل:

من يتحكم بالماضي يتحكم بالمستقبل... من يتحكم بالحاضر يتحكم بالماضي

نرى بأنها تخفي الكثير من الحكمة وبُعد النظر. نعم، هذه هي حقيقة الأمر. إن التحكّم بالمعلومات التاريخية يُعدّ أمراً أساسياً في السيطرة. أقول ذلك لأن التاريخ البشري الحقيقي هو مختلف تماماً عن ما نتصوّره. لكي تتمكّن من السيطرة على مجموعة

كبيرة من البشر، كل ما عليك فعله هو إقناعهم بأنهم من النوع المتدنّي. هذه السياسة الناجحة كانت معروفة لدى كافة القوى الاستعمارية التي برزت عبر التاريخ (كما أسلفت سابقاً). من أجل السيطرة علينا (نحن البشر.. سكان الأرض)، وجب أن يغرسوا في أذهاننا فكرة أننا كائنات عادية خرجت تواً من مرحلة البدائية والتوحّش، وبدأنا تواً ندخل في مرحلة التقدّم التدريجي البطيء. من أجل الاستمرار في إقناعنا بأننا مجرّد كائنات غبية لا جدوى منها، ولا أمل في الارتقاء والتقدّم سوى بشكل تدريجي وبطيء، كل ما عليهم فعله هو فصلنا عن ماضينا المجيد. ذلك الماضي المزدهر الذي كان فيه الإنسان يسافر بين النجوم ويحوز على أرقى العلوم والمعارف، ويتمتع بأعلى درجات الحكمة. نعم يا سيدي.. هكذا كان أسلافنا في الماضي البعيد. لكن هذه المعلومات غير مناسبة للمتحكمين بمصائر الشعوب، لأنها ترفع من معنوياتنا وتنهض بروحنا إلى أعلى المستويات. وستجعلنا نتساءل عن مصير تلك العلوم والمعارف المتطورة وماذا حلّ بها.. وكيف تراجعنا إلى هذا المستوى من الانحطاط.. وغيرها من تساؤلات لا تجلب للمسيطرين سوى وجع الرأس. فما الحلّ إذاً؟ جعلوا أسلافنا قروداً! ونحن عبارة عن كائنات وضيعة تتخبّط في درب طويلة ومضنية وأليمة نحو التقدّم والارتقاء التدريجي البطيء. حينها فقط ستتوقّف التساؤلات، وتنخفض معنويات الشعوب إلى مستوى قابل للسيطرة والتوجيه.

رغم كل هذا، إلا أننا حتى الآن لم نصل إلى جواب يقين بخصوص السبب وراء تعدد الأعراق البشرية والاختلاف الواضح فيما بينها. لقد ذكرت سابقاً أن العلماء والمفكرين الأكاديميين في أواسط القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين، ورغم أن توجهاتهم كانت عنصرية ومنحرفة (لأسباب سياسية طبعاً)، إلا أنهم أثبتوا دون شكّ حقيقة أن الأعراق البشرية لم تنحدر من أصل واحد. ورأينا كيف أسيء تفسير هذه الحقيقة واستثمارها لغايات إمبريالية وعنصرية، وكيف تم في النهاية تجريم هذا التوجّه الفكري المنحرف، وبالإضافة إلى إجراءات أخرى ساهمت في محوه من ذاكرة العلم تماماً.

خلاصة الكلام هي أن المتآمرون العالميون دعموا فكرة "تعدد الأعراق" في الأكاديميات والمؤسسات العلمية والفكرية الأخرى لكي يصنعوا جواً عالمياً مناسباً لسياساتهم وغاياتهم القائمة في حينها، وبعد أن حققوا ما أرادوه وبالتالي أصبحت فكرة "تعدد الأعراق" غير مناسبة، دعموا منطق علمي مختلف تماماً يدحض بنظرية "تعدد الأعراق"، ذلك لصنع جو عالمي جديد يناسب سياساتهم الجديدة.

لكن رغم كل هذا، لم يخرج أحد بتفسير منطقي ومعقول يشرح لنا سبب هذا الاختلاف في أنواع الأعراق البشرية وأصولها. حتى أن أتباع المذهب الداروينيي، والذي نجح في توحيد أعراق العالم تحت راية واحدة، "أسلاف قرود"، واجهوا صعوبات كبيرة في تفسير هذا الاختلاف الواضح والجلي بين أعراق البشر حول العالم. لكنهم استطاعوا تخطّي هذه المسألة بسهولة، ذلك بفضل حيلتهم الواسعة في اختلاق الأعذار والحجج (ويشهد الجميع ببراعتهم في ذلك)، وجدوا تفسيراً لم يخطر لأحد من قبل، حيث زعموا أن: سبب الاختلاف هو أن الأعراق المختلفة تنتمي لأصول متعددة المناطق Multiregional origin! أي أن البشر لم يتطوّروا من منطقة واحدة في العالم، بل من مناطق عديدة وعبر عمليات تزاوج متنوعة ومختلفة.

الفرق بين هذه النظرية الجديدة وبين نظرية تعدد الأعراق polygenism، هو أن الأعراق البشرية لم تتأصّل من أماكن مختلفة ومن أسلاف مختلفة، بل السلف هو واحد (القرود)، لكن حصل الانفصال ونشأ الاختلاف نتيجة لتزاوج أنواع مختلفة من ***أشباه القرود*** مع أنواع أخرى مختلفة من ***أشباه القـــرود*** وفي مناطق مختلفة من العالم، مما أدى إلى ظهور هذه التشكيلة المتنوعة من البشر! طبعاً، بالإضافة العوامل الأخرى التي أخذوها في عين الاعتبار، مثل اختلاف البيئة والطقس وطريقة العيش والتوزيـــع الجغرافي وغيرها، جميعها ساهمت في تغيير خواص وسمات فارقة بين الأعراق البشرية.

في الحقيقة، أنا أستطيع تفهّم آلية عمل "الإنتقاء الطبيعي" natural selection التي يستخدمها الداروينيون لتفسير الكثيـــر مـــن الألغاز في الطبيعة. وهذه آلية صحيحة وحقيقية بحيث يمكن ملاحظتها في كل مكان في الطبيعة من حولنا. وبالتـــالي يمكننـــا اللجوء إلى هذه الآلية لتفسير السبب الذي يجعل أفراد قبائل الأسكيمو (الذين يقطنون المناطق القطبية) قصار القامة وأجـــسامهم ممتلئة ومبرومة (سُمنة دهنية)، وهذا المظهر البيولوجي/الجسدي الذي يتمتعون به يساعدهم على اتقاء شرور البرد القارص في تلك المناطق القطبية النائية. وبنفس الوقت، أتفهّم السبب الذي جعل أفراد القبائل القاطنة في وسط أفريقيا ذوي قامات وأطـــراف رفيعة وطويلة، ذلك من أجل التعايش مع درجات الحرارة المرتفعة في تلك المناطق. لكن هذه التحولات البيولوجيـــة الجزئيـــة التي تخوضها أجسادهم لا تفسّر أمور كثيرة تمثّل ألغازاً حقيقية تتمثّل بالمصدر الأساسي للعرق الهندي الذي انحدر منه شـــعب الأسكيمو، وأساس العرق الأفريقي الذي انحدرت منه قبائل أفريقيا الوسطى. وأخيراً، لابد من أن نختم هذا النقاش بسؤال كبير:

لنفترض بأن الإنسان لم ينحدر من أصل قرد (وهذه حقيقة أصبحت واضحة ومُثبتة علمياً)، مما يلغي كافة النظريات المبنيـــة على هذه الفرضية، فمن أين إذاً جاءت هذه الأعراق البشرية المختلفة؟

ربما سنجد الجواب في مكان آخر بعيد كل البعد عن العالم الأكاديمي أو النصوص الدينية أو غيرها مـــن مـــصادر المعرفـــة الأساسية للإنسان. سوف ننتقل للبحث في آخر معقل للحكمة القديمة (الأقدم في العالم) التي صمدت عبر العـــصور الطويلـــة، وننظر في رأيها بهذا الموضوع (على لسان أحدهم)، وبعدها سنجري تقييم ومن ثم استنتاج نهائي لكل ما تعرفنـــا عليـــه مـــن أفكار.

حكماء التبت

والحياة في الفضاء الخارجي

لم يأخذ حراس الحكمة القديمة في التبت Tibet أبداً بالفكرة القائلة أن الإنسان هو المخلوق الأسمى والأكثر نبلاً الـــذي أنتجتـــه عملية التطوّر في الكون. لطالما آمنوا بوجود أشكال حياة أكثر رقياً وذكاء في مكان ما في الفضاء، ومن المؤكّد أنها ليست فقط متقدمة تكنولوجياً، بل متطورة روحياً أيضاً، بحيث لم تفكّر يوماً بإسقاط قنابل ذرّية على الآخرين.

هناك الكثير من السجلات والرسومات القديمة في التبت والتي تكشف عن مركبات غريبة تحلّق في السماء. "مركبات الآلهة" كما تُسمى لدى معظم الحضارات القديمة. من بين الأسرار الأكثر إثارة التي تتسرّب من ذلك المعقل الأخير للحكمة الإنسانية الأصيلة هو حصول تواصل تخاطري (في مناسبات عديدة) بين مجموعات من الكهنة وبين "الآلهة" القابعين في مكان ما هناك في الأعلى، والذين قالوا بأنهم يراقبون كوكب الأرض عن كثب، ويبدو أنها تشبه تماماً الطريقة التي نراقب فيها نحن البشر الحيوانات المفترسة والخطيرة الموجودة في حديقة حيوانات.

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

من بين المراجع العديدة التي يمكن الاقتباس منها موضوع مناسب يساعدنا على تكوين صورة واضحة عن ما يجري هناك في الفضاء حسب وجهة نظر أولئك الحكماء الأجلاء، أعتقد بأن الرواية التي ذكرها الكاتب المتصوّف "لوبسانغ رامبا" Lobsang Rampa في أحد مؤلفاته الرائعة كافية لتحقيق هذه المهمة.

من هو لوبسانغ رامبا؟

لوبسانغ رامبا Lobsang Rampa كان كاتباً صوفياً اشتهر في الخمسينات من القرن الماضي بمجموعة من الكتب المميّزة والمثيرة للجدل تتناول مواضيع دينية وصوفية وفلسفية. الأمر العجيب لا يتوقّف عند مؤلفاته الرائعة، بل في المعجزة التي تجسّدت في شخصية هذا الرجل بحيث أثارت جدلاً واسعاً في تلك الفترة.

كان اسمه في البداية "سيريل هنري هوسكن" Cyril Henry Hoskin، وهو مواطن بريطاني عادي مولود في ٨ نيسان عام ١٩١٠م. كان سمكرياً عادياً لا يفقه شيئاً عن الروحانيات ولا حتى عن الأدب وتأليف الكتب. لم يغادر موطنه في حياته. وقد حصلت المعجزة عندما سقط في أحد الأيام من على الشجرة مصطدماً بالأرض. هذه الحادثة البسيطة ساهمت بين ليلة وضحاها في تغيير شخصيته من رجل بائس لا يفقه شيئاً إلى فيلسوف حكيم ومؤلّف لمجموعة من أروع الكتب التي شهدها العالم. هذه طبعاً ليست شهادتي شخصياً، بل ما كُتب عنه في حينها، وبالإضافة إلى ذلك العدد الكبير من القراء والأتباع المعجبين.

لقد زعم بأنه، بعد الحادثة، أصبح جسده مسكوناً بشخصية كاهن من التبت يُدعى ***لوبسانغ رامبا***. وما يدعم هذا الادعاء هو تلك المعلومات المُفصّلة عن طريقة الحياة السائدة في التبت والتي وصفها بدقة، وكذلك المواضيع الفلسفية والصوفية التي لا يمكن لأحد معرفتها إلا إذا عاش هناك فعلاً وتتلمذ لفترة طويلة على يد المعلمين المتصوفين.

انطلقت شهرته على المستوى العالمي بعد نشر كتابه الأوّل الذي بعنوان "العين الثالثة" The Third Eye، عام ١٩٥٦م. وأصبح في حينها أكثر الكتب مبيعاً حول العالم bestseller. وتبعه بعدها ١٨ كتاب آخر حاز على نفس الانتشار الواسع.

رغم الحملة الشعواء التي تعرّض لها خلال هذه المرحلة الجديدة من حياته، من قبل الصحف المرموقة وبالإضافة إلى مؤسسات علمية ودينية وسياسية وغيرها، خصوصاً في بريطانيا وألمانيا، مما أجبره على الانتقال للعيش في كندا مع زوجته، حتى توفى عام ١٩٨١م، إلا أن أحداً لم يستطيع الإجابة على السؤال الكبير: من أين جاء بكل تلك المعلومات المُفصّلة، إن كان عن التبت وقلعة "بوتالا"، أو بما يتعلّق بالتعاليم التبتية السرّية وكذلك الحكمة التي أظهرها في كتاباته؟!

فيما يلي مجموعة من الاقتباسات من كتاب "الناسك" THE HERMIT، والذي يوضّح فيه ***لوبسانغ رامبا*** العلاقة الوثيقة بين الفضائيين (الآلهة) وأصول الكائن البشري. هذه العلاقة التي كانت، حسب قوله، معروفة جيداً بين الشعوب القديمة، لكن أسيء رواياتها ونقلها عبر الأجيال. إنها القصة التي تم قمعها منذ الزمن الأوّل على يد الكهنة والعلماء المتعطشين للسلطة والنفوذ.

الناسك

THE HERMIT

هذا الكتاب هو عن تواصل كاهن ناسك مع أشخاص فضائيين في مرتفعات التبت، وذلك قبل أكثر من مائة سنة. كان هؤلاء الفضائيون مسؤولين عن مراقبة مجموعة من الكواكب المأهولة بما فيها الأرض، وكشفوا عن الكثير من المعلومات المفيدة... جاء الكاهن الفتى ***رامبا*** إلى هذا الناسك العجوز الذي اختير من قبل "المراقبين" لحمل هذه المعلومة التي زوّد بها بمساعدة ذاكرته الاستثنائية. وقد تنبأ "المراقبون" بأنه في المستقبل، سوف يقوم كاهن يُدعى ***رامبا*** بنشر هذه المعلومات لكل المهتمين بالحقيقة حول العالم.

انحنى الكاهن الشاب باحترام وإجلال إلى الناسك الحكيم الجالس منتصباً على جلمود قديم تآكل مع الزمن. ".. لقد جئت إليك بحثاً عن الإرشاد أيها الجليل.."، قائلاً الشاب بصوت منخفض.

"..أجلس.."، أمر العجوز. فانحنى الشاب مرة أخرى وجلس متربعاً على الأرض الصلبة، بعيداً عن معلمه بخطوات عدة.

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

بقي العجوز الحكيم صامتاً، بدا وكأنه يحدّق إلى أزمنة ماضية لا متناهية عبر محاجره الخالية من العينين. قبل سنوات طويلة جداً، وكان في حينها لاما صغير، أسره أفراد من القوات الصينية في لهاسا وتم تعذيبه حيث جُرّد من بصره بسبب امتناعه عن البوح بأسرار دولة لم تكن أصلاً بحوزته. بعد أن عُذّب بوحشية حتى تشوّه جسده وفقد بصره، تُرك في سبيله يتجوّل تائهاً في البلاد فراح يبتعد عن المدينة خائب الأمل يغصّ قلبه بالمرارة والألم. واستمرّ بالسير حتى أثناء الليل، شبه مجنون، والألم الشديد الذي ناله من أخيه الإنسان أصابه بصدمة نفسية جعلته يتجنّب الاقتراب من البشر. كان يفكر، يفكر دائماً.

استرجع الرجل العتيق ماضيه القديم، متذكراً الألم الذي ناله من التعذيب والتشويه والإعماء. كان حينها بعمر الكاهن الشاب الجالس أمامه.

خلال تسلّقه أحد المرتفعات الوعرة مدبدباً على أربعة، ضربت عصاه حاجزاً معدنياً غريباً أمامه. جاهد بكل ما عنده لرؤية هذا الشيء الغريب من خلال محاجره الخالية من العيون، لكن دون جدوى. وأخيراً، أجبره الإرهاق الشديد الذي فرضه التعب الجسدي والعذاب العاطفي على الاستسلام، فانهار عند حافة ذلك الحاجز المعدني الغامض، على وشك الإغماء.

بعد مرور لحظات، اقتربت قعقعة أقدام سائرة فوق الأرض الصخرية متوجّهة نحو الكاهن المرمي على حافة المركبة الفضائية. كان على وشك فقدان الوعي، لكنه سمع الكائنات تتلفّظ بكلمات غير مفهومة، فحملت جسده الهزيل وسارت به إلى مكان لم يتوقعه، كل ما تذكره هو سماع طقطقة معدنية غريبة، لكنه فقد الوعي مما عجز عن سماع شيء بعدها..

.. بدأ الرجل العجوز يسرد حكايته: كان ذلك قبل زمن بعيد جداً. آه، كم سنة مرّ على الحادثة؟ ستين؟ سبعين؟ أكثر؟ هذا لا يهم، فقد أصبح خلفنا الآن، ضائعاً في سديم الزمن..

.. تابع الصوت الخافت الهزيل شبه المُستهلك: عندما كنت شاباً مررت بتجارب كثيرة، تجارب مؤلمة. تركت مدينتنا العظيمة لهاسا Lhasa ورحت أتجوّل في البراري فاقد البصر. جائعاً، مريضاً، شبه واعي، التقطتني مجموعة من الغرباء وأخذوني إلى مكان مجهول لا أستطيع وصفه، ومن ثم زوّدوني بتعليمات محددة تحضيراً لهذا اليوم. عندما تنتقل معرفتي إليك، تكون مهمتي في الحياة قد انتهت وأستطيع بعدها الرحيل بسلام إلى المروج السماوية المبهجة...

.. ها هو الكاهن الشاب جالساً أمام العجوز، يستمع إلى قصة آسرة بقدر ما كانت غريبة. القصة التي مثّلت أساس كل الأديان، والخرافات، وكل الأساطير حول العالم. ***إنها القصة التي تم قمعها بهوس وإصرار على يد الحسودين من الكهنة والعلماء النافذين المتعطشين للسلطة، منذ الأيام القبلية الأولى..***

.. رغم أنه لم يكن لدي أي خيار آخر، إلا أنني شعرت بارتياح. وبعد قليل غرقت في نوم عميق. كم من الوقت استغرق نومي، ليس لدي أي فكرة، لكن الذي أتذكره هو صحوتي من جديد على أصوات دندنة رقيقة، ألحان ساحرة ألذّ وأبهج من أجود

الأجراس، أكثر صدحاً من أبواق المعبد. جلست باستقامة ورحت ألتفت حولي محاولاً بالقوة تجسيد البصر في عيني. لكن يداً رقيقة انزلقت عبر كتفي وقال صوتاً: "..انهض وتعال معي.. سوف أقودك.."

تم اقتيادي إلى ما يبدو حجرة كبيرة، واستشعرت فيها مجموعة من الأشخاص، واستطعت سماع نفسهم وخشخشة ملابسهم. قال دليلي "..أجلس هنا.."، ودُفع جهاز غريب تحتي. توقعت أنني سأجلس على الأرض، كما هي العادة التي ألفتها في حياتي، وبالتالي عند هبوطي للأسفل اصطدمت بذلك الشيء الذي تحتي فاختلّ توازني وكدت أقع. (يتحدث عن كرسي)

رحت أتلمّس هذا الشيء الغريب بحذر، وبدا طرياً لكنه صلباً ومتماسكاً. كان مدعوماً بأربعة أرجل، وهناك مسند في الخلف بحيث يدعم الظهر عند الجلوس. في البداية ظننت بأنهم أجلسوني بهذه الطريقة مراعاةً لضعف صحتي مما يتطلّب الأمر مساندتي خلال الجلوس، لكن عندما استشعرت جواً من السخرية التي حاول الحاضرون إخفاءها، أدركت بأن هذه هي عادة الجلوس المعروفة لدى هؤلاء الأشخاص. انتابني شعوراً غريباً، كما شعرت بعدم الأمان، جالساً بهذه الطريقة الغريبة، واعترف بأنني لم أشعر بالأمان سوى بعد أن تعمشقت بهذا الشيء بكل ما عندي من قوة تحسباً من أن أقع عنه. (يتحدث عن كرسي عادي، وهو سيء غير مألوف للكاهن)

".. لا بد من أنك تتساءل من نكون.."، قال الصوت، ".. تتساءل عن هويتنا، ولماذا تشعر بتحسّن في صحتك.. أجلس جيداً واسترخي، حيث لدينا الكثير مما نقوله لك وما سوف نريك إياه.."

".. سيدي الموقّر.."، قلت معترضاً، "..أنا أعمى، حيث انتُزعت عيني، ومع ذلك تقول بأن لديك الكثير لتريني إياه، كيف يمكن هذا؟.."

".. استرخ بسلام.."، قال الصوت، "..كل شيء سيتوضّح لك مع الوقت والقليل من الصبر.."

بدأت أشعر بالألم في رجلي، المتدليتين من هذا الجهاز الذي أجلس عليه بطريقة غريبة، فرفعتهما للأعلى وحاولت أن أجلس بوضعية اللوتس (التربيع) على تلك المساحة الصغيرة التي أجلس عليها (الكرسي) والمدعومة بأربعة أرجل ومسند عند الظهر. فجلست بالوضعية المفضلة لدي وشعرت بعدها براحة أكبر، رغم بقاء الخوف في داخلي من الوقوع عن هذا الجهاز الغريب إلى لا أعلم أين.

"..***نحن البستانيين الذين زرعوا كوكب الأرض***.."، قال الصوت. ".. نحن نسافر بين المجرات وننقل الناس والحيوانات ونوزّعهم على عوالم مختلفة.. وأنتم سكان الأرض لديكم أساطيركم التي تتحدث عنا، وتشيرون إلينا بآلهة السماء، وتتحدثون عن مركباتنا المتوهّجة.. والآن سوف نزوّدك بمعلومات تتعلّق بأصل الحياة على الأرض، ذلك لكي تمرر هذه المعرفة لأحدهم والذي سيأتي إليك وسوف ينقل الرسالة إلى العالم، وسيكتب عن هذه المواضيع في المستقبل، لأن الوقت قد حان كي يعرف الناس الحقيقة عن آلهتهم قبل أن نطلق المرحلة التالية من أجندتنا.."

".. لكن هناك خطأ ما هنا.."، قلت خائفاً، ".. أنا مجرّد كاهن بسيط تسلّق إلى هذا المكان المرتفع بشكل عفوي دون أن أعرف السبب.."

".. نحن أرسلنا إليك وجذبناك إلى هنا باستعانة علمنا المتطوّر.."، قال الصوت، "..لقد اخترناك لهذه المهمة بسبب ذاكرتك الاستثنائية والتي سوف نقويها أكثر.. نحن نعلم كل شيء عنك ولهذا السبب أنت هنا.."

شعرت بالخوف، خوف شديد. ما الذي أعرفه عن هؤلاء البستانيين الذين زرعوا الأرض؟ أنا لست بستانياً أصلاً. أنا لا أعلم شيئاً عن النباتات ولا عن المجرّات. لا أريد أي دور في كل هذا. وخلال انشغالي بهذه الأفكار وضعتُ قدمي على حافة المنصة الصغيرة من تحتي ووقفت عليها. لكن أيدي رقيقة وثابتة دفعتني نزولاً حتى عدت للجلوس ثانية، واتخذت الوضعية السخيفة ذاتها على المنصّة ورجلاي متدلية إلى الأسفل وظهري متكئاً على المسند الخلفي.

".. النبتة لا تملي الأوامر على البستاني.." قال الصوت بحزم، ".. لقد جُلبت إلى هنا وهنا ستبقى وتتعلّم.."

ـــــــ وفي مكان آخر من الكتاب ـــــــ

كان الكاهن لازال جالساً ينتظر مصيره المجهول ويتساءل ما سيحلّ به، إلى أن سمع مجموعة من الأصوات المتجادلة، ويبدو واضحاً أن النقاش كان محتدماً بين الحاضرين في المكان. فشعر بالخوف والإرباك.

".. لا تخف.."، قال الصوت الذي أصبح مألوفاً، ".. هذا مجرّد حوار يدور بيننا.. سوف لن تصاب بأي أذى. نحن فقط نناقش الطريقة المناسب لتزويدك بالمعلومات.."

"..أيها الجليل.."، أجبته بإرباك، "أنا فعلاً مندهش لأجد عظماء بمرتبتكم الرفيعة يتجادلون بالطريقة ذاتها التي يتجادل بها رعاة الياك المتخلفين في تلالنا النائية!.."

قوبلت ملاحظتي بقهقهة خفية مُبطنة بإعجاب بجرأتي. يبدو أن الحاضرين كانوا مسرورين بوقاحتي الغبية.

".. تذكر دائماً.."، قال الصوت، ".. مهما علا شأن الفرد، فلا بد من وجود جدال، وكذلك عدم اتفاق. فدائماً يكون للشخص رأي مخالف لآراء الآخرين. وجب على الفرد أن يناقش من أجل الجدال، وأن يواجه الآراء الأخرى وإلا أصبح عبداً، مرؤوساً آلياً حاضراً دائماً لتقبّل تعليمات الآخر دون تفكير.. النقاش الحرّ يُعتبر لدى المتفرّج غير المتفهّم بأنه مقدمة حتمية للعنف الجسدي.."

طبطب على كتفي مؤكداً وأكمل قائلاً، ".. هنا لدينا أناس مختلفون ليس من أعراق كثيرة، لكن من عوالم كثيرة. بعضهم ينتمي لمجموعتك الشمسية، والبعض الآخر ينتمي لمجرات بعيدة جداً.. بعضهم سيبدون لك أقزاماً صغيرة، بينما آخرون يبدون عمالقة أكبر بستة مرات من البعض الأصغر.."، بعدها، سمعت خطوات أقدامه تبتعد عنّي ومتوجهة نحو المجموعة المتجادلة لينضمّ إليها من جديد.

مجرّات أخرى؟ ما هذا كله؟ ما هي "مجرّات أخرى"؟ عمالقة، حسناً، فقد سمعت عنهم في الحكايا الخرافية كما باقي الناس. أقزام، كنت أشاهد هذه المخلوقات في الاستعراضات المتجوّلة بين الحين والأخرى. هززت رأسي، كل هذا أصبح في الماضي الآن. قال بأنني لن أصاب بأذى، وأن ما يحصل هو عبارة عن نقاش. لكن حتى التجار الهنود الذين يأتون لمدينتنا "لهاسا" لم يصنعوا هذه الضجّة والصخب والصراخ خلال جدالهم مع بعضهم. قررت أن أبقى هادئاً وانتظر التطورات التي ستحدد مصيري. وفي النهاية، ليس هناك ما أستطيع فعله سوى ذلك!

ـــــــ وفي مكان آخر من الكتاب ـــــــ

".. أنت تشعر بغرابة وخوف.."، قال صوت شخص أمامي. هذا بكل تأكيد إقرار صريح منه! ".. لا تفزع.."، أكمل قائلاً، "..سوف لن تُصاب بأي أذى من أي نوع.. تقول نتائج فحوصنا بأن لديك ذاكرة قوية جداً، لذلك سوف نزوّدك بمعلومات – وسوف لن تنساها أبداً – وسوف تمررها لاحقاً إلى شخص آخر يأتيك في وقت ما من حياتك.."

كل هذا بدا غامضاً ومخيفاً جداً رغم التطمينات. لم أقل شيئاً بل جلست صامتاً وانتظرت التعليقات التالية، والتي لم تطول كثيراً.

".. سوف ترى.."، أكمل الصوت، ".. الماضي كله، ولادة كوكبك الأرض، أصل مفهوم الآلهة، ولماذا تجوب المركبات سماء عالمكم.."

".. لكن سيدي المحترم.."، قاطعته قائلاً، ".. لقد استخدمت كلمة [ترى]، مع أن عيني قد شُلعت من حجرتيها، أنا أعمى، أنا فاقد للبصر تماماً.."

شعرت بدمدمة تعجّب تشير إلى سخط واضح، فجاء الردّ على ملاحظتي ببعض من الحدّة، ".. نحن نعلم كل شيء عنك، أكثر مما يمكنك معرفته.. لقد انتُزعت عينيك، لكن العصب البصري لازال موجوداً. سوف نوصل عصبك البصري بواسطة تقنياتنا ونجعلك ترى ما نريدك أن تراه.."

".. هل يعني هذا أنني سأبصر ثانية وإلى الأبد؟.."، سألت متلهفاً.

".. لا، ليس هكذا.."، جاء الجواب. ".. نحن نستخدمك لسبب.. وبالتالي، فإن إعادة بصرك إلى الأبد يعني إعادتك إلى عالمك مزوّداً بتقنية متطورة جداً بالنسبة للعلوم السائدة هناك، وهذا غير مسموح.. والآن يكفي كلام، سوف أنادي المساعدين.."

ـــــــ وفي مكان آخر من الكتاب ـــــــ

في هذا المرحلة كان قد تم تفعيل حاسة البصر عند الكاهن.. وحصلت أحاديث جانبية لا أهمية لها بالنسبة لموضوعنا...

خطرت في بالي فكرة مفاجئة. شيئاً ما كان ينقّ في رأسي طوال الساعات الماضية، وهذا الموضوع انتقل إلى انتباهي بحيث أصبح واضحاً جلياً. فقلت هاتفاً، ".. سيدي المُعتقِل.. من أنت؟ هل أنت الله؟.."

نظر إلي متأملاً وكأنه أصيب بحيرة وإرباك من هذا السؤال الذي بدا واضحاً أنه غير متوقع. وضع إصبعه على ذقنه، كشكش شعره، وقلّص كتفيه قليلاً، ثم أجاب قائلاً، ".. سوف لن تفهم.. هناك أمور لا يمكن استيعابها سوى بعد ارتقائك إلى مستوى معيّن.. لكن دعني أجيبك من خلال طرح سؤال.. إذا كنت في دير الرهبان الذي تنتمي إليه وإحدى مهماتك هي رعاية قطيع من حيوان الياك، هل تستطيع الإجابة على الياك إذا سألك من تكون؟.."

فكرت بالأمر قليلاً ثم قلت، "..حسناً، سيدي، من المؤكّد أنني لن أتوقع من الياك أن يسألني هكذا سؤال، لكن إذا فعل ذلك سوف اعتبره برهاناً على أنه عاقل، وبالتالي وجب علي محاولة الشرح له من أكون، رغم أنني سأواجه مشكلة في ذلك.. أنت تسألني، سيدي، ماذا سأفعل إذا طرح علي الياك سؤالاً، وها أنا أجيبك بأنني سوف أجيب على سؤاله بكل ما عندي من استطاعة.. وفي الحالة التي ذكرتها حضرتك سوف أقول بأنني راهب وأنه تم تعييني لرعاية حيوانات الياك، وأنني أعمل بكل ما لدي في رعايتها، وأعتبرها أخوتي وأخواتي رغم أننا نختلف في الشكل.. سوف أشرح للياك بأننا نحن الرهبان نؤمن بالتقمّص، وسأشرح أيضاً كيف نزلنا إلى هذه الدنيا لنقوم بالمهمات الموكلة إلينا ونتعلّم دروساً مرصودة لنا مسبقاً، ذلك لكي نستطيع في الحياة الآخرة أن نرتقي إلى أشياء أسمى.."

".. حسناً تكلمت، أيها الراهب، حسناً تكلّمت.."، قال معتقِلي. ".. أنا أعترف حقاً بأن أحد المنتمين لمستويات دُنيا استطاع إغناء نظرتي العامة تجاه بعض الأشياء.. نعم أنت على حقّ، لقد أذهلتني بشكل كبير، أيها الراهب، من خلال النظرة الحكيمة التي أظهرتها، ووجب أن اعترف بعنادك وثباتك، لأنك أظهرت جرأة تفوق تلك التي يمكنني إظهارها إذا كنت سيّء الحظ ووضعت في حالة مشابهة لحالتك الآن.."

شعرت الآن بالمزيد من الجرأة، فأضفت قائلاً، ".. تشير إلي على أنني من المنتمين لمستويات دنيا.. وقبل ذلك أشرت إلي على أنني متوحّش، غير متحضّر، غير مثقّف، لا أعلم شيء.. سخرت مني عندما اعترفت بحقيقة أنني لا أعرف شيئاً عن المدن العظيمة في هذا العالم.. لكن سيدي، لقد قلت لك الحقيقة.. قلت لك الحقيقة، اعترفت بجهلي، لكنني أنشد التنوّر لكي أضيء ذلك

جهلي المظلم لكنك لا تساعدني. أسألك مرة أخرى، سيدي، لقد جعلتني أسيراً ضدّ إرادتي تماماً، لقد تمتعت بما يكفي من حرية خلال التلاعب بجسدي، المعبد الذي تقبع فيه روحي، لقد شغلت نفسك بإظهار أمور كثيرة لإثارتي. لكن سوف أشعر بإثارة أكثر، سيدي، إذا أجبت على سؤالي، لأنني أعلم ما أريد معرفته. أنا أسألك مرة أخرى.. من أنت؟.."

وقف لبعض الوقت ويبدو الإحراج واضحاً عليه. ثم قال، "في مصطلحاتكم اللغوية ليس هناك كلمات ولا مفاهيم تمكنني من شرح الموقع الذي أنا فيه.. قبل مناقشة موضوع معيّن، من الضرورة أن يكون الجانبين، الفريقين المتناظرين، مستوعبين للمصطلحات ذاتها، كما وجب أن يكونان متفقين حول مبادئ معيّنة. لكن في الوقت الحاضر دعني فقط أقول لك بأنني الشخص الذي يمكن تشبيهي للاما الطبيب في ديركم. أنا موكّل بمسؤولية الاعتناء بجسدك وتحضيرك لكي تصبح مؤهلاً لأن تستوعب كمية المعلومات التي نريد تزويدك بها.. هذا طبعاً لم يحصل قبل أن أتأكّد بأنك أصبحت حاضراً لاستيعاب تلك المعرفة. وإلى أن تُزوّد بتلك المعرفة، سوف تبقى مناقشة مسألة من أكون أو ماذا أكون غير مجدية إطلاقاً. فقط تقبّل حالياً حقيقة أن ما نفعله هو من أجل خير الآخرين، ورغم أنك ممتعضاً من الحرية التي منحناها لأنفسنا خلال التعامل معك ومع جسدك، إلا أن هذا الامتعاض سيزول بعد أن تتوضّح الصورة لديك وتتعرّف على غايتنا من ذلك.. عندما تعلم من نكون، ومن تكون أنت وأبناء جنسك، فسوف تغيّر رأيك حتماً.."

بعد انتهاءه من الكلام، فصل جهاز الرؤية التي وصلوه بعيني، وسمعته يغادر الحجرة. لقد عدت مرة أخرى إلى ظلام العميان، وحيداً مرة أخرى مع أفكاري وتأملاتي.

ـــــــ وفي مكان آخر من الكتاب ـــــــ

فيما يلي بعض من مجريات الاجتماع الذي عُقد بحضور مجموعة من الفضائيين ويشرح فيه الفضائي الزعيم بعض الأمور المتعلقة بكوكب الأرض وسكانه، وكذلك الجواب على تساؤلات الحاضرين عن سبب اختيار هذا الراهب تحديداً رغم وجود أشخاص أكثر كفاءة ووفق ظروف أكثر مواتاة...

".. هناك من بيننا من يقترح اللجوء إلى نصوص مكتوبة فقط والمتجلية لأحد الرُسل أو القديسين كما فعلنا في السابق على هذا الكوكب.. لكنني قلت بأن هذه النصوص المسجّلة قد تعرّضت في الماضي إلى التحريف والتشويه ومُنحت قدسية مهيبة بحيث حُرّمت مناقشة الإضافات والخرافات التي وُبئت بها، وبالتالي تجرّدت هذه النصوص من أي منفعة منشودة للإنسان، لأنه ببساطة أسيء تفسيرها وصياغتها. والأهالي لم يتعمقوا في المعاني التي احتوتها النصوص بل أخذوا ما هو ظاهر فقط، وهذا الشكل الظاهر أيضاً أسيء تفسيره. هذا العمل ساهم في إعاقة تقدمهم وتطورهم الروحي وكذلك عمل على خلق طبقات كهنوتية أو مجموعات مقدسة أو سلالات مقدسة، وأيضاً وصلت ببعضهم الجرأة لأن يزعموا بأنهم المختارون من قبل القوى السماوية العليا لنشر تعاليم لم تكن مكتوبة من قبلنا أصلاً..

.. ***ليس للبشر أي إدراك حقيقي لوجودنا في الفضاء الخارجي***.. عندما تُشاهد مركباتنا الدورية يعتبرونها أجراماً سماوية طبيعية أو مجرّد هلوسة أصيب بها المشاهدون وبالتالي يتعرضون للسخرية ويُشكّ بصحتهم العقلية. يعتقدون بأن الإنسان خُلق بصور الله وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك مخلوقات أعظم من الإنسان. لديهم القناعة الكاملة بأن هذا الكوكب التافه الصغير هو المصدر الوحيد للحياة، ولا يعرفون بأن العوالم المأهولة في الكون هي أكثر عدداً من حبات الرمل الموجودة في هذا الكوكب، وأن هذا الكوكب هو من بين الأصغر والأكثر تفاهة..

.. يعتقدون بأنهم أسياد الخلق وكل حيوانات العالم هي لهم وبالتالي هم أحرار لاصطياد وتعذيب أياً منها. ومع ذلك فإن فترة حياتهم لا يتجاوز مدتها لمحة العين. فبالمقارنة معنا، إنهم كالبعوضة الأرضية التي لا تعيش أكثر من يوم واحد، حيث تولد وتنمو وتتزاوج وتموت خلال ساعات.. بينما متوسّط طول فترة حياتنا يبلغ خمسة آلاف سنة أرضية، ومتوسط حياة البشر يبلغ عدة عقود فقط. وكل هذا، أيها السيدات والسادة، كان بسبب معتقداتهم غريبة الأطوار ومفاهيمهم الخاطئة بشكل مأساوي. ولهذا السبب تم تجاهلهم من قبلنا في الماضي، لكن الآن يقول حكمائنا بأنه خلال نصف قرن سوف يكتشف هؤلاء الأرضيون أسرار الذرّة. وبالتالي يمكن أن يفجرّون عالمهم الصغير وتتسرّب بعدها إشعاعات خطيرة إلى الفضاء الخارجي فتلوثه..

.. كما يعلم معظمكم، فقد قرر الحكماء بأن يؤسر أحد المحليين الأرضيين، وقد أسرنا هذا الذي أمامكم، ويُعالج عقله بطريقة تجعله قادر على تذكّر كافة التفاصيل التي سنزوّده بها. سوف يتم تكييفه بهذه الطريقة وينتظر إلى أن يسوق له القدر في المستقبل أحد من الذين سيولدون في هذا العالم مع مهمة نشر هذه المعرفة إلى كل من أراد الاستماع للحقائق، وليس الخرافات، المتعلّقة بسكان العوالم الأخرى في هذا الكون..

.. هذا الإنسان المحلّي، وهو ذكر، تم تحضيره بشكل خاص لكي يتلقى رسالتنا، والتي سوف ينقلها لاحقاً إلى شخص آخر. سوف يكون العذاب كبير بحيث لا يستطيع العيش طوال هذه الفترة، لذلك دعونا جميعاً ندعو له بالخير حيث إذا انتهت حياته على هذه الطاولة فسوف نضطرّ إلى البحث عن محلّي آخر، وهذا ما اكتشفنا بالتجربة العملية أنه أمر مملّ وصعب..

.. لقد اعترض أحد أفراد طاقم السفينة مقترحاً بأنه علينا انتقاء محلي من منطقة أكثر تطور، ويتمتع بمنزلة رفيعة في محيطه الاجتماعي، لكننا نعتقد بأنها ستكون خطوة خاطئة. فإن تلقين هكذا محلّي ومن ثم إطلاق سبيله بين شعبه سوف يجعله يتعرّض لحملات تشكيك وارتياب من قبل الآخرين من جنسه، وهذا سوف يؤخّر برنامجنا بشكل جدّي. سيُسمح لجميع الحاضرين هنا بمشاهدة هذا الاستحضار للماضي. إن الأمر نادر بالفعل، لذلك تذكروا أنكم أكثر حظوة من الآخرين.."

قبل أن ينتهي هذا الزعيم من كلامه قاطعه صوت خشخشة وصرير قادم من بعيد، ثم بدأ مصدر هذا الصوت الداخل إلى الاجتماع بالكلام، ويا له من صوت! بدا واضحاً أنه لم يصدر من كائن بشري، كما أنه لم يبدو ذكراً أم أنثى. مجرّد أن سمعته شعرت بشعري يقف والبثور تملأ جسمي. ".. بصفتي رئيس البيولوجيين، أي لست مرؤوساً من قبل البحرية ولا الجيش.."، قالها هذا الكائن المزعج بصوت قبيح جداً، ثم أكمل: ".. أرغب بتسجيل موقفي المعارض لهذه الإجراءات التي تتخذونها. وسوف أقدم تقريري كاملاً للقيادة بعد الانتهاء. أطالب الآن بأن تُسمع أقوالي.."

بدت المفاجأة على جميع الحاضرين في الاجتماع. ساد التململ للحظات، ثم وقف بعدها الزعيم على قدميه. ".. بصفتي قائد هذا الأسطول.."، قالها بجفاف، ".. فأنا مسؤول عن هذه الحملة مهما كانت الاعتراضات التي تصدر من رئيس البيولوجيين الساخط.."

".. لكن مع ذلك، دعونا نسمع الاعتراضات حتى النهاية.. يمكنك المتابعة أيها البيولوجي.."

من دون أي كلمة شكر، أو أي تحيّة تقدير روتينية، تابع مصدر الصوت المزعج في احجاجه قائلاً: ".. أنا أعارض هذه المضيعة للوقت.. أنا أحتجّ على القيام بأي إجراءات إضافية على هذه المخلوقات المليئة بالعيوب.. في الماضي، عندما وجدنا بأن هذا العرق غير مجدياً، تم إبادته بالكامل ثم بُذر الكوكب بعرق جديد.. دعونا نكسب الوقت ونقوم بإبادتهم الآن قبل أن يلوّثوا الفضاء.."

قاطعه الأدميرال قائلاً: ".. وهل لديك أي اقتراح يفسّر لماذا فيهم عيوب أيها البيولوجي؟.."

".. نعم، لدي.."، قال البيولوجي بغضب، ".. الأناث من هذا العرق مصابات بعدة عيوب.. حيث أن آلية التكاثر لديهنّ مصابة بعيب، فمجال الطاقة لديهنّ لا يتجاوب مع ما خططنا له.. لقد أمسكنا بواحدة مؤخراً، ومن ما يُعتبر المناطق الأفضل في هذا الكوكب. لقد صرخت مذعورة وصارعت بعنف شديد عندما أزلنا ملابسها.. وعندما أدخلنا مسبار إلى جسدها لتحليل إقرازاتها أصيبت بحالة هستيرية وفقدت الوعي.. ثم استعادت وعيها مرة أخرى، ورأت بعض من البيولوجيين المساعدين من حولها وربما هذا المشهد أدى إلى فقدانها لعقلها. كان علينا تدميرها، وبذلك ذهبت جهودنا التي بذلنا طوال أيام سدىً.."

ـــــــ وفي مكان آخر من الكتاب ـــــــ

تم وضع جهاز خاص يمكّن الراهب من الرؤية، كما لو أنه يشاهد التلفزيون لكن الصور تظهر في عقله فقط. وخلال هذه الفترة جرى حديث بين الراهب وأحد مضيفيه.. وراح يشرح له المشاهد التي يراها في عقله..

أجابني الصوت قائلاً، ".. وجب أن تفهم بأن كوكب الأرض هو مكان صغير، هو أحد أصغر حبات الرمل القابعة على ضفاف نهر سعيد. العوالم الأخرى في هذا الكون الذي ينتمي إليه كوكب الأرض هي عديدة ومتنوّعة كما هي الحال مع حبات الرمل، الحجارة، والصخور القابعة على طول ضفاف النهر السعيد. لكن هذا كون واحد فقط. وفي الحقيقة هناك أكوان كثيرة أخرى ولا يمكن إحصائها كما حالة نصال الأعشاب التي يستحيل إحصائها. الزمن على كوكب الأرض يمثّل ومضة خاطفة في وعي الزمن الكوني. المسافات على كوكب الأرض لا تمثّل شيئاً أو حتى أنها غير موجودة أصلاً بالمقارنة مع المسافات العظيمة في الفضاء.

الآن أصبحت في عالم يقبع في كون آخر يختلف تماماً، بعيد جداً عن كوكب الأرض، وهذا كما تعلم يتجاوز حدود قدرتك على الاستيعاب. سوف يأتي الوقت الذي يعترف به علمائكم الكبار في عالمكم بحقيقة وجود عوالم أخرى مأهولة، وأن كوكب الأرض ليس، كما يعتقدون الآن، مركز الوجود.

أنت الآن وسط عالم مؤلف من مجموعة يفوق عددها ١٠٠٠ عالم مختلف. وكل من هذه العوالم مأهولة، وكل منها يدين بالولاء المركز الرئيسي، سيّد العوالم، والذي أنت فيه الآن جسدياً. كل من هذه العوالم تتمتع بحكم ذاتي رغم أنها تتبع السياسة العامة التي وضعها سيّد العالم، وتهدف هذه السياسة إلى إرساء العدالة ومحاربة الظلم الذي يمكن أن يتعرّض له الأهالي. هذه السياسة مكرّسة لتحسين ظروف كل ما يتمتع بالحياة.

كل من هذه العوالم يسكنها نوع مختلف من الناس. بعضهم صغير كما رأيت سابقاً، وبعضهم عملاق، كما رأيت أيضاً. بعضهم، وبالمقارنة معك، يُعتبرون مذهلين وعجيبين، والبعض الآخر هو رائع الجمال، أو ذات خلقة ملائكية كما تقولون. وجب على الفرد أن لا ينخدع بالمظاهر الخارجية، فجميع هذه الشعوب رغم تعدد أشكالها تخفي ذات النوايا الحسنة. كافة هذه الشعوب تدين بالولاء للسيّد العالم، وهو المكان الذي أنت فيه الآن. سوف يكون من غير المجدي وكذلك عبئ كبير على قدراتك الذهنية إذا حاولت أن أوفّر لك أسماء، لأن هذه الأسماء لا تحمل أي معنى بالنسبة لمنطقك اللغوي الذي تألفه، ولا للمفاهيم التي نشأت عليها، وبالتالي فسوف تسبب لك الحيرة والإرباك.

كما قلت في السابق، هذه الشعوب تدين بالولاء لسيّد العالم. ليس لديه أي أطماع توسعية وكل ما ينشده فقط هو المحافظة على السلام بحيث يعيش الإنسان، مهما كان شكله أو حجمه أو لونه، أيامه بسعادة ويكرّسها للخير بدلاً من التدمير الذي يكون نتيجة حتمية عندما يضطرّ للدفاع عن نفسه.

لا يوجد هنا جيوش عظيمة، ولا أفرقاء متحاربة. بل هناك علماء، تجار، وبكل تأكيد كهنة. كما أن هناك مستكشفين يسافرون بعيداً إلى عوالم نائية. ويتزايد باستمرار عدد العوالم التي تنضمّ إلى عضوية هذا الحلف الكوني العظيم الذي أنشأه سيّد العوالم. لم يُطلب من أحد الانضمام، ولا يُدعى إلى ذلك. الذين ينضمون لهذه الفدرالية يفعلون ذلك بناء على طلبهم، وبعد أن يدمرون أسلحتهم بالكامل.

العالم الذي أنت فيه الآن هو مركز هذا الكون بالتحديد. إنه مركز الحضارة، مركز العلم، وليس هناك أعظم وأروع. لقد اكتُشفت طريقة جديدة للسفر وتم تطويرها. وهنا أيضاً، فإن تفسير هذه الوسيلة سوف يجهد القدرات الذهنية لأعظم العلماء في كوكب الأرض، حيث لم يصلوا بعد إلى مرحلة التفكير بصيغة مفاهيم رباعية الأبعاد أو خماسية الأبعاد، ومناقشة هكذا أفكار سوف تكون مبهمة بالنسبة لهم، إلا إذا حرّروا عقولهم من المعتقدات العلمية المحدودة التي تأسر طريقة تفكيرهم الآن.

المشاهد التي تراها الآن هي للعالم القيادي كما هو عليه الآن. نريدك أن تسافر فوق سطحه ورؤية جبروت حضارته. وهي حضارة متقدمة جداً، رائعة جداً لدرجة أنك لا تستطيع استيعابها. الألوان التي تراها هنا تختلف عن تلك التي تألفها في كوكب

الأرض، لكن الأرض ليست مركز الحضارة. تختلف الألوان في كل من العوالم وتعتمد بشكل كبير على الظروف والمتطلبات التي تتفاوت بين عالم وآخر. سوف تنظر إلى هذا العالم وصوتي يرافقك، وعندما ترى منه ما يكفي ليجعلك تقدّر مدى عظمته سوف نعود سوياً إلى الماضي وهناك ستتعلّم كيف تُكتشف العوالم، وكيف تُولد، وكيف نحاول مساعدة أولئك الذين يريدون مساعدة أنفسهم. تذكّر دائماً أننا نحن أهل الفضاء لسنا بدرجة الكمال، حيث لا يمكن للكمال أن يكون خلال عيشنا في الحالة المادية للوجود، مهما كانت الأحوال وفي أي مكان من الكون، لكننا نحاول بكل ما عندنا لأن نحقق هذه الدرجة خلال وجودنا المادي. كان هناك في الماضي من كانوا أخياراً، بينما هناك من كانوا، وللأسف الشديد، أشراراً. لكننا لم نرغب في عالمكم، كوكب الأرض، وبدلاً من ذلك نرغب في أن تطوّروا هذا الكوكب وتعيشوا فيه بسلام، وما نعمل عليه هو الحرص على أن لا يلوّث الإنسان الفضاء وتهديد سلامة الشعوب في العوالم الأخرى. والآن سوف ترى المزيد من هذا العالم القيادي.

".. تأمّلت في كل هذه العوالم.."، قال الناسك العجوز، ".. وفكّرت بعمق في ما يكمن وراء كلام مضيفي لأنه بدا لي كل هذا الكلام عن الحب الأخوي بأنه مجرّد كلام فارغ لا معنى له. وما حصل لي هو أكبر دليل على أن هذا الكلام ليس له أي أساس من الصحّة.. ها أنا هنا، مجرّد شخص فقير وجاهل ينتمي لبلد فقير ومتخلّف، تم أسري ضدّ إرادتي، ثم أجروا عليّ التجارب، وها أنا الآن مجبوراً على الخروج عن جسدي.. إن الكلام عن صنع الخير للإنسانية لم يكن له أساس بالنسبة لي.."

قاطعني الصوت خلال شرودي مع أفكاري، وقال: أيها الناسك، لقد تم تسجيل وترجمة كافة أفكارك على أجهزتنا، وهذه الأفكار ليست صحيحة، أفكارك هي الخطأ بعينه.. ثم أكمل الصوت يقول:

".. نحن المزارعون، وعلى المزارع أن ينتزع الخشب الميّت، وأن يقلع الأعشاب غير المرغوبة. لكن عندما يكون هناك براعم أفضل وجب على المزارع أن ينتزعها من النبتة الأم وتطعيمها في مكان آخر، على أمل أن تنمو وتتطوّر كفصيلة جديدة، أو تنمو بنفس فصيلتها الأصلية لكن بشكل أفضل. حسب معتقداتك الخاصة أنت تظن بأنه أسيء معاملتك. لكن وفق معتقداتنا فقد مُنحت شرف كبير، هذا الشرف الذي لا يُمنح سوى للقلائل جداً جداً من فصائل العالم، إنه شرف محفوظ....

تردّد الصوت لبرهة ثم أكمل كلامه مغيّراً للموضوع:

".. يعود تاريخنا مليارات السنوات إلى الوراء حسب التوقيت الزمني لكوكب الأرض.. مليارات المليارات من السنين.. وبالإضافة إلى ذلك، لنفترض بأن طول حياة كوكب الأرض يمثّل ارتفاع قلعة البوتالا Potala، فإن حياة الإنسان على هذه الأرض لا يتعدى سماكة طبقة رقيقة من طلاء سقف أحد حجراتها. وبالتالي، كما ترى، الكائن البشري حديث الوجود بالنسبة لتاريخ كوكب الأرض، وبالتالي لا يحقّ لأي إنسان أن يحاول الحكم على أفعالنا...

.. سوف يكتشف علمائكم لاحقاً بأن قوانينهم الرياضياتية تشير إلى دلائل على وجود كائنات تسكن الفضاء. وسوف تشير أيضاً إلى أنه من أجل الحصول على دلائل ملموسة لوجود حياة أخرى في الفضاء، وجب عليهم البحث في ما وراء حدود الكون الذي ينتمون إليه، أي بعد سبر أغوار الأكوان الأخرى. لكن هذا ليس الوقت أو المكان المناسب للانشغال بهكذا مواضيع. تقبّل

تأكيداتنا بأنك تقوم بعمل جيّد ونحن نعلم ما هو الجيّد بهذا الخصوص. تتساءل أين أنت الآن، وسوف أقول لك بأن روحك، الخارجة عن جسدك بشكل مؤقّت، سافرت إلى أبعد ما يقبع وراء حدود الكون الذي تنتمي إليه، وذهبت إلى مركز كون آخر، إلى المدينة المركزية للكوكب القيادي. لدينا الكثير مما نريك إياه، ورحلتك لازالت في بدايتها. أعلم أنك ترى ذلك العالم كما هو عليه الآن في هذه اللحظة، لأنه في حالة خروج الروح عن الجسد، يصبح الأمر مختلفاً تماماً بحيث لم يعد هناك معنى للزمان والمكان...

لقد بدأت بعدها رحلة روح الناسك عبر الزمن، إلى بدايات تشكّل الأرض، ومن هناك سار مع مراحل تطورها البطيء، مرحلة مرحلة، إلى أن قرّر "المزارعون" الفضائيون بأنه حان الوقت لنثر بذور الحياة في هذا الكوكب. فبدأت مرحلة جديدة من تاريخ الأرض البطيء، وفيما يلي بعض من الفقرات المهمة بالنسبة لموضوعنا:

تابع الصوت حديثه، ".. لمدة قرون، استمرّت المراقبة الحذرة لذلك النظام الشمسي المتشكّل حديثاً، باحثين عن وجود أي نوع من الإشعاعات القاتلة. مرّت ملايين السنين، وهذه الفترة الزمنية الطويلة تمثّل بالنسبة لحياة الكون ما يمكن مقارنته بدقائق معدودة في حياة الإنسان. وأخيراً انطلقت حملة استكشافية أخرى من قلب إمبراطوريتنا. هذه الحملة مجهّزة بأحدث التقنيات التي تمكّنا من تخطيط العوالم الجديدة التي سننثر بذور الحياة فيها..". توقّف الصوت عن الكلام، وحدّقت مرّة ثانية إلى الشاشة الكبيرة أمامي.

تألّقت النجوم باردة وبعيدة في الفضاء المترامي الأطراف. لمعت بألوان كثيرة يفوق عددها ألوان قوس قُزح. راح حجم الصورة يزداد ويزداد تدريجياً إلى أن ظهر عالم جديد ويبدو كأنه كتلة دائرية من الغيوم.

راحت الغيوم المضطربة تشطب بعضها البعض مع إنتاج أكثر الرعود فزعاً. ".. من غير الممكن..."، قال الصوت، ".. إجراء تحليل حقيقي لعالم بعيد بواسطة السبر عن بُعد.. كنا في السابق نظنّ عكس ذلك، لكن التجربة علمتنا بأننا كنا مخطؤون.. وأصبحنا نرسل الحملات الاستكشافية منذ عدة ملايين من السنوات.. أنظر!.."

أزيح مشهد الكون جانباً، كما لو أنك تزيح ستارة. ومرّة أخرى رأيت أرض منبسطة تمتدّ إلى لا نهاية. كانت الأبنية مختلفة، حيث الآن هي طولية الشكل ومنخفضة. والمركبة العظيمة التي وقفت هناك جاهزة، كانت مختلفة أيضاً. كانت المركبة تشبه طبقين متواجهين، النصف الأوّل يشكل طبق موجّه للأعلى، والنصف العلوي يشكّل طبق موجّه للأسفل. كانت المركبة تتوهّج كما القمر البدر. يطوّق محيطها مئات النوافذ الدائرية الصغيرة. وفي أعلى قمتها يوجد صالة مؤلفة من قبة زجاجية يبلغ قطرها تقريباً ٥٠ قدم. بسبب ضخامة المركبة، بدت الآليات التي تعمل حولها صغيرة جداً، وكانت هذه الآليات تعمل بشكل دؤوب ومتواصل لتزويد المركبة بالمتطلبات والمؤن.

على شكل مجموعات عدة، وقف نساء ورجال ببزاتهم الغريبة، وبحوزة كل منهم عدة صناديق قابعة على الأرض بالقرب من أرجلهم. بدت الأحاديث الدائرة بينهم وكأنها بهيجة، وكان المزاج مرحاً. وهناك أفراد بملابس فاخرة، أكثر زخرفة، يتبخترون

ذهاباً وإياباً، ربما يتفكرون في مهمتهم الجديدة. جعلتهم إشارة مفاجئة ينحنوا نحو صناديقهم على الأرض، يحملونها وينطلقوا نحو المركبة المنتظرة. وبعد دخولهم المركبة، أقفلت الأبواب المعدنية خلفهم كما تفعل جفون العين.

بعدها بوقت قصير، ارتفعت المركبة العملاقة مسافة ١٠٠ قدم في الهواء. حلّقت للحظات ومن ثم اختفت فجأة، دون أن تترك أثر يدلّ على أنها كانت موجودة هناك. قال الصوت، ".. إنها تسافر بسرعة تتجاوز سرعة الضوء بمستويات لا يمكن استيعابها.. إنها تمثّل عالم قائم بذاته، وعندما يكون الفرد في أحد هذه السفن الفضائية فسيبقى غير متأثّر بالظروف والتأثيرات الخارجية.. ليس هناك أي شعور بالسرعة، ولا شعور بالسقوط، ولا حتى في المنعطفات الحادة..". يكمل الصوت قائلاً:

".. الفضاء ليس وسيطاً فارغاً كما يعتقد علمائكم الأرضيين.. الفضاء هو مكان منخفض الكثافة.. هناك جو يحتوي على جزيئات الهيدروجين. يمكن لهذه الجزيئات أن تفصل بين كل منها مسافة مئات الأميال، لكن في السرعة التي تحققها مركباتنا سوف يبدو ذلك الجو الهيدروجيني بنفس درجة كثافة ماء البحر. يمكن للفرد أن يسمع صوت الجزيئات تتدافع فوق جوانب السفينة وكان علينا اتخاذ الإجراءات اللازمة لتجاوز مسألة توالد الحرارة الناتج من الاحتكاك الجزيئي.. أنظر!.."

في شاشة مجاورة، ظهرت المركبة المشابهة لشكل القرص وهي تشقّ طريقها في الفضاء بسرعة خاطفة، تاركة وراءها أثر باهت من الضوء الأزرق. كانت السرعة عظيمة جداً لدرجة أن صورة الشاشة تحرّكت بارتباك من أجل اللحاق بها. بدت النجوم وكأنها خطوط مستقيمة متواصلة. همس الصوت، ".. سوف نحذف مراحل السفر في الفضاء ونركّز على ما يهمّنا أكثر.. أنظر إلى الشاشة الأخرى.."، فعلت ذلك في الحال، ورأيت المركبة وهي تسافر الآن بشكل بطيء جداً، وتدور حول الشمس، ***شمسنا***. لكن الشمس بدت مختلفة تماماً عن ما هي عليه الآن. كانت أكبر حجماً، أكثر سطوعاً، وألسنة اللهب العملاقة امتدّت بعيداً عن محيطها. راحت المركبة تدور حول مدار العالم الأوّل، ثم الثاني.

وفي النهاية راحت تقترب من عالم آخر عرفت بطريقة ما أنه كوكب الأرض. مكسوة تماماً بالغيوم، راحت الأرض تتدحرج تحت المركبة المقتربة منها. قامت المركبة بعدة مدارات حول الكوكب ثم راحت تتباطأ أكثر وأكثر. تغيّرت الصورة على الشاشة، وأصبحت أرى ما يجري داخل المركبة. كان مجموعة من الرجال والنساء يسيرون في ممرّ معدني طويل. في نهاية الممرّ دخلوا إلى صالة كبيرة تحتوي على مركبات صغيرة متطابقة بالشكل مع المركبة الأم. صعد بعض الرجال والنساء السلّم المؤدي لأحد هذه المركبات الصغيرة، بينما الآخرون غادروا المكان. خلف جدار شفاف، راقبهم أحد الرجال، ويديه فوق مجموعة من الأزرار الملوّنة، وأمامه لوحة عليها أضواء وامضة. بعدما توهّج الضوء الأخضر، ضغط الرجل على عدة أزرار بالتتابع.

تراجع قسم من الأرضية تحت المركبة الصغيرة، وفتحت مصراعيها كما جفون العين. فنزلت المركبة خارجة نحو الفضاء. راحت تنزلق نزولاً في الجو، تنخفض وتنخفض إلى أن ضاعت وسط الغيوم الكثيفة التي تغطي الأرض. ثم تغيّرت الصورة أمامي مرّة أخرى، فرحت أرى المشاهد من داخل المركبة الصغيرة. هنا حيث الغيوم الدوامة والمتدحرجة، بدا الأمر وكأنها حواجز غير قابلة للاختراق، لكنها كانت تذوب أمام المركبة خلال النزول عبرها. رحنا ننخفض وننخفض إلى أن دخلنا إلى

عالم يسوده نهار باهت ومتجهّم. بحر رمادي يتموّج بجيشان غير منتظم وبد من بعيد وكأنه مندمج مع الغيوم الرمادية. تلك الغيوم التي عكست توهّج أحمر ناتج من مصدر غير معروف.

استوى مسار المركبة بشكل أفقي وراحت تطير بين الغيوم والبحر. راحت المسافات الطويلة تمرّ تحتنا، فوق البحر الهائج اللامحدود. فوق خط الأفق ظهرت كتلة سوداء، ظهرت هذه الكتلة فوق سطح المياه نتيجة اندفاع حمم البراكين النارية من قلب الأرض. تابعت المركبة سيرها. بعدها بوقت قصير لاح من تحتنا كتلة عظيمة من اليابسة الجبلية. براكين عملاقة ناطحت الغيوم برؤوسها القبيحة. نيران عظيمة اندفعت للأعلى والحمم السائلة راحت تتدحرج من على جوانب الجبال لتسقط في البحر مسببة الهسهسة والزئير.

أبحرت المركبة حول هذا العالم الجديد لعدّة مرات. لم يكن هناك سوى كتلة واحدة فقط من اليابسة المحاطة ببحر متقاذف الأمواج، والذي يبدو من ارتفاع منخفض أنه يطلق البخار. وفي النهاية ارتفعت المركبة للأعلى ودخلت الفضاء عائدة إلى المركبة الأم. راحت الصورة على الشاشة تذوي وتتلاشى بينما ظهرت المركبة الأم وهي تسافر عائدة إلى مركز الإمبراطورية.

تابع الصوت في سرد القصة كلامياً:

".. عادت هذه الحملة الاستكشافية الثانية إلى.."، (ذكر هنا أسماً، لكنني لم أتمكن من لفظه لأن الأمر يتجاوز قدرتي، لذلك سوف أستبدلها بكلم إمبراطوريتنا)، ".. درسة العلماء التقارير التي قدمتها طواقم المركبة الاستكشافية. جرى تقييم الأمر ومن ثم افتراض عدد القرون التي ستمرّ من حياة الأرض قبل أن تصبح قابلة لأن تحتضن المخلوقات الحيّة. راح البيولوجيون وعلماء الجينات يعملون معاً لوضع الخطط المناسبة لتشكيل أفضل أنواع المخلوقات. عندما يُراد إحياء عالم جديد، وجب أولاً تزويده بحيوانات عملاقة ونباتات ثقيلة الورق. كافة الأتربة تحتوي على مسحوق الصخور، وغبار الحمم ونوع معيّن من العناصر الكيماوية. هكذا نوع من الأتربة لا يمكن أن يدعم سوى نباتات خشنة تتحمّل الظروف القاسية. ثم تتلاشى هذه النباتات، وكذلك الحيوانات تموت وتتلاشى، فتمتزج بقاياها مع غبار الصخور. بعد مرور آلاف السنين على هذه العملية المستمرّة، تتشكّل ما نعرفها بالتربة soil. خلال تحوّل التربة إلى نوع أكثر تطوراً من مجرّد غبار صخري، يمكن بعدها إنماء أنواع أفضل من النباتات. مع مرور الوقت، وعلى سطح أي كوكب، فإن التربة هي في الحقيقة مجرّد بقايا أنسجة وخلايا الحيوانات والنباتات المتلاشية عبر الزمن.."

توقّف الصوت عن الكلام لبرهة، ثم تابع الحديث:

".. إن جو الكوكب الجديد لا يناسب الكائنات البشرية، حيث يعجزون عن تنفّس هواءه. فنفحات براكينه المتجشئة تحتوي على الكبريت وغازات كثيرة أخرى سامة ومؤذية. لكن الزراعة المناسبة ستتغلّب على هذه المسألة عبر امتصاص النباتات للسموم واسترجاعها إلى التربة كعناصر غير مؤذية. كما أن النباتات تستنشق الغازات السامة وتحوّلها إلى غاز الأكسيجين

والنيتروجين المناسبان للبشر. لذلك، عمل العلماء من فروع علمية عديدة معاً، ولمدة قرون طويلة، لتحضير الكائنات الحيّة المناسبة التي ستمثّل الدعامة الأساسية لانطلاق الحياة على ذلك الكوكب الجديد. تم بعدها وضع هذه الكائنات الجديدة في عالم مجاور ومشابه بظروفه البيئية، ذلك لكي تنمو وتزدهر، وأيضاً لكي نتأكّد بعد مراقبتها بأنها مرضية للمتطلبات المرسومة، حيث يمكن تعديلها عند الضرورة.."

".. وهكذا، تُركت هذه المنظومة الكوكبية وحدها لتعدّل ذاتها تلقائياً وبشكل طبيعي. تُركت للرياح والأمواج التي ساهمت في تآكل القمم الصخرية الحادة. لملايين السنين، راحت العواصف تضرب اليابسة الصخرية. انسكب الغبار الصخري من القمم العالية، وتدحرجت الحجارة الثقيلة ساقطة من الأعلى بفعل العواصف، ساحقة الغبار الصخري ليتحوّل إلى مسحوق أكثر دقة. الأمواج العملاقة تضرب على اليابسة بضراوة مخيفة، كاسرة قطع من أنوف الجبال الساحلية وضاربتها ببعض فتقلّص من حجم القطع لتحولها إلى أجزاء أصغر وأصغر. الحمم التي تدفّقت ساخنة إلى المياه فاحت وأرغت منفصلة إلى ملايين الجزيئات التي تحوّلت فيما بعد إلى رمال البحار. أعادت الأمواج تلك الرمال إلى اليابسة، مكررة هذه العملية من الطوفان والإجلاء حتى تآكلت جبال بكاملها وتقلّصت ارتفاعاتها من عدة أميال إلى بضعة آلاف من الأقدام.."

".. مضى من عمر الأرض عدد لا متناهي من القرون الطويلة. لهيب الشمس لم يعد يتوهّج بشدته المعهودة. لم تعد تطلق شذرات نارية لتحرق الأجسام القريبة منها. الآن أصبحت الشمس تحترق باعتدال وبشكل منتظم. العوالم المجاورة بردت أيضاً. واستقرّت مداراتها. بين الحين والأخرى، كان يحصل اصطدام بين الصخور الصغيرة السابحة في الفضاء مع كتل أكبر حجماً وتنجذب بعدها نحو الشمس لتغطس فيها مسببة انتفاضة مؤقّتة في كثافة توهّجها. لكن المنظومة بشكل عام كانت تستقرّ وتهدأ. والعالم المُسمى "الأرض" أصبح يقترب من جهوزيته لاستقبال الدفعة الأولى من الحياة.."

".. في قاعدة الإمبراطورية تم تحضير سفينة عملاقة للسفر إلى كوكب الأرض وعليها طاقم الحملة الثالثة، كما يمكن تسميتها، الذي تدرّب أفراده على التعامل مع المسائل المستجدّة في ذلك العالم الجديد. تم اختيار رجال ونساء مناسبين لهذه المهمة. كل من هذه السفن العملاقة تُعتبر عالماً خاصاً ذو اكتفاء ذاتي، حيث هواء التنفّس ينتج من النباتات والماء ينتج من معالجة الهواء والهيدروجين الذي يُعتبر أرخص عنصر في الكون. تم تحميل المعدات والأجهزة، وكذلك المؤن اللازمة.. كما تم تخزين السلالات المختلفة للكائنات الحيّة عن طريق تجميدها لحفظها طوال فترة الرحلة. وأخيراً، بعد طول الانتظار، أصبحت الحملة الثالثة جاهزة.."

راقبت المركبة عبر الشاشة وهي تغادر مركز الإمبراطورية الكونية، ثم عبرت كون آخر، ثم دخلت الكون الذي يحتوي في أحد أطرافه البعيدة كوكب الأرض الجديد. كان هناك عوالم كثيرة أخرى تدور حول الشمس الساطعة. تم تجاهلها وتركيز الاهتمام على كوكب واحد فقط. راحت السفينة العملاقة تتباطأ ثم استقرّت في نقطة محددة فوق الكوكب. على متن السفينة، تم تحضير مركبة صغيرة للانطلاق. دخلها ستة رجال ونساء ثم انطلقت مسرعة نحو الأرض. ومرّة أخرى، من داخل المركبة، شاهدتُ الغيوم تتلاشى أمامها لبعض من الوقت خلال انحدارها نحو العالم الجديد، إلى أن أصبحت تحلّق على ارتفاع عدة آلاف من الأقدام فوق مياه البحر. بعد مسيرتها بشكل أفقي لبعض الوقت، وصلت إلى يابسة صخرية صاعدة من أعماق البحر.

أصبح ثوران البراكين، رغم عنفه المخيف، أقلّ كثافة من قبل. ووابل شظايا الصخور صار أقلّ غزارة. راحت المركبة تنخفض تدريجياً وبحذر شديد. بدأت العيون اليقظة تسبر السطح بحثاً عن مكان مناسب للهبوط، وأخيراً تم الاتفاق على موقع محدّد، ثم هبطت المركبة. في هذا المكان، حيث استقرّت المركبة على سطح صلب، بدأ أفراد الطاقم يجرون ما بدت اختبارات روتينية. بعد الرضا بنتيجة الاختبارات، ارتدى أربعة من أفراد الطاقم ألبسة غريبة تكسو أجسادهم من أعناقهم حتى أقدامهم. كل فرد وضع على رأسه كرة زجاجية شفافة موصولة بخرطوم إلى الرداء الغريب الذي يكسو جسده.

التقط كل منهم حقيبة ودخلوا جميعاً إلى حجرة صغيرة حيث أُغلق الباب خلفهم بإحكام. توهّج ضوء أحمر فوق الباب مقابل الذي يبدو أنه مخرج المركبة. بعد لحظات، توهّج الضوء بلون أخضر، ففتح الباب الخارجي. امتدّ سلّم معدني نحو الأرض المنخفضة عن المركبة بمسافة تبلغ حوالي ١٥ قدم. نزل أحد الرجال من على السلّم وعند وصوله الأرض راح يطبطب بقدميه على الأرض المحيطة بالمكان. أخرج من حقيبته قضيب طويل قام بغرسه في الأرض. انحنى مقترباً نحو القضيب وراح يقرأ النتائج التي ظهرت في مكان ما على جوانبه، ثم وقف منتصباً وأشار إلى رفاقه لأن ينظمّوا إليه.

راح أفراد الفريق يتجوّلون في المنطقة بشكل عشوائي، يقومون بأشياء ليس لها معنى بالنسبة لي. ولولا أنني على يقين بأنهم أشخاص بالغين ومتعقّلين لقلت بأنهم يتلهّون كما يلعب الأطفال الصغار. بعضهم التقط حجارة صغيرة ووضعها في حقيبته. بعضهم ضرب الأرض بمطرقة، أو ضربها بما يمكن تسميته قضيب معدني. في حين الآخر، والذي تبيّن أنه امرأة، تجوّلت في المكان تلوّح بشرائط زجاجية صغيرة لزجة ثم تدخلها في قارورات خاصة. كل هذه الأمور كانت غير مفهومة بالنسبة لي. وأخيراً عادوا إلى المركبة ودخلوا الحجرة الأولى. وقفوا فيها جامدين دون حراك كما يفعل البقر في زريبة السوق، بينما راحت الإشعاعات الملوّنة تسبرهم فرداً فرداً. توهّج الضوء بلون أخضر، فأزال كل من الأفراد رداءه الواقي ودخلوا جميعاً إلى قلب المركبة.

لم يمضي وقت طويل قبل أن ينشغل الجميع كل بعمله الخاص. سارعت المرأة صاحبة الشرائط الزجاجية اللزجة إلى وضعها واحدة تلو الأخرى في جهاز معدني، ثم انحنت فوقه بوجهها ونظرت عبر أنبوبين، وراحت تدوّر مقبضين دائريين، ومعلقة على ما تراه لزملائها. بينما الرجل صاحب الحجارة الصغيرة وضعها في آلة خاصة ثم شغّلها وبدأت تدور بسرعة هائلة ثم توقفت فجأة وأخرج بعدها الحجارة التي تحوّلت إلى مسحوق ناعم جداً. تم إجراء الكثير من الاختبارات، وحصل الكثير من الأحاديث والنقاشات خلال الاتصال مع المركبة الأم.

ظهرت عدة مركبات أخرى، بينما المركبة الأولى عادت إلى السفينة الأم. المركبات التي بقيت جالت حول العالم أجمع، وخلال ذلك كانت تسقط أشياء على اليابسة وأشياء أخرى على مياه البحر. بعد الانتهاء من عملها، اجتمعت كافة المركبات الصغيرة في مكان واحد وشكّلت صفّ موحّد ثم ارتفعت إلى الأعلى وخرجت من الغلاف الجوي للأرض. واحدة تلو الأخرى، دخلت المركبات إلى السفينة الأم، وبعد دخول المركبة الأخيرة، تحركت السفينة بعيداً عن مدار الأرض ومتجهة نحو كواكب أخرى في النظام الشمسي. وخلال هذه العملية التي بدت قصيرة، كان قد مرّ سنوات عديدة بالتوقيت الزمني للأرض.

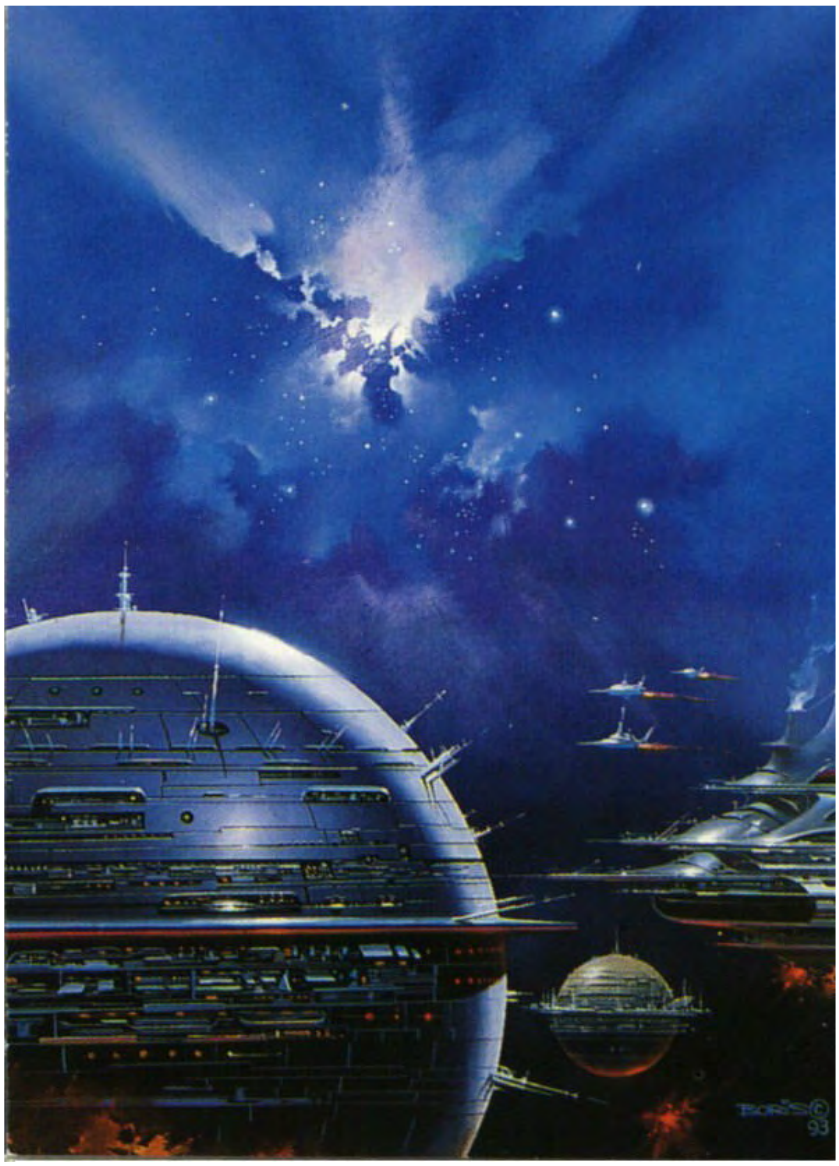

لقد مضى قرون عديدة من الزمن بتوقيت الأرض. بينما هذا الزمن لم يتجاوز عدة أسابيع بتوقيت السفينة الأم التي تسافر عبر الفضاء. فهناك اختلاف كبير بين التوقيتين، ويصعب استيعاب الأمر. لقد مرّت قرون عديدة كما قلنا، وراحت الحياة النباتية تزدهر على اليابسة وفي أعماق البحار. راحت نباتات السرخس العملاقة تناطح السحاب، مع أوراقها السميكة والضخمة، ممتصّة للغارات السامة من الجو ومطلقة الأكسيجين نهاراً والنيتروجين ليلاً. وفي أحد الأوقات، نزلت مركبة عملاقة من السماء عبر الغيوم وهبطت على شاطئ رملي. فُتحت أبواب عملاقة في إحدى جوانب هذه السفينة التي يتجاوز طولها الميل، فخرج منها مخلوقات مخيفة ضخمة، وأحدث نزولها ضجّة كبيرة لدرجة أن الأرض اهتزّت تحت أقدامها. ومخلوقات مهولة أخرى رفرفت بأجنحتها الجلدية الثقيلة نحو السماء.

بعد أن أفرغت قسم من حمولتها، صعدت هذه السفينة العملاقة ، والتي هي الأولى من بين سفن كثيرة أخرى ستأتي لاحقاً عبر السنوات، متجهة نحو البحار. وفوق مناطق تم تحديدها مسبقاً، استقرّت السفينة فوق سطح الماء ثم راحت المخلوقات المائية الغريبة تخرج منها وتغطس إلى الأعماق. ثم صعدت هذه المركبة العملاقة واختفت بعيداً في الفضاء.

عاش على الأرض في هذه الفترة مخلوقات عملاقة. تصارعت مع بعضها، وتكاثرت وماتت. تغيّر الجو بشكل ملفت. تغيّر شكل النباتات، وتطوّر بعض الحيوانات ليناسب العالم الجديد. مرّت عصور طويلة، وطوال هذه الفترة كانت الأرض تحت المراقبة المستمرّة من قبل المزارعين الحكماء.

كانت الأرض تتذبذب وتتمايل في مدارها، وبدأ هذا الأمر يطوّر نوع من الانحراف المتعاظم بشكل تدريجي. من قلب الإمبراطورية جاءت سفينة فضائية خاصة. قرّر العلماء بأن قارة واحدة على وجه الأرض لا تستطيع المحافظة على توازن الكوكب. إن كتلة واحدة من اليابسة لا تكفي لمنع البحار الهوجاء من موازنة الأرض. من المركبة التي تحلّق على ارتفاع عدة أميال فوق سطح الأرض، انطلق إشعاع. راحت اليابسة الأرضية تتذبذب وتهتزّ إلى أن بدأت الشقوق تظهر في أماكن عدة، وبعدها انفلقت اليابسة إلى كتل أصغر حجماً. كنتيجة لهذا العمل، راحت البراكين تثور بعنف وحصل الكثير من الاهتزازات الأرضية. ومع مرور الوقت راحت كتل اليابسة تنجرف مبتعدة عن بعضها مشكّلة حواجز قوية أمام هيجان البحار، مما أضعف من تأثيره على دوران الأرض. فاستقرّت الأرض في مدارها.

بعد مرور ملايين السنين بالتوقيت الأرضي، جاءت حملة أخرى من مركز الإمبراطورية. وهذه المرّة جلبت معها النموذج الأوّل من أشباه البشر. عبارة عن مخلوقات غريبة لونها بنفسجي، تم تنزيلها في مناطق مختلفة. النساء كان لها ثمانية ثدايا، ورؤوس كل من الرجال والنساء كانت مربعة بعض الشيء ومثبّتة على أكتافهم بحيث إذا أراد أحدهم الالتفات جانباً يضطرّ إلى إدارة جسمه بالكامل. كانت أرجلها قصيرة وأيدها طويلة وتتدلى نزولاً حتى تصل أسفل ركبتيها. لم تدرك هذه المخلوقات شيئاً عن النار والأسلحة ورغم ذلك كانت بحالة صراع مستمر فيما بينها. عاشت في الكهوف وعلى أغصان الأشجار العملاقة. وكطعام لها، تناولت الأعشاب والفاكهة وكذلك الحشرات التي زحفت في ذلك العالم القديم. لكن المراقبون لم يكونوا راضين عن هذه الحالة، حيث كان المخلوقات غير عقلانية إطلاقاً بحيث لا تستطيع تدبير شؤونها بأبسط الحالات، ولم تظهر أي إشارة تكشف عن قدرتها على التطوّر.

في هذه الفترة كانت مركبات الامبراطورية في تجري دوريات مستمرّة عبر المجرّة التي تشمل النظام الشمسي المتضمن لكوكب الأرض. هناك عوالم عديدة أخرى هنا والتي يتم تطويرها بنفس الوقت. وهناك كوكب كان في حالة تقدّم أكثر من الأرض. انطلقت مركبة نحو الأرض حيث هبطت. تم أسر البعض من المخلوقات المحلية شبه البشرية، وخضعت للفحص والاختبار وقُرر بأنه وجب القضاء على هذا العرق بالكامل.. كما يقضي المزارع على الأعشاب غير المرغوب بها. انتشر وباء في الكافة أرجاء الأرض، وكافة المخلوقات شبه الآدمية ماتت في الحال.

من السماء هبطت سفينة أخرى جالبة معها حيوانات مختلفة وكذلك أشباه بشر مختلفين. تم توزيعهم في كافة أرجاء البلاد. كل حسب نوعه ولونه الذي يناسب المنطقة التي وُضع فيها. بقي كوكب الأرض يزأر ويقعقع. لازالت البراكين تقذف اللهب والغازات، والحمم تسيل من على جوانب الجبال. كانت البحار تبرد والحياة فيها تتغيّر تدريجياً لتناسب الظروف البديلة. في المنطقتين القطبيتين، كانت المياه باردة بدأ يتشكّل الثلج لأوّل مرة على كوكب الأرض.

مرّت عصور طويلة من تاريخ الكوكب. تغيّر الجو بشكل ملفت. راحت النباتات السرخسية العملاقة تفسح المجال لنمو الأشجار المستقيمة. أصبحت المنظومة الحيوية مستقرّة ومنتظمة. ازدهرت حضارة جبارة في تلك الفترة.

راح المزارعون الذين تمركزوا على الأرض في تلك الفترة، يتجوّلون حول العالم منتقلين من مدينة إلى أخرى، ويختلطون مع البشر المحليين. وبعض المزارعين تعمّقوا كثيراً بعلاقاتهم مع السكان حيث أصبحوا يقيمون العلاقات مع النساء منهم. قام كاهن شرّير بإقناع امرأة جميلة لأن تجذب أحد المزارعين وتغويه بهدف الكشف عن الأسرار المحظورة التي بحوزته. بعدها بفترة أصبحت المرأة تحوز على أسلحة معيّنة كانت في عهدة ذلك الرجل (المزارع) الذي من المفروض أن يحرسها بعناية. لم يمضي ساعات قبل أن وقعت في أيدي الكاهن الشرّير.

في الفترة القصيرة التي تلت، بدأت مجموعة من الطبقة الكهنوتية تصنّع أسلحة نووية بشكل سرّي، مستخدمين السلاح المسروق كنموذج أولي. وُضعت خطة خبيثة أخرى، حيث تمّ دعوة بعض من المزارعين للمعبد للاحتفال بمناسبة سنوية. هنا، في هذا المكان المقدّس، تم تسميم المزارعين. وسُرقت كافة تجهيزاتهم. انطلق بعدها هجوم واسع على المزارعين الآخرين. خلال المعركة، تم نسف المخزون النووي في إحدى المركبات المأسورة من قبل أحد الكهنة. حصل انفجار هائل أدى إلى اهتزاز الأرض بالكامل. حينها غرقت قارة أطلنطس العظيمة تحت أمواج المحيط.

في البلاد البعيدة راحت الأعاصير تنهب الجبال وتمزّق البشر إرباً. هجمت العواصف العملاقة من البحر، وكادت الأرض أن تتجرّد تماماً من الحياة البشرية لولا مجموعات قليلة متناثرة هنا وهناك تتكمش مرتعدة في الأنفاق والكهوف، تجهش وتأنّ من الرعب الشديد.

لمدة سنين طويلة، بقيت الأرض تهتزّ وترتجف من تأثيرات الانفجار النووي. لمدة سنوات طويلة لم يأتي أي من المزارعين ليستقصي الكوكب. كانت الإشعاعات قوية، وراحت بقايا المجموعات البشرية المرعوبة تنجب أطفال مشوّهين. تأثّرت الحياة النباتية، وانخفضت جودة الجو بشكل عام حيث أصبح غير قادر على دعم الحياة بشكل جيّد. كانت أشعّة الشمس محجوبة بسبب كثافة الغيوم الحمراء المنخفضة.

أخيراً قرر الحكماء بأن تسافر حملة أخرى إلى كوكب الأرض ونقل مجموعة جديدة من الكائنات الحيّة إلى تلك الحديقة المنكوبة. انطلقت سفينة عملاقة إلى أعماق الفضاء محمّلة بكائنات بشرية وحيوانات ونباتات.

هبطت السفينة على الأرض، وكان حجمها مهول لا يمكن وصفه. بدا البشر الذين تدفقوا خارجين منها وكأنهم بحجم النمل. تم تنزيل حيوانات عملاقة، ومجموعات بشرية جديدة. جميع الكائنات بدت وكأنها مخمورة أو مخدّرة، ربما كان هذا مقصوداً لمنع حصول حالات شغب داخل المركبة خلال السفر. طار رجال يرتدون أشياء غريبة على ظهورهم كما العصافير، يحلقون فوق جموع الحيوانات والبشر، ينظمون مسيرتهم عن طريق حثّهم بقضبان طويلة مصنوعة من المعدن.

طارت السفينة حول العالم، هابطة في أماكن عديدة، مخلفة وراءها أنواع مختلفة من الحيوانات. أما الكائنات البشرية، فكانت مختلفة أيضاً، هناك البشر البيض والسود، والصفر.. طوال القامة، قصار القامة.. إلى آخره. حيوانات مخططة، وحيوانات أعناقها طويلة، بعضها ليس له عنق، لم يخطر لي سابقاً مدى التنوّع في الأشكال والألوان والأحجام التي تتسم بها الحيوانات في الطبيعة. بعض المخلوقات البحرية كانت ضخمة جداً لدرجة أنني لم استوعب كيف تستطيع الحركة، ورغم ذلك، عندما تصبح في أعماق البحر تظهر رشاقة وخفة حركة كما الأسماك الصغيرة في البحيرات.

بشكل مستمرّ، راحت المركبات الصغيرة تطير في السماء وفي داخلها مراقبون يتابعون مسيرة السكان الجدد لكوكب الأرض. غالباً ما كان المزارعون ينشغلون في تشتيت القطعان الكبيرة بحيث يحرصوا على الانتشار الواسع للحيوانات والبشر بدلاً من تكتلهم في مكان واحد. مرّت قرون طويلة ولازال الإنسان عاجزاً عن إشعال النار، ولا حتى قادر على تشذيب الحجارة لصنع أدوات بسيطة. اجتمع الحكماء وقرروا بأنه وجب تحسين انسل البشري وذلك عن طريق تقديم نوعية بشرية أكثر ذكاء، بحيث تستطيع إشعال النار وتشذيب الحجارة. مرّت قرون إضافية وعمل خلالها المزارعون على تقديم نوعية أكثر تطوراً من الكائنات البشرية، ذلك بشكل تدريجي ومحسوب.

راح الإنسان يتقدّم تدريجياً، من شذب الحجارة إلى مستوى إشعال النار. ثم راح يستقرّ ويبني المنازل، ثم توسّعت المستوطنات البدائية حتى أصبحت بلدات ومدن. كان المزارعون يتنقلون دائماً بين المخلوقات البشرية التي اعتبرتهم آلهة على الأرض.

قاطع الصوت تسلسل المشاهد قائلاً: ليس هناك جدوى من ذكر المشاكل الجمّة التي مرّت على مستوطنتنا الحديثة على الأرض. لكنني سأسرد باختصار العناوين الرئيسية كمساهمة في توضيح الصورة لديك. خلال كلامي سوف ترى أمامك على الشاشة مشاهد توضّح ما أقول.."

".. كانت الإمبراطورية عظيمة ومستقرّة، لكن جاء من كون آخر أناس عدوانيون حاولوا انتزاع سلطتنا منّا. كانوا أشباه بشر ولديهم على رؤوسهم قرون ناتئة من جهة الجبهة. كما أن لديهم أذناب. كانوا عنيفون وميالون دائماً للحرب، حيث كان الأمر بالنسبة لهم مجرّد رياضة أو مهنة بالإضافة إلى كونها طبيعة في نفوسهم. جاؤوا يتدفقون إلى كوننا بسفن فضائية سوداء، وراحوا يخلفون ورائهم الخراب والدمار في كل العوالم التي زرعناها حديثاً. نشب العديد من الحروب الضارية في الفضاء. هُجرت عوالم كثيرة وعوالم أخرى دُمّرت تماماً، ومنها انفجر إلى أجزاء وشظايا صغيرة، ولازالت شظايا بعضها تسبح اليوم في الفضاء ومنها ما علق في مدارات الأنظمة الشمسية المختلفة مشكّلة أحزمة من الكويكبات. عوالم كثيرة كانت مزدهرة

ومفعمة بالحياة سابقاً، نُسفت أغلفتها الجوية وفُنيت كافة المخلوقات التي سكنتها. اصطدم عالم بعالم آخر وانجرف هذا العالم الآخر نحو كوكب الأرض. اهتزّت الأرض وارتعشت ودُفعت إلى مدار آخر جديد، وهذا جعل اليوم الأرضي أطول من قبل...

... خلال اقتراب الكوكبين من بعضهما، إلى حدّ الاصطدام، اندعت شرارات عملاقة من العالمين. التهبت السماوات وتوهّجت. الكثير من البشر الأرضيين أبيدوا. طوفانات جبارة اكتسحت سطح الأرض مما جعل المزارعون الرحيمين يشفقون على الكائنات المنكوبة وسط هذا الجحيم فأسرعوا بمركباتهم محاولين إنقاذ ما بوسعهم من كائنات وبشر عن طريق نقلهم إلى أراضٍ مرتفعة. وأخيراً انتهت الحرب في الفضاء والنصر كان من نصيبنا. لقد هزمت قوات إمبراطوريتنا الغزاة المعتدين وأسروا الكثير منهم...

... أما أمير الغزاة، الأمير إبليس، فقد توسّل إبقاءه على قيد الحياة، قائلاً بأن لديه الكثير مما لديه من تعاليم مفيدة لشعوب الإمبراطورية. واعداً بأنه سيعمل دائماً لمصلحة وخير الآخرين. وفي النهاية تم العفو عنه وعن بعض من أفراد قيادته. بعد فترة من أسره تظاهر بأنه متلهّف للتعاون من أجل إعادة بناء النظام الشمسي الذي دنّسه. أما جنرالات وقادة الإمبراطورية، وبصفتهم من طينة نبيلة وطبيعة خيّرة، لم يتصوّروا وجود النوايا الشرّيرة في قلوب الآخرين. فتقبّلوا طلب العفو وسمحوا للأمير إبليس وقيادته أن يعيدوا إصلاح الأمور لكن تحت مراقبة مستمرّة من رجال الإمبراطورية...

... أما على الأرض، فكان المحليون مصابون بالجنون والهوس بسبب ما عانوه من تجربة مريرة مع ما حصل. فقد تعرّض معظمهم للهلاك بفعل الطوفان والنار التي توهّجت بها السماء. تم إدخال دفعة بشرة جديدة إلى المنظومة الأرضية، وهذه الدفعة مؤلفة من بقايا بشرية بقيت على قيد الحياة في الكواكب المنكوبة الأخرى. أصبحت طبيعة الأراضي الآن مختلفة تماماً، وكذلك البحار. بعد التغيّر في مدار الأرض فقد تبدّل المناخ بشكل جذري. أصبح هناك الآن حزام استوائي حار ومنطقتين قطبيتين باردتين جداً. انشقّت الجبال الجليدية العملاقة من الكتل الرئيسية في المناطق القطبية وطافت في البحار. ماتت كل الحيوانات العملاقة نتيجة الجليد الفجائي الذي تعرّضت له تلك المناطق. انهارت غابات بكاملها نتيجة التغيّر المفاجئ الذي طرأ على البيئة...

... بشكل تدريجي، راحت الظروف الداعمة للحياة تستقرّ من جديد. ومرّة أخرى، بدأ الإنسان يبني شكل من أشكال الحضارة. لكن هذه المرّة أصبح الإنسان أكثر عدوانية وميال للحرب، وراح يضطهد ويستعبد من هو أضعف منه. لكن بشكل روتيني، راح المزارعون يحقنون البشرية بنوعية جديدة بهدف تطويرها. تقدمت عملية التطوّر البشري وراح يظهر عبر الأجيال أنواع بشرية جديدة. لكن المزارعون لم يكونوا راضين. وقد قرّروا بأن يعيش المزيد من المزارعين على سطح الأرض. فاتخذوا مع زوجاتهم وعائلاتهم مواطناً خاصة بهم على قمم الجبال الشاهقة...

من هنا جاء مصطلح "الذين هبطوا من السماء"، أو "الذين نزلوا من أعلى"، أو "المراقبون"، أو "أبناء الآلهة"، أو غيرها من أسما تشير إليهم في النصوص والأساطير القديمة التي تعود لكافة شعوب الأرض.

روى الفضائيون للكاهن الأعمى كيف أقام المزارعون على قمم الجبال في مناطق عدّة حول الأرض، وكيف اعتُبروا نظر الشعوب والأعراق المختلفة. فلدى اليابانيين مثلاً سُمي المزارع وزوجته بـــ"إزاناغي" و"إزانامي"، وعند اليونانيين الذين هبط آلهتهم على قمة جبل أولمبوس واستقروا هناك، أطلقوا على أفراد المجموعة أسماء مختلفة مثل "زيوس"، "أبوللو"، "أفروديت"،.. وهكذا.

ولدى المصريين القدامى، عُرف المزارعون بأسماء مثل "حورس"، "أوزيريس"، "أنوبيس"، "إيزيس"،.. وهكذا. في كافة بقاع الأرض، وعلى قمم الجبال، تمركز المزارعون وعائلتهم واعتُبروا بالنسبة للسكان كآلهة. ومرّة أخرى، كما هي الحال دائماً تشكلت طبقة كهنوتية تتوسّط بين الرعايا والآلهة. نصبوا أنفسهم كممثلين للآلهة على الأرض، يأمرون باسمهم ويشرّعون باسمهم، وكل هذا دون إدراك أو معرفة من الآلهة الذين كانوا بدورهم مشغولين بالعربدة واللهو على طريقتهم الخاصة. زادت سلطة الكهنة بشكل كبير مما زاد من غطرستهم واستعبادهم للرعايا. تشكّلت الجمعيات السرّية، بمساعدة من أفراد سابقين من ضباط إبليس الذين أقسموا التوبة سابقاً. هذه الجمعيات السرّية كانت تهدف لسرقة المزيد والمزيد من المعرفة التي بحوزة المزارعين والمحظورة بشكل كامل على المحليين. حصلوا على الكثير من أجهزة وأدوات تابعة للمزارعين لكنهم لم يعلموا كيفية استخدامها، فنشروا الأوبئة في الأرض، ومات الكثير من الناس وأصيبت المزروعات بشكل كبير.

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

توسّعت دائرة المؤامرة وانضمّ بعض المزارعين إلى صفوف إبليس الذي أعلن تمرّده. جاء الإنذار الأول من حاكم الإمبراطورية بأن يكفّ إبليس عن تمرّده، لكن الأخير سخر من الإنذار وأصرّ على تمرّده. أُرسلت النصائح إلى الأخيار الذين يقطنون المدن التي استولى عليها إبليس وأتباعه بأن يغادروها.. ثم في موعد محدّد، جاءت مركبة تطير من بعيد، ومرّت فوق المدن المستهدفة وأسقطت رزم صغيرة على كل منها. حصلت الانفجارات.. ومُسحت المدن تماماً مخلفة اللهب والدخان. لم ينجو من هذه المجزرة سوى القلائل.

بعد هذه الحادثة، قرّر حكماء الإمبراطورية بأن يسحبوا كافة المزارعين من الأرض وعدم إقامة أي تواصل مباشر مع المحليين والاكتفاء بمعاملتهم كفصائل عادية من بعيد. بقيت الدوريات الاستكشافية تزور الأرض، حيث لا بدّ من مراقبة مسيرة تقدم المحليين من بعيد، لكن ممنوع التواصل المباشر معهم. وبدلاً من ذلك، اعتمدوا على سياسة أخرى لإرشاد الرعايا وهي انتقاء أشخاص معيّنين من بين السكان المحليين وتزويدهم بالتعاليم والعلوم المناسبة التي تفيد الناس وترشدهم. ومن هنا جاء مفهوم ***الأنبياء المُرسلين***.

لكن مرّة أخرى، وكما هي الحال دائماً، تعرّضت تعاليمهم للتشويه والتزوير على يد الطبقة الكهنوتية التي تتشكّل وتنشط بعد موتهم أو خلال فترة حياتهم. كانوا يحوّلون التعاليم إلى نصوص مقدّسة، يحررونها بحيث تناسب مآربهم الخاصة، وتبدأ جولة جديدة من الاستعباد والقهر الذي يبدو أنه لن ينتهي على وجه الأرض..

انتهى الاقتباس من كتاب "الناسك"

كلمة أخيرة بخصوص سيناريو الأصل الفضائي

ربما لا تكون قصة رامبا بتفاصيلها متطابقة مع ما حدث بالفعل على أرض الواقع منذ ملايين السنين في تاريخ كوكب الأرض، لكن وجب منح هذا السيناريو ما يستحقه من الاهتمام. مع العلم بأن هذا السيناريو له الكثير من الأنصار، قبل رامبا وبعده. صحيح أنه بعيد كل البعد عن المنطق المألوف، لكن المشكلة، والتي تزيد من الأمر حيرة وإرباكاً، هي أن هذا السيناريو هو الأقرب للحقيقة من الناحية المنطقية إذا قارناه بالتفسيرات الأخرى، إن كانت دينية أو علمية منهجية، خاصة وبعد أن نأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن الكرة الأرضية هي ليست سوى نقطة صغيرة في هذا الكون الواسع. وهذا يكفي لدحض كل ما ادعته الأديان عن قصة الخلق، وكذلك ما يدعيه العلم المنهجي عن نشوء الحياة.

يمكن تفسير التنوّع الهائل في أشكال ومظاهر الكائنات الحيّة من خلال الاستعانة بأسباب علمية مألوفة (كالتطوّر مثلاً، مع أنها تفسيرات خاطئة)، لكن لا يمكن حتى الآن تفسير وجود الأصناف الرئيسية المختلفة التي تنتمي إليها الكائنات الحيّة، كوجود كائنات ثدية وأخرى تضع البيض.. أو كائنات يكسو جسمها الفرو، وأخرى يكسوها الريش، وأخرى يكسوها الجلد الحرشفي (كالزواحف والأسماك مثلاً)... وأخيراً، جلد الإنسان الذي رغم تعدد الأعراق التي ينتمي إليها، فهو مميّز بطبيعته وخواصه عن باقي الكائنات الأخرى. لا يمكن لمنظومة بيئية واحدة متكاملة (يجسّدها كوكب الأرض) أن تنتج هذا التنوّع الكبير في الخواص الفيزيولوجية الرئيسية للكائنات الحية. صحيح أن هناك دور لعملية التطوّر، لكن لا يمكن للتطوّر أن يبدّل المظهر الفيزيولوجي الرئيسي للكائن الحيّ، حيث التغييرات التطوّرية تحصل في تفاصيل فرعية من البنية الفيزيولوجية للفصيلة فقط وليس الفصيلة ككل.

أما بخصوص نظرية "التطوّر التدريجي" التي يأخذ بها العلماء المنهجيين، فيكفي أن نذكر حقيقتين مهمتين لكي ننسفها من أساسها:

ــ شهدت الكرة الأرضية خلال المرحلة الكامبرية Cambrian (التي تعود لمئات الملايين من السنين) ظهور مفجء وسريع لكم هائل من الحيوانات المتنوّعة مما جعل العلماء يسمون العملية بالانفجار الكامبري Cambrian Explosion. بين ليلة وضـــحاها، ظهر الآلاف من الكائنات والفصائل المختلفة، ذكور وإناث، فرائس وطرائد.. حيث أصبحت الأرض فجأة مفعمة بالحياة الغنية والمتنوعة.

ــ بعد كل كارثة كونية شاملة تصيب كوكب الأرض، تظهر فجأة دفعة جديدة ومختلفة تماماً من أشكال الحياة. (هكذا كوارث كونية مسببة لدمار شامل حصلت أكثر من خمس مرات على الأقل في التاريخ الجيولوجي للأرض، وهذا ما تشير إليه الآثار الجيولوجية، وآخر دمار شامل مسح كل شيء من على وجه الأرض إلى حدّ الفناء حصل في العصر الكريتاسي Cretaceous، أي قبل ٦٥ مليون سنة، والتي قضت على الديناصورات). هذه الحقيقة أيضاً تستند على دلائل ملموسة تقدمها المستحاثات الصخرية، ويحاول العلماء المنهجيين تفسير هذا التحوّل المفاجئ والتلقائي الواسع في نوعية أشكال الحياة بالاستناد على فرضية مُلحقة بنظرية التطوّر الداروينية وتُسمى "التحوّل السريع"، المصطلح العلمي هو punctuated equilibrium،

ويُقصد به: التحوّل السريع لأشكال الحياة دون المرور عبر مرحلة طويلة من التطوّر التدريجي. إن ظاهرة ***الظهور المفاجئ لأشكال حياة مختلفة تماماً عن أشكال حياة سابقة اختفت فجأة*** تُعدّ من الألغاز التي لازال العلم المنهجي يتجنب الدخول في تفاصيلها.

أما بخصوص تطوّر الإنسان من أصل قرد، فقد أثبتنا حقيقة أن الآثار البشرية تسبق تاريخ نشوء القرود بملايين السنين. كما أن الطبيعة الاستثنائية للكائن البشري تجعله يرتقي فوق كافة الكائنات الأرضية الأخرى بمستويات عديدة. بالإضافة إلى التنوّع الكبير في الأعراق البشرية والذي لا يتوافق مع نظرية التطوّر، حيث هناك العمالقة والأقزام والألوان المختلفة. هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار الجماجم والبقايا العظمية لكائنات شبه آدمية مختلفة تم انتشالها من مناطق مختلفة حول العالم.

أما عن وجود حضارات متطورة في تلك الفترة الزمنية السحيقة من التاريخ، فيكفي أن نستحضر الحقيقة التي استنتجها بعض من أبرز العلماء المنهجيين، والقائل بأن هناك حوالي ١٠٠ مليار مجرّة في الكون، ويؤمنون بأن هناك على الأقل ١ مليون كوكب في مجرّتنا وحدها والذي يمكن أن يدعم الحياة التي نألفها. إذا كانت مجرّة واحدة فقط تحتوي على هذا العدد الكبير من إمكانيات وجود حياة، فما بالك ١٠٠ مليار مجرّة؟!! وإذا افترضنا وسلّمنا جدلاً بوجود حياة في مكان ما في الكون، فما المانع من وجود حضارات متقدمة جداً من الناحية العلمية والتكنولوجية بالمقارنة مع حضارتنا الحالية. إذاً، فالتنوّع الكبير في أشكال الحياة العاقلة في الكون لا يمنع حقيقة وجود تفاوتات مختلفة في مستوى تقدمها الحضاري، أو تطورها البيولوجي، أو حتى تفاوتاً في مستواها الروحي والعلمي أيضاً.

إذا استبعدنا فكرة التدخّل الخارجي لإحياء الأرض، فكيف نجيب على التساؤلات التالية:

ــ من الذي نثر بكتريا "البروكاريوت" prokaryotes و"اليوكاريوت" eukaryotes في كوكب الأرض قبل مليارات السنين لإشباع الكوكب بالعنصر الأساسي لدعم الحياة، وهو الأكسيجين؟

ــ من أين جاء ذلك التنوّع الكبير من الكائنات الحيّة التي ظهرت على وجه الأرض فجأة، خلال الفترة التي يسمونها بالمرحلة الكامبرية Cambrian، حيث أصبحت الأرض فجأة مفعمة بالحياة الغنية والمتنوعة.

ــ من كان يعيد إحياء المنظومة الحيوية للأرض عن طريق تقديم دفعة جديدة ومتنوعة من الكائنات الحية للكوكب بعد كل كارثة كونية تتعرض لها؟! هذه العملية التي أشار إليها العلماء باسم "التحوّل السريع" punctuated equilibrium، ويُقصد به: التحوّل السريع لأشكال الحياة دون المرور عبر مرحلة طويلة من التطوّر التدريجي. كيف حصل هذا التحوّل يا تُرى؟!

ــ السؤال الأخير الذي لازال جوابه مجهولاً هو: ***من وضع القمر في مداره الحالي بهدف خلق منظومة دورية معيّنة تدعم بيئة معيّنة على كوكب الأرض؟!!*** هذا الإنجاز الجبار يتطلّب هندسة فضائية جبارة، أليس كذلك؟! من يا تُرى قام بهذا العمل ***المستحيل***؟!

ربما لم يأخذ بعضكم هذه الحقيقة الأخيرة بما تستحقه من الاهتمام والجدية، هذا لأنهم لم يتعرّفوا على الحقائق المتعلقة بالقمر والتي لازالت توقع العلماء بحالة دائمة من الحيرة والإرباك. ولكي أوضّح هذه المسألة بحيث أجعلها تنال اهتمامكم الكبير، سوف أذكر فيما يلي بعض من تلك الحقائق المتعلقة بالقمر. أنا واثق من أنكم ستعيدون بعدها النظر في مسألة إمكانية وجود حضارات فضائية جبارة في مكان ما بهذا الكون.

لغز القمـــر

على الرّغم من أنّ النّاس بدؤوا منذ زمن طويل بالتّساؤل فيما إذا كانت "القنوات" الموجودة على كوكب المريخ هي من ابتكـــار مهندسين فضائيين، فإنّه ولسبب غريب، لم يحدث وأن تطلّعوا بنفس الطّريقة إلى غرائب القمر الأقرب لنا بكثير.

وبعيداً عن التّوجهات التّقليدية للـــ"المنطق العام"، فقد غصنا فيما قد يبدو للوهلة الأولى خيالاً جامحاً ومستهتراً. ولكنّنا كلّما تمعنّا في كامل المعلومات التي جمعها الإنسان حول القمر كلّما اقتنعنا أنّه ليس هناك أيّة معلومة تجعل افتراضاتنا مستبعدة. ليس ذلك فحسب، بل أيضاً، الكثير من الأشياء التي اعتبرت لزمن طويل ألغازاً قمرية، تصبح قابلة للتّفسير على ضوء هذه الفرضـــيات الجديدة.

يعتبر القمر "حجر رشيد" الكواكب (أي يمكنه إرشادنا إلى حقائق كثيرة إن تمكّنا من فكّ ألغازه). هذا ما قاله روبرت جاســـترو Robert Jastrow وهو الرّئيس الأوّل للجنة الاستكشاف القمريّ التّابعة لوكالة الفضاء الأمريكيّة NASA. بعد مئات السّنين مـــن الدّراسة والملاحظة المفصّلة والدّقيقة، ما يزال رفيقنا الأقرب، وهو القمر، عبارة عن أحجية تخفـــي ألغـــاز لامتناهيـــة. ســـت عمليات هبوط على سطح القمر، ومئات من التّجارب التي أجريت، ونتج عنها المزيد من الأسئلة والألغاز بـــدلاً مـــن الحلـــول والأجوبة الشافية. ومن بينها الحقائق المثيرة التالية:

١ــ عمر القمر:

إنّ القمر أقدم بكثير ممّا نتوقّع، ربّما أقدم من الأرض أو حتى الشّمس، حيث أنّ أكبر عمر تقديريّ للأرض هو ٤,٦ مليار سنة، أمّا بالنّسبة لصخور القمر فهي ٥,٣ مليارات سنة، والغبار الموجود تحت هذه الصّخور كان على الأقل بعمر مليار سنة قبلها.

ترجمة وإعداد علاء الحلبي ــ جميع الحقوق الطباعية محفوظة للمؤلف ــ سوريا ــ هاتف: 963-16-252559+ contacts@sykogene.com

٢ــ مصدر الصّخور:

إنَّ التّركيب الكيميائيّ للغبار الموجود عند موقع الصّخور يختلف بشكل ملحوظ عن الصّخور نفسها، وهذا يخالف النّظريّات التقليدية المسلَّم بها والتي تقول بأنَّ الغبار ناتج عن التّعرّض لتقلّبات الجوّ وعن تكسّر الصّخور نفسها. لا بدّ أنّ الصّخور أتت من مكان آخر.

٣ــ العناصر الثّقيلة على السّطح:

إنَّ التّركيب الكوكبيّ الطّبيعي الذي يؤدّي إلى وجود عناصر ثقيلة في الباطن، وكذلك إلى وجود مواد خفيفة على سطح القمر، لم يحدث في حالة القمر. وحسب ما اكتشف العلماء، فإنَّ توافر عناصر صعبة المعالجة مثل عنصر التّيتانيوم في المناطق السّطحيّة واضح جداً. حيث أنَّ كثيراً من علماء الجيولوجيا قد افترضوا بأنَّ تلك المركّبات المعقّدة قد أُحضرت إلى سطح القمر بكميّات ضخمة وبطرق مجهولة لازالت غامضة. إنَّ هذا الإنجاز الذي تحقق هناك لا يمكن تفسيره.

٤ــ بخار الماء:

في السّابع من آذار عام ١٩٧١، سجّلت المعدّات التي وضعها روّاد الفضاء غيمة بخاريّة تمرُّ عبر سطح القمر، حيث استمرّت الغيمة مدّة أربع عشرة ساعة، وغطّت المنطقة بكاملها على مساحة تبلغ حوالي مئة ميل مربّع.

٥ــ الصّخور المغناطيسيّة:

الصّخور الموجودة على القمر كانت ممغنطة، وتُعتبر هذه الظّاهرة غريبة جداً، لأنّه لا يوجد حقل مغناطيسي على القمر نفسه. ولا يمكن أن يكون هذا ناشئاً عن تأثير الأرض – لأنّ تأثيراً كهذا كان سيبعثر القمر إلى أجزاء.

٦ــ لا وجود لبراكين:

يعود منشأ بعض الفوّهات والحفر الموجودة على سطح القمر إلى منشأ داخليّ. ولكن لا يوجد دليل يثبت بأنّ القمر كان حارّاً بشكل كافٍ لحدوث تلك الثّورانات البركانيّة التي شكّلت الفوهات.

٧ــ الكتل القمريّة:

وهي كتل ضخمة ودائريّة وكثيفة أيضاً، تقع تحت مراكز السّهول القمريّة، على عمق حوالي ٢٠ – ٤٠ ميلاً. وإنَّ هذه اللّطخات المترامية على سطح القمر هي أجسام عريضة تأخذ شكل قرص دائريّ، والتي يمكن أن تكون مبنيّة بناءً اصطناعياً.

٨ــ النّشاطات الزلزاليّة:

مئات من الهزّات كانت تحدث على القمر كلّ سنة، ولا يمكن إرجاعها إلى ضربات نيزك أو شهاب. ففي تشرين الثّاني عام ١٩٥٨، قام العالم الفلكي السّوفيتي نيكولاي كوزيريف Nikolay A. Kozyrev، من مرصد كريميا في أوكرانيا، بالتقاط صور لثوران غازيّ على سطح القمر بالقرب من فوّهة تدعى "ألفونسوس" Alphonsus. وقد لاحظ أيضاً توهّجاً مائلاً إلى الحمرة على

قمم الجبال في منطقة "أريستراشوس" Aristarchus، وظهر أنّ هذه الملاحظات متطابقة تماماً، وذات طبيعة دوريّة، حيث تكرّر نفسها عندما يقترب القمر من الأرض، وإنّ هذه الظّاهرة ليست ظاهرة طبيعيّة على الأرجح، بل صناعية ولأسباب تقنية ربما.

٩ــ القمر المجوّف (مُفرغ من الداخل):

رغم أن الاهتمام بهذه الفكرة غير وارد حالياً في أوساط رجال المنهج العلمي المعاصر، لكن يبدو أنه هناك اهتمام متزايد بفكرة الأقمار المجوّفة. ففي العام ١٩٥٩م، أكد العالم الروسي " لوسيف شكلوفسكي" أن سرعة مسار "فوبوس" (أحد أقمار المريخ) بالنسبة لحجمه تشير إلى انه لا بد من أن يكون مفرغ من الداخل. هذا على الأقل ما تشير إليه الحسابات الرياضياتية المنطقية. وفي السبعينات من القرن الماضي، أثبت العالمان السوفييتيان "ميخائيل فاسين" و"ألكسندر شكيرباكوف" أن القمر الذي يدور حول الأرض هو أيضاً مجوّف! ولم يصدقا أن هذا التجويف هو طبيعي، بل يبدو واضحاً انه صناعي! وقد دعم هذه النظرية العديد من العلماء الآخرين. فالنظرية التقليدية التي تقول بأن الكرة الأرضية التقطت القمر بالصدفة وجذبته إليها هي نظرية واهية وضعيفة الحجة.

إنّ معدّل كثافة القمر ٣,٣٤ غرام/ سم٣، بينما تبلغ كثافة الأرض حوالي ٥,٥ غرام/سم٣. ولكن ماذا يعني هذا؟ في عام ١٩٦٢، صرّح العالم غوردون ماك دونالد Gordon MacDonald الذي يعمل لصالح وكالة الفضاء الأمريكيّة ناسا **NASA** قائلاً: ".. إذا تمّ استخلاص المعطيات أو الحقائق الفلكيّة، سنجد أنّ تلك الحقائق تفترض بأنّ باطن القمر مجوّف أكثر من كونه جسماً كروياً متجانساً..".

افترض الكيميائيّ الشّهير الدّكتور هارولد يوري Harold Urey بأنّ سبب كثافة القمر المتناقصة يعود لتلك المناطق الضّخمة داخل القمر، حيث يوجد ذلك التّجويف. أما الدّكتور شين سولومون Sean C. Solomon فقد كتب قائلاً: ".. إنّ التّجارب الفلكيّة القمريّة قد أثبتت معرفتنا بمجال الجاذبيّة القمريّ، وهذا يشير إلى الاحتمال المخيف من أنّ القمر قد يكون مجوّفاً..".

وفي أطروحة كارل ساغان Karl Sagan ، والتي كانت بعنوان "الحياة العاقلة في الكون"، صرّح ذلك العالم الفلكيّ الشّهير قائلاً: ".. لا يمكن أن يكون القمر الطبيعيّ جسماً مجوّفاً.."، قاصداً القول بأن القمر ليس طبيعياً بل صناعياً.

١٠ــ أصداء القمر:

في تشرين الثّاني عام ١٩٦٩، قام طاقم مركبة أبوللو-١٢ الفضائيّة، برمي مقطع من المركبة والمسؤول عن مرحلة الحركة الإنعطافية، ممّا أدّى إلى اصطدامه وتحطّمه على سطح القمر. وإنّ الارتطام الذي كان يبعد حوالي أربعين ميلاً عن موقع هبوط مركبة أبولو رقم ١٢ قد سبب ارتجاجاً صناعياً هائلاً لسطح القمر، والذي كانت مظاهره مدهشة ومخيفة جداً، ونتج أيضاً دويٌّ للقمر مثل دوي الجرس واستمر لأكثر من ساعة. وتكرّرت هذه الظّاهرة مع طاقم مركبة أبوللو-١٣ (والتي أمرت بالاصطدام بالقمر)، ولكن بنتائج أكثر رعباً ودهشة. وقد سجّلت الأدوات المختصّة بالزّلازل بأنّ تلك الأصوات قد استمرّت لحوالي ثلاث ساعات وعشرين دقيقة، وحتى عمق ٢٥ ميلاً، وهذا يقودنا لنهاية تقول بأنّ القمر يمتلك نواة خفيفة ومدهشة، أو حتى أنّه لا يمتلك نواة أصلاً.

١١ــ المعادن الغريبة:

إنَّ القشرة الموجودة على القمر صلبة أكثر من المفترض، تذكّر الصّعوبة التي واجهها روّاد الفضاء عندما حاولوا الحَفْرَ ضمن تلك السّهول المظلمة على سطح القمر. بعد المزيد من الفحوصات تبيّن مفاجأة أن تلك السّهول مؤلّفة في الأصل من الإليمينايت illeminite، وهو معدن يحتوي على كميّات كبيرة من معدن التّيتانيوم، ويستخدم هذا المعدن نفسه لصنع هياكل للغواصات التي تغوص على أعماق كبيرة، وهياكل لطائرات SR-71 والمسمّاة Blackbird. واكتُشف في الصّخور القمريّة أيضاً معادن اليورانيوم ٢٣٦، ونيبتونيوم ٢٣٧ (كلّها عناصر غير موجودة في الطّبيعة على الأرض)، إضافة إلى أجزاء حديديّة مقاومة للصّدأ.

١٢ــ أصل القمر:

قبل زيارات روّاد الفضاء، كانت الصّخور القمريّة تمثّل حالة منافية للنظريات التقليدية التي تقول أن القمر قد تشكّل عندما انفصلت كتلة من الأرض منذ حوالي دهر مضى (من يعرف من أي موقع من الأرض حصل الانفصال؟). نظريّة أخرى تفترض بأنَّ القمر قد تشكّل من بقايا غبار الفضاء بعد أن تكوّنت الأرض! لكن التّحاليل الذي أُجري على تركيب صخور القمر قد دحضت هذه النّظريّة أيضاً.

وتقول نظريّة أخرى، بأنَّ القمر قد أسر بطريقة ما بتأثير جاذبيّة الأرض، ولكن ليس هناك أيّ دليل يدعم صحّة هذه النّظريّة أيضاً. صرّح إسحق أسيموف Isaac Asimov قائلاً: ".. إنّ القمر كبير جداً على أن يكون قد أُسر من قبل الأرض. إنّ احتمالية أن يكون هذا الأسر قد تحقّق فعلاً، وأنّ القمر قد اتّخذ مداراً دائرياً تقريباً حول أرضنا، ضئيلة جدّاً لتجعل شيئاً كهذا ممكن الحدوث..".

١٣ــ المدار الغريب:

قمرنا هو القمر الوحيد في النّظام الشّمسي الذي يملك مداراً ثابتاً ودائرياً تقريباً. ولكنّ الأغرب من ذلك هو اقتراب مركز كتلة القمر من الأرض بحوالي ٦٠٠٠ قدم أكثر من مركزها الهندسيّ (الذي يجب أن يسبب نوعاً من التّأرجح أو الاهتزاز). لكن انتفاخ القمر يقع في الجزء البعيد عن الأرض. لا بدّ من وجود "شيء ما" يبقي القمر بمداره مع ارتفاعه الدّقيق، بالإضافة إلى انتظام سرعته ومساره.

١٤ــ قطر القمر:

كيف يمكن لشخص أن يفسّر "المصادفة" التي تفترض بأنَّ القمر يقف تماماً على المسافة المطلوبة، ويمتلك القطر المطلوب ليغطّي الشّمس كلياً عند حدوث الكسوف؟! مرّةً ثانية، يجيب إسحق أسيموف قائلاً: ".. لا يوجد سبب فلكيّ يشرح لماذا يجب أن يتناسب القمر والشّمس معاً بشكل صحيح. إنّها مجرّد مصادفات. إنَّ الأرض هي الكوكب الوحيد من بين جميع الكواكب التي تمتاز بهذه الخاصية.."

١٥ ــ القمر مركبةٌ فضائيّة:

مهما بدت النّظرية القائلة أنّ القمر هو مركبة فضائية بأنها نظرية غريبة، إلاّ أنّ جميع المسائل السّابقة تصبح ممكنة الحلّ في حال واحد فقط، وهو إذا افترض المرء بأنّ القمر هو مركبة عملاقة، أُحضرت إلى هنا منذ زمن بعيد جدّاً عن طريق مخلوقات فضائية عاقلة. هذه هي النّظريّة الوحيدة التي دعمتها كلّ الحقائق الموجودة، ولا يوجد حقائق أخرى تتعارض مع هذه النّظريّة.

الكثير من المفكرين الإغريق، مثل أرسطو Aristotle وبلوتارك Plutarch، بالإضافة إلى المفكرين الرّومان أيضاً مثل أوفيد Ovid وروديوس Rhodius، كلّهم كتبوا عن مجموعة بشرية سمّيت بـــ"البروسيلين" Proselenes، والذين كانوا يعيشون في منطقة الجبال الوسطى في اليونان، في منطقة تدعى أركاديا Arcadia، وقد اختاروا هذا الاسم لهذه المنطقة لأنّ أسلافهم كانوا هنا ***قبل أن يوجد قمر في السّماوات!*** وهذا الادّعاء مُثبت برموز موجودة على جدار في بلاط Kalasasaya بالقرب مدينة تياهوناكو Tiahuanaco في بوليفيا، والتّي سجّلت بأنّ القمر دخل مدار الأرض بين ١١,٥٠٠ و ١٣٠٠٠ سنة مضت، أيّ قبل التّاريخ المسجّل بفترة طويلة.

هل القمر من صنع كائنات عاقلة؟

قمر اصطناعي تابع للأرض؟

إنّ مشكلة منشأ القمر تعتبر أحد أعقد مشاكل علم الكون Cosmogony إلى وقتنا هذا، وتوجد ثلاث فرضيات رئيسية خاضعة للنّقاش.

الفرضية رقم ١ : لقد كان القمر في وقت من الأوقات جزءاً من الأرض وانشطر عنها، وقد تمّ دحض هذه الفرضية بالأدلّة.

الفرضية رقم ٢ : تكوّن القمر بشكل مستقلّ عن الأرض، وذلك من نفس غيمة الغبار والغاز التي تشكّلت منها الأرض، وفوراً تحول إلى تابع طبيعيّ للأرض. لكن، ومن ناحية أخرى، لماذا هناك فرق كبير بين الوزن النّوعي للقمر (الذي يبلغ ٣,٣٣ غ/سم^٣) ــ (الوزن النّوعي ينتج من تقسيم الوزن على الحجم) ــ وبين الوزن النّوعيّ للأرض (٥,٥ غ/سم^٣)؟ علاوة على ذلك، فإنّه وبحسب آخر المعلومات فإنّ الصّخور القمريّة ليس لها نفس تركيب الصّخور الأرضية.

الفرضية رقم ٣ : تكوّن القمر بشكل مستقلّ، وليس ذلك فحسب، بل تشكّل في مكان بعيد عن الأرض (حتى أنّه من الممكن أن يكون قد تشكّل خارج نظامنا الشّمسيّ). وهذا يؤدّي إلى استنتاج أنّه ليس من الضّروري أن يكون القمر مصمّماً من نفس "الطّينة" التي تشكّل منها كوكبنا. بعد إبحار القمر في الفضاء الكوني الواسع، وصل إلى جوار الأرض، وبواسطة تفاعل معقّد لقوى الجاذبية جُلب القمر إلى المدار حول الأرض، هذا المدار شبيه بالدّائرة إلى حدّ كبير. ولكنّ اجتماع معطيات من هذا النّوع مستحيل ظاهرياً، خاصة إذا استندنا على مفاهيمنا العلمية الحالية خلال النظر إلى هذه لمسألة. في الحقيقة فإنّ ***العلماء الذين يدرسون أصل الكون في أيامنا هذه لا يملكون نظرية مقبولة لشرح كيف تشكل نظام القمر– الأرض!***

الفرضية الوحيدة المدعومة بالدلائل

الفرضية الوحيدة التي تدعمها الدلائل وتمثّل الإجابة الشافية على كافة التساؤلات هي أن القمر عبارة عن تابع اصطناعيّ للكرة الأرضية. وضع في مداره حول الأرض من قبل كائنات ذكية تتجاوز حدود معرفتنا وإدراكنا الراهن. ونحن نرفض التّورّط في مسألة توقّع من يكون بالضّبط الذي قام بهذه التّجربة الفريدة، هذه التّجربة التي لا يستطيع القيام بها إلا حضارة شديدة التّطوّر.

سفينة نوح فضائية؟

إذا كنت تمثّل حضارة متطورة جداً وتهمّ بإطلاق قمر صناعيّ، فمن المستحسن إذاً أن تجعله مجوّفاً. وبنفس الوقت يبدو من السّذاجة التّصور بأنّ القادر على القيام بمشروع فضائيّ ضخم كهذا سيرضى ببساطة القبول بنوع من أنواع الصّناديق الضّخمة الفارغة، والمرمية في مسار قريب من الأرض. من المرجّح أنّ ما لدينا هنا هو سفينة فضائية قديمة جداً، وكان جوف هذه السّفينة مملوءاً بالوقود من أجل المحرّكات، بالإضافة إلى المواد والأدوات من أجل أعمال الصّيانة وأعمال الملاحة، وأجهزة لمراقبة المعدّات وجميع أنواع الآلات... بعبارة أخرى كلّ ما يلزم لتمكين هذا "المركب الكونيّ الصّغير" من العمل كسفينة نوح لهذه الكائنات الذّكية، حتّى أنّها قد تكون أيضاً موطناً لحضارة فضائية يعود تاريخها لفترة طويلة من الزمن (امتد لآلاف الملايين من السّنين)، كما قطعت أشواط طويلة عبر الفضاء (آلاف الملايين من الأميال).

طبعاً يجب أن يكون جسم سفينة فضائية كهذه صلباً جداً كي يصمد في وجه ضربات النيازك والتّبدّلات الحرارية الشّديدة، مابين شدّة الحرارة وشدّة البرودة. وربّما أنّ القشرة هي عبارة عن شيء ثنائي الطّبقات: الطّبقة السّفلى هي درع سماكته حولي الثّلاثين كيلومتراً، والطّبقة الخارجية هي نوع من السّتار المكدّس بطريقة أكثر عفوية (طبقة أقل سماكة، معدّل سماكتها حوالي الخمسة كيلومترات). في مناطق معيّنة حيث تقع "البحار" القمريّة و"الفوهات" نجد أنّ الطّبقة الخارجية رقيقة تماماً، وفي بعض الحالات غير موجودة أبداً.

بما أنّ قطر القمر هو ٣٤٨٠ كيلومتراً، لذا وبحسب ما نرى، فهو عبارة عن كرة ذات جدار رقيق، ومن الواضح أنّ هذه الكرة ليست فارغة. فقد يكون هناك جميع أنواع المواد والتّجهيزات في داخل تلك الكرة. ولكنّ أعظم جزء في الكتلة القمرية يتركّز في الجزء المركزيّ من الكرة، أي نواتها التي يبلغ قطرها ٣٣١٨ كيلو متراً. وهكذا، فإنّ المسافة بين لبّ وقشرة هذه الجوزة، هو حوالي ثمانية وأربعين كيلومتراً. وهذا الفراغ مملوء، بلا شكّ، بالغازات الضّرورية للتّنفس، والضّرورية للأمور التّقنية وغيرها من الأغراض. مع بنية داخلية بهذا الشكل، يصبح من الممكن أن يكون الوزن النّقليّ للقمر هو ٣,٣ غ/سم^{٣}، والمختلف تماماً عن الوزن النّقليّ للأرض البالغ ٥,٥ غ/سم^{٣}.

بارجة فضائية لم تنل منها التّوربيدات؟

إنّ أكثر التّشكلات وجوداً على سطح القمر، سواء من حيث العدد أو من حيث إثارة الفضول هي "الفوهات". تختلف أقطار هذه الفوهات كثيراً. فقطر بعضها أقلّ من المتر، بينما البعض الآخر يبلغ قطره أكثر من ١٩٥ كيلومتراً (أكبر فوهة يبلغ قطرها

٢٣٨ كيلومتراً). كيف أصبح وجه القمر مليئاً بالبثور إلى هذه الدّرجة؟ هناك نظريّتان تشرحان هذا الأمـــر، إحـــداهما تتعلّـــق بالبراكين، والأخرى تتعلّق بالنّيازك. وأغلب العلماء يأخذون بالنّظرية الأخيرة.

كيريل ستانياكوفيتش Kirill Stanyukovich، الأخصائيّ الفيزيائيّ السّوفييتي، كتب سلسلة كاملة من الأعمال ابتـــداء مـــن عـــام ١٩٣٧، يبيّن فيها فكرة أنّ الفوهات هي نتيجة للقصف الذي تعرّض له سطح القمر لملايين السّنين. وهو يعني القصف بالقنابل فعلاً، حيث أنّه حتّى أصغر الأجرام السّماوية عندما تزجّ في واحدة من أسرع التّصادمات الرّأسية، والمنتشرة بشكل كبير فـــي الكون، تتصرّف وكأنّها رأس حربيّ معبّأ بالمتفجرات، بل كما لو أنّها رأس نوويّ في بعض الحالات، عند الاصـــطدام يحـــدث احتراق فوريّ مخرجاً غيمة غبار من الغاز المتوهّج، هو غاز البلازما (غاز مكوّن من شوارد ذات شحنة موجبة وإلكترونـــات حرّة وليس لهذا الغاز شحنة كهربائية مطلقاً) عندها نكون أمام انفجار واضح تماماً.

حسبما يقول الدّكتور ستانياكوفيتش فإنّ "قذيفة" من حجم كبير (لنقل مثلاً أنّها ذات قطر يبلغ ١٠كيلومترات)، يجب عند التّصادم مع القمر أن تنفذ إلى عمق أكبر بأربع أو خمس مرات من قطرها (أيّ أنّها ستحدث فجوة بعمق ٤٠- ٥٠كم).

الشّيء المدهش أنّه مهما كانت النّيازك التي تسقط على القمر كبيرة (بعضها يبلغ قطرها أكثر من ١٠٠كـــم)، ومهمـــا بلغـــت السّرعة التي يجب أن تتحرّك بها (في بعض الحالات كانت سرعة الجرم تقدر بـــ ٦٠ كيلومتراً في الثّانيـــة)، فـــإنّ الفوهـــات النّاجمة عن الاصطدام، ولسبب غريب، لها نفس العمق! أي فقط ٢-٣كم، وذلك على الرّغم من الاختلاف الهائل بـــين أقطـــار النّيازك السّاقطة.

لنأخذ الفوهة التي يبلغ قطرها ٢٣٨ كيلومتراً، فهي من حيث المساحة تفوق هيروشيما بمئات المرّات. ويجب أن يكون قد حدث انفجار قويّ جداً وهائل جداً، حتى يكون قادراً على جعل ملايين الأطنان من الصّخور القمريّة تقفز من القمر إلى مـــسافة آلاف الأميال! للوهلة الأولى، يتوقّع المرء أن يجد فوهات عميقة جداً هنا، ولكن لا وجود لشيء كهذا: هناك على أكثر تقدير خمـــسة أميال بين مستوى قمّة الفوهة ومستوى قاعدتها، وثلث تلك المسافة ناجم عن الجدار الصّخري المقذوف حول الفوهة كما لو أنّه تاج مسنّن.

بالمقارنة مع كبر الحفرة، فإنّ عمقها قليل جداً، وعلاوة على ذلك، فإنّ قاع الفوهة محدّب، حاذياً حذو السّطح القمريّ المقـــوّس. بحيث لو أنّك وقفت في وسط الفوهة، فلن تكون قادراً على رؤية حتى الحواف العالية، التي ستكون وراء الأفق. إنّ حفرة تبدو أكثر ما تبدو كالتلة هي مسألة غريبة جداً!.

في الحقيقة، الأمر ليس غريباً، فإذا فرضنا أنّه عندما ترتطم النيازك بالغطاء الخارجي للقمر، فإنّ هذا الغطاء سيمتصّ الصّدمة، وستجد الأجسام الغريبة نفسها في مواجهة درع كرويّ حصين. إنّ الانفجار الضّخم الذي يترك أثراً خفيفاً فقـــط فـــي الـــدّرع المصفّح ذو سماكة الثلاثين ميلاً، ينثر قطعاً صغيرة من هذا "الغطاء" في كلّ الأنحاء. فإذا أخذنا في حسباننا أنّ غطـــاء القمـــر

الدّفاعيّ، ووفقاً لحساباتنا تبلغ سماكته أربعة كيلومترات، عندها يمكن للمرء أن يفطن إلى تلك المسافة، وهي بشكل تقريبيّ أقصى عمق للفوهات.

أهو سفينة فضائية حلّت بها كارثة؟

دعنا الآن نتعرّف على الطّابع الكيمائيّ للصّخور القمريّة. وفقاً للتّحاليل، فقد وجد العلماء الأمريكيون في الصّخور القمرية كلاً من الكروم، والتّيتانيوم والزّركونيوم. هذه هي كلّ المعادن التي تتميّز بكونها شديدة الصّلابة وقوية ميكانيكياً، وغير قابلة للتّآكل. إنّ خليطاً من هذه المعادن سيكون له مقاومة مطلقة للحرارة، ولها القدرة على الصّمود في جميع أنواع الاعتداءات، كما يمكن استخدامها على الأرض من أجل تبطين الأفران الكهربائية.

إذا كان هناك مواد يمكن استنباطها لحماية تابع صناعي ضخم (القمر) من التّأثيرات الحرارية غير المرغوب فيها، ومن الإشعاعات الكونية، وقصف النّيازك، فربما سيقوم الخبراء بالتّفكير بهذه المعادن بالتّحديد. في هذه الحالة، ليس من الواضح لماذا تعتبر الصّخور القمريّة ناقلاً سيئاً للكهرباء إلى درجة كبيرة – وهي حقيقة طالما حيّرت روّاد الفضاء؟ أليس ذلك الأمر هو ما كانيحاول تحقيقه مهندسو القمر الصّناعيّ الضّخم التّابع للأرض؟

من وجهة نظر المهندسين، فإنّ هذه السّفينة الفضائيّة التي تعود لعهود غابرة، والتي نسمّيها نحن القمر، مبنيّة بطريقة ممتازة، وربّما يكون هناك سبب وجيه وراء طول عمرها. حتى أنّه من المحتمل أنّها تعود إلى تاريخ يسبق كوكبنا. بجميع الأحوال، فقد ثبت أنّ بعض الصّخور القمرية أقدم من أعتق الصّخور الأرضية، رغم حقيقة أنّ ذلك العمر يشير إلى عمر المواد وليس عمر البنيان الذي استخدمت فيه. ومن معرفتنا بعدد الفوهات التي على سطح القمر، نعلم أنّ القمر لم يكن جباناً في مواجهة هذا العدد الكبير من النيازك.

من الصّعب طبعاً القول متى بدأ القمر يشعّ في السّماء فوق الأرض. ولكن، وبالاعتماد على بعض التّقديرات الأوليّة يستطيع المرء أن يضع بعض التّخمينات بأنّ القمر كان موجوداً قبل حوالي ألف مليار سنة خلت. ونحن طبعاً لا نتخيّل أنّ القمر ما يزال مسكوناً، وربّما أنّ العديد من أجهزته الأوتوماتيكيّة قد توقّف أيضاً. لقد توقّفت أجهزة التّوازن الخاصّة بالقمر عن العمل، كما تغيّر موضع قطبيه. على الرّغم من كلّ ذلك، فإنّ القمر ما زال يحتفظ بنفس الجهة في مواجهتنا، كان القمر أحياناً يغيّر محور دورانه، عندها كان يظهر لنا، وبالصّدفة، بعض الأجزاء من جانبه الآخر، ذلك الجانب الذي لم تتمّ رؤيته أبداً من قبل المراقبين على الأرض، وحتى من قبل سكّان القمر أنفسهم، في حال قيامهم برحلات استكشافية على الأرض.

فعل الزّمن فعله. ذلك أنّ كلاً من جسم القمر والتّجهيزات قد تعطّلت نوعاً ما. بعض من ذلك الفساد قد طال التّشعّبات الظّاهرة في القشرة الدّاخلية. وبالنّسبة للسّلاسل الطّويلة من الفوهات الصّغيرة (يصل طول بعضها إلى ١٥٠٠كم)، والتي كانت تعزى سابقاً إلى حدوث نشاطات بركانية، فنحن نفترض أنّها ناجمة عن انفجارات غازيّة خرجت من شقوق ظهرت في الدّرع المصفّح، وقد نجمت هذه الشّقوق عن الحوادث.

إنّ أحد الملامح المدهشة في المناظر القمرية هو بلا شكّ "جدار" مستقيم ارتفاعه حوالي ٤٥٠ متراً، وطوله يزيد عن ٩٦ كيلومتراً، تشكّل نتيجة تحدّب الدّرع المصفّح تحت تأثير التّوريبيدات السّماوية مؤدّياً لارتفاع أحد حواف الدّرع المنتظمة والمستقيمة.

من المحتمل أنّ سكّان القمر قاموا بالخطوات الضّرورية لمعالجة آثار قصف النّيازك، فعلى سبيل المثال، قاموا بإصلاح التّشقّقات في الدّرع الخارجيّ الذي يغطي القشرة الدّاخلية. ومن أجل أغراض كهذه قاموا باستخدام مواد من داخل القمر، حيث صنع من هذه المواد نوع من أنواع الصّمغ. وبعد معالجتهم لهذه المواد، قاموا بنقلها بالأنابيب إلى الأماكن على السّطح حيث الحاجة إليها.

منذ زمن غير بعيد، اكتشف روّاد الفضاء اختلافات في حقول الجاذبية على القمر، وذلك بالقرب من "البحار" الكبيرة. نحن نعتقد بأنّ سبب هذا يعود إلى أنّ أماكن البحار الجافّة هو في الحقيقة أماكن تمزّق فيها غطاء الحماية الخارجيّ عن الدّرع المحيط بالقمر، وللتّعويض عن الضّرر الحاصل لهذه الرّقع الواسعة فإنّ عملية التّصنيع التي يتمّ من خلالها إنتاج مواد للإصلاح كان يتوجّب جلبها إلى تحت الموقع مباشرة بحيث يمكن تغطية المنطقة بـ"الصّمغ الخاص". إنّ التّوسّعات المسطّحة النّاجمة عن تلك العملية هي ما يبدو للمراقبين الأرضيين كالبحار. إنّ مجموعة الأدوات والآلات المستخدمة عند القيام بتلك العملية موجود بلا شك حيث وضعت وهي كبيرة بشكل كاف للتّسبّب بهذا الشّذوذ في الجاذبية.

ما هي حال القمر اليوم؟ هل هو عبارة عن "مدينة مندثرة" ضخمة، حيث انقرضت إحدى أنواع الحياة الذّكيّة عليه؟ هل القمر هو نوع من سفن الأموات الطّائرة؟ هل هي عمل حرفيّ أهمله ملاّحوه و يتمّ التّحكم به أوتوماتيكياً؟ نحن لا نعلم الجواب وكل ما علينا هو التخمين.

بانتظار الدّليل

لقد أوردنا سابقاً في عدة أسباب – لسوء الحظّ فنحن لم نورد دليلاً حتى الآن، بل أوردنا تفاصيلاً فقط – لتبرير الفرضيات، وتبدو هذه الأسباب جنونية لأول وهلة. لقد تمّ تقديم فكرة "مجنونة" مشابهة في العام ١٩٥٩، وذلك من قبل البروفسور الشّهير إيوزف شكلوفسكي Iosif Shklovsky. تتحدّث هذه الفكرة عن العلاقات التي تحدث بين "الأقمار" التي تدور حول المرّيخ. بعد تأمّل الدّليل بحذر استنتج البروفسور أنّ كلاً من قمريّ المريخ فارغان، ولذا فهما تابعان اصطناعيان. الآن طبعاً يتوجّب علينا الانتظار حتى قيام دليل مباشر يدعم الفكرة، أو ينفيها. وربما لن يكون علينا الانتظار طويلاً.

مدن على القمر!

ظهر أنّ النّشاطات الذّكية التي تقوم بها حضارات فضائية غريبة هي نشاطات أقرب إلينا ممّا كنّا نتوقّع، بجميع الأحوال، فنحن لم نكن على استعداد نفسيّ لتقبّل ذلك. ما زلنا حتّى اليوم نصادف بعض المنشورات التي تحاول أن تجد جواباً على السّؤال التّالي: ***هل نعيش وحدنا في هذا الكون؟*** وفي نفس الوقت فقد تمّ كشف وجود كائنات عاقلة بالقرب من موطننا، هناك على القمر. بجميع الأحول، فإنّ هذا الاكتشاف تمّ اعتباره اكتشافاً سرّياً على الفور، وذلك كون هذا الاكتشاف غريباً إلى درجة أنّه

سيؤدّي إلى تخلخل المبادئ الاجتماعية الموجودة حالياً، وذلك حسبما يخبرنا مراسل جريدة روسيا السّيد فيتشيرني فولجـــوجراد Vecherny Volgograd. وفيما يلي مقتطفات من المقال:

".. إنّ علماء ناسا، والمهندسين المشاركين في اكتشاف المريخ والقمر، أبلغونا نتائج اكتشافاتهم في موجز نشرته مطبعة الجمعية الوطنية في أمريكا، وذلك في الحادي والعشرين من آذار لعام ١٩٩٦. حيث أعلن لأوّل مرّة أنّ هناك أبنية وإنـــشاءات وأدوات وأشياء ليست من صنع الطبيعة، قد تم اكتشافها على القمر!.. تحدّث العلماء بحذر طبعاً وبأسلوب مراوغ حول تلـــك الأشـــياء المكتشفة، مع استبعادهم لفرضية كون هذه الأشياء ناجمة عن أصحاب الصّحون الطّائرة (التي هي موضع سخرية رسمياً). لقد ذكروا أنّ وجود أشياء صناعية هو أمر محتمل، كما صرّحوا بأنّ المعلومات ما تزال قيد الدّراسة، وأنّ النّتائج الرّسمية ســـوف تعلن فيما بعد.."

وقد ورد في الموجز أيضاً أنّ الاتّحاد السّوفييتي كان لديه بعض المواد المصوّرة التي تثبت وجود نشاطات مماثلة على القمـــر. وعلى الرّغم من عدم تحديد ماهية تلك النّشاطات، فإنّ آلاف الصّور وأشرطة الفيديو التي زوّدتنا بها مركبة أبوللـــو الفـــضائية ومحطّة كليمينتين الفضائية Clementine تظهر أجزاء عديدة من سطح القمر، تبدو فيها بوضوح تلك النّشاطات وآثارها. هناك أفلام فيديو وصور تمّ التقاطها من قبل روّاد فضاء أمريكيين خلال برنامج عمل مركبة أبوللو الفضائية، وقد تمّ استعراض هذه الأفلام والصّور في ذلك الموجز. فوجئ النّاس لماذا لم يتمّ تقديم تلك الصّور للنّاس من قبل؟ يجيب المتّخصّصون فـــي وكالـــة الفضاء الأمريكية ناسا فيقولون:

".. من الصّعب التّنبؤ بردّة فعل النّاس حول المعلومات التي تقول بأنّ هناك نوعاً من المخلوقات كانت أو ما تزال موجودة على القمر، بالإضافة إلى ذلك، كان هناك بعض الأسباب الأخرى لفعل ذلك، وكانت هذه الأسباب تفوق سلطة ناسا!.."

يقول ريتشارد هوغلاند Richard Hoagland المتخصّص في الدّراسات القمريّة، بأنّ ناسا ما تزال تجري محاولات لاســـتبدال الصّور قبل أن تنشر في الملفّات والكتب. كانوا يقومون ببعض التّنقيح أو كانوا يقومون بعملية إعادة ضبط التّركيز على بعض الأجزاء من الصّور أثناء طباعتها. بعض المحقّقين، ومن بينهم هوغلاند، يفترضون بأنّ هناك عِرقاً غير أرضيّ استخدم القمر كمحطّة أثناء قيامه بنشاطات على الأرض. هذه الاقتراحات تدعمها الأساطير والخرافات التي تتكلّم عن وجـــود أمـــم غريبـــة (فضائية) على أرضنا.

تمتدّ آثار المدن القمرية على عدة كيلومترات. قباب ضخمة على قواعد كبيرة، عدد كبير من الأنفاق، وغيرها مـــن المبـــاني، يجعل العلماء يعيدون النّظر في آرائهم حول القمر. إنّ كيفية نشوء القمر وآلية دورانه حول الأرض ما تزال تـــشكّل معـــضلة كبيرة للعلماء. هناك بعض الأشياء المدمّرة جزئياً على سطح القمر، والتي لا يمكن تصنيفها على أنّهـــا تكوينـــات جيولوجيـــة طبيعية، لأنّ لهذه الأشياء بناء تنظيميّ وهندسيّ معقّد.

يهتمّ المحقّقون بشكل خاصّ بالتّكوينات التي تبدو وكأنّها مدن مدمّرة جزئياً. تكشف الصّور تكوينات هندسية منتظمة إلى درجة مدهشة. تكوينات لإنشاءات ذات شكل مربّع ومستطيل. تشابه هذه التّكوينات مدننا الأرضية عند النّظر إليها عن ارتفاع ٥- ٨ كيلومتر. علّق المختصّ بعملية المراقبة في الرّحلة على الصّور فقال:

".. رصد رجالنا أثاراً للمدن القمرية، وأهرامات شفافة وقباب، ووحده الله يعلم ماذا رصدوا أيضاً، هذه المسائل تمّ إخفاؤها بحرص شديد ضمن ملفّات ناسا، وشعر رجالنا وكأنّهم روبنسون كروزو، لمّا صادفوا بشكل مفاجئ آثار أقدام عارية على رمل جزيرته الصّحراوية.."

ماذا يقول العلماء والجيولوجيّون بعد دراستهم لصور المدن القمرية وغيرها من الأجسام الغريبة؟ هم يقولون بأنّ أجسام كتلك، لا يمكن أن تكون من تكوين الطّبيعة؟ يجب علينا الاعتراف بأنّ هذه التّكوينات اصطناعية، وبشكل خاصّ القباب والأهرامات. لقد ظهر لنا أنّ نشاطات العاقلة لحضارات فضائية آتية من خارج الأرض قريبة منّا أكثر ممّا كنّا نتوقّع. إنّنا لم نكن مستعدّين لذلك نفسياً، وحتى هذا الوقت ما يزال هناك بعض الأشخاص الذين بالكاد يصدقّون بوجود هذه الحضارات الفضائية.

هناك الكثير مما وجب قوله بخصوص القمر، والمريخ وكواكب أخرى، حيث سوف نتناولها بالتفصيل في الكتب الواردة في قسم "أسرار كونية" في موقع سايكوجين.

وسط هذا الجدل القائم بين المفاهيم المختلفة التي تستند عليها النظريات العلمية والدينية والصوفية وغيرها من نظريات تحاول تفسير عملية الخلق بطريقتها الخاصة... وسط هذا الجدل الكبير، والصراع المحموم أحياناً، بين أفكار متعددة تصوّر لنا سيناريوهات متعددة حول مخلوقات فضائية، قرود، أشباه بشر، شرارة حياة، عامل الصدفة... وغيرها من صور ونظريات واقتراحات، إلا أن السؤال الكبير سيبقى قائماً بإصرار، مهما كانت التفسيرات مقنعة ومهما بلغت قوة الحجج والإثباتات، والسؤال هو: ***أين الله من عملية الخلق هذه؟! أين موقعه في التسلسل المنطقي للأحداث؟***

الجواب على السؤال السابق هو بسيط ومن المفروض أن يكون تلقائي. وإن لم تدرك الأمر بشكل عفوي وتفطن له على طريقتك الخاصة، فإليك الموضوع التالي الذي ربما يساعد على تنشيط ذاكرتك الباطنية، وينعش الجانب الروحي من كيانك، فتستطيع بعدها التوصّل إلى الجواب اليقين.

أللّه

قبل كل شيء

في أواخر الستينات من القرن الماضي، كانت الدلائل التي تقدمها نظريات الثيرموديناميكية thermodynamics، والإمكانية الرياضية mathematical probability، والمعلوماتية information تفعل فعلها بطريقة التفكير العلمي ذات التأثير الثلاثي: "أوبارين ــ هالدين ــ ميللر" Oparin-Haldane-Miller. وبعد كل اكتشاف جديد في البيولوجية الجزيئية، يقترب مفهوم "النشوء التلقائي" spontaneous generation تدريجياً من اتخاذ شكل المعجزة غير المنطقية بدلاً من كونه عملية كيماوية عرضية.

في السبعينات من القرن الماضي، اتخذت التخمينات حول أصل الحياة منحاً غير متوقعاً. لأن القوانين الكيماوية والفيزيائية، وبالإضافة إلى الإمكانية الرياضياتية، جعلت فكرة "النشوء التلقائي" تبدو سخيفة بحيث لم تعد مقبولة، بدأ العلماء يبحثون عن مصدر "فضائي خارجي" في محاولة إيجاد أصل الحياة.

"فرانسيس كريك" Francis Crick، أحد مكتشفي "الحمض النووي" DNA، وهو من بين أكثر علماء البيولوجية الجزيئية احتراماً في العالم، هو أيضاً سلّم لحقيقة أن "النشوء التلقائي للحياة" على سطح الأرض تعتبر معجزة حقيقية. بعد أن تيقّن من حقيقة أن الحياة لم تنشأ بالصدفة، اقترح فكرة أن أشكال الحياة الأولى التي وُجدت على الكوكب، والتي كانت عبارة عن بذور جرثومية أحادية الخلية، تم جلبها إلى الأرض من الفضاء الخارجي. هذه النظرية، والتي عُرفت بـ"التبزير المقصود"، تقول (كما شرحت سابقاً) أن هذه البذور الجرثومية الفضائية هي المسؤولة عن نشوء كافة أشكال الحياة المتنوعة على وجه الأرض. وهناك استنتاجات مشابهة توصل إليها "فريد هويل" Fred Hoyle في كتابه "التطوّر من الفضاء" Evolution From Space.

لقد أدرك هذان العالمان، ومن يتبع دربهما من علماء يتزايد عددهم تدريجياً، بأن هناك شيئاً يكمن ما وراء حدود كوكب الأرض، والذي هو مسؤول عن توليد المعلومات والتعقيدات الكبيرة التي تدير المنظومات العضوية الحيّة. وتوصلوا إلى أنه لا يوجد سوى خيارين:

ــ تصميم عاقل من جهة مجهولة
ــ نشوء إحيائي تلقائي على كوكب الأرض

بعد إدراك استحالة النشوء الإحيائي التلقائي على كوكب الأرض، ربما يظنّ الفرد بأنهم سيخرجون بالاستنتاج الواضح والجلي أمامهم، وهو: وجود مصدر عاقل ماورائي، أو عقل عظيم يقبع في موقع زماني/مكاني خارج الوجود المادي والملموس، خالق مبدع يدرك ماذا يفعل.. وغيرها من صور وافتراضات أصبحت قابلة للهضم والاستيعاب بسبب توفّر الدلائل العلمية الثابتة. لكن الأمر لم يكن كذلك. لقد استنتج "كريك" والآخرين بأنه طالما أن الحياة لم تنشأ بالصدفة على هذه الأرض، فبالتالي، لا بد من أن قوانين الفيزياء والكيمياء كانت بحالات أفضل في مكان ما بهذا الكون فنشأت الحياة هناك أولاً ومن ثم جُلبت إلى هنا لاحقاً.

أعتقد بأنني شرحت في القسم السابق (صورة جزئية على الأقل) الطُرق المختلفة التي زُرعت فيها أشكال الحياة في الأرض من مصادر فضائية، لكن المسألة هنا لا تكمن في الجانب المادي الملموس، بل هذان العالمان يبحثان في الجانب المعلوماتي الحيوي الذي يقبع في ما وراء الحياة والمسؤولة عن التنظيم والنمو والتحوّل والتطافر وغيرها من إجراءات بيولوجية معقّدة لا يمكنها أن تتوافق مع نظرية "الصدفة" التي تحكم عقول الأكاديميين الرسميين اليوم، ولا حتى نظرية "ابتكار مخلوقات فضائية متطورة" التي تحكم عقول المفكرين المستقلّين. وقد أخطئوا في اختيار فكرة أن المصدر المعلوماتي الحيوي هو عبارة عن برنامج (يشبه برنامج الكمبيوتر) جاء من الفضاء الخارجي (بالصدفة) بدلاً من التسليم بالحقيقة التي طالما أرعبت المفكرين الماديين/الداروينيين والقائلة بوجود خالق عظيم.. عقل كوني يشمل كل الوجود، ومسؤول عن كافة الإجراءات الحاصلة فيه.

أنا أتفهّم موقف العلمانيين الذي اتخذوه عندما انشقوا عن المؤسسات الدينية خلال التحوّل الكبير الذي حصل قبل ثلاثة قرون تقريباً، وأعلنوا عن بدئ ما سُمي بـ"عصر المنطق والعقلانية" وانتهاء "عصر الخرافات". لقد كان التحرّر من الطبقة الكهنوتية ورجال الدين ضرورياً في حينها، حيث كان الإنسان الواقع تحت رحمتهم يعيش في حالة بائسة لا توصف، كما كان من الضروري تطهير العقول من التعاليم الماورائية التي تُعتبر الأداة الفعالة التي تم بواسطتها السيطرة على الجموع البشرية كما قطعان الأغنام لعصور طويلة من الزمن. لكن أن يتحوّل العداء تجاه المفهوم الفطري القائل بوجود عقل عظيم يدبّر مجريات الكون، فهذا كان ولا زال أعظم الأخطاء التي اقترفها العلمانيون الماديون. الأمر المثير للسخرية هو أن هذا الحقد على الخالق العظيم (والذي سببه الاضطهاد القاسي من قبل المؤسسات الدينية أصلاً) لازال قائماً حتى اليوم من قبل حكام العالم الأكاديمي، لدرجة أن ألمع العقول العلمية العصرية استنتجوا بعد عناء طويل، ورغم الإثباتات العلمية التي تشير إلى عكس ذلك، بأن مجريات الحياة على هذه الأرض تحمل في طياتها برنامج معلوماتي مجهول الآلية لكن من المؤكّد أن مصدره فضائي خارجي، وليس مصدر عاقل يقبع في بُعد زمكاني (زمان/مكان) آخر!

من أجل توضيح الفكرة أكثر:

وجب الانتباه إلى أن هناك خلط كبير بين جانبين مختلفين للحياة: الجانب المادي والملموس، والجانب الروحي والذي يشير إليه العلماء بـ"البرماج البايو معلوماتي" وهذا ما سوف أشرحه لاحقاً. هذا الجانب الثاني لا يقبع في المجال الزماني/مكاني الذي يقبع فيه الجانب المادي الملموس، لكن أصبح واضحاً بأنه المسؤول الأوّل والأخير عن كافة المجريات الكيماوية والفيزيائية والبيولوجية وغيرها التي تحصل في هذا الجانب المادي الملموس. هذا هو "البرنامج المعلوماتي" الذي راح يتحدث عنه كل من "كريك" و"هويل" وما تبعهم من علماء ويزعمون بأنه جاء من مصدر فضائي خارجي. إن ما يحاول هؤلاء فعله هو نقل شرارة انطلاق الحياة من كوكبنا إلى كوكب آخر، أي لا زالوا يصرون على البقاء ضمن المنطق الداروينى بخصوص نشوء وتطوّر الحياة بالصدفة، وكل ما فعلوه هو تغيير موقع شرارة الحياة بحيث جعلوه بعيداً.

أوّل ما وجب معرفته هو أن هذا الجانب الروحي (الكامن ما وراء المادة) لا يستطيع أحد برمجته (إذا صحّ التعبير) إطلاقاً، لا مخلوقات فضائية ولا ما يحزنون.. لا يمكن أن تصدر هذه الأوامر (البرمجيات) البايومعلوماتية سوى من عقل عظيم يعمل على مستوى كوني شامل.

يستطيع العلم المتطوّر أن يتلاعب جينياً بشجرة تفاح ويحوّلها إلى شجرة ليمون.. يستطيع تحويل أوراق الشجر من لون أخضر إلى لون أحمر مثلاً.. يستطيع نقل الشجرة من كوكب الأرض ويزرعها في كوكب آخر فيه بيئة مناسبة.. وإذا كان متطوراً جداً جداً، يستطيع نقل عدد كبير من أشكال الحياة المهجّنة جينياً حسب الطلب من كوكب إلى آخر بواسطة مركبات فضائية خاصة لهذا الغرض (كما زرع الفضائيون الحياة على هذه الأرض)، لكن الأمر الذي يستحيل إنجازه هو ***خلق شجرة من لا شيء!*** نحن نستطيع التلاعب تكنولوجياً بكل ما خلقه العقل الكوني العظيم من أشكال حياة، لكننا لا نستطيع خلقها من لا شيء، ومن ثم برمجتها بالمعلومات التي تحافظ على بقائها واستمراريتها في كافة الظروف وكافة الحالات... هذا مستحيل.

إذا أردنا مناقشة الأمر ***بطريقة علمية***، فإن المزاعم القائلة بأن ".. قوانين الفيزياء والكيمياء تكون في مكان آخر في الكون بحالة أفضل من كوكب الأرض لتسمح بنشوء الحياة.." هي مزاعم مجرّدة من أي أساس علمي. إن اللجوء إلى هذا التفسير غير المنطقي لا يوصلنا إلى نتيجة مجدية بخصوص معرفة أصل الحياة، ذلك بسبب الاحتكام لقوانين خارجة عن السياق الحقيقي للطبيعة. أي أن هذا الكلام هو ليس فقط غير علمي، بل خرافي بامتياز. فإذا كان العلم المنهجي يشدد بكل ثقة على أن قوانين الفيزياء والكيمياء هي ذاتها في أي مكان في الكون، كيف يمكن لعالِم منهجي مرموق أن يلجأ إلى تفسير يناقض هذا المفهوم العلمي؟ حيث إذا كان الأمر كذلك (أي أن القوانين هي ذاتها في كافة أنحاء الكون)، وجب علينا الاستنتاج بشكل بديهي أن الحياة لا يمكنها النشوء تلقائياً في أي مكان في الكون.

النقطة التي أحاول توضيحها هي: حتى لو كانت القوانين الفيزيائية والكيماوية مناسبة أكثر لنشوء الحياة في مكان آخر في الكون، فهذا لا يفسّر كيفية وجود المعلومات المُشفّرة (والتي من الواضح أنها لا تنشأ بالصدفة) التي يحوزها جزيء الحمض النووي DNA. فلقد أصبح واضح جداً أن مصدر التصميم الهندسي الذكي لهيكل الخلايا، وكذلك المعلومات السلوكية والتنظيمية المحمولة في الحمض النووي DNA، لا بد من أن يكون مصدراً عاقلاً، وليس هذا فحسب، بل يتمتع بعبقرية كونية مطلقة! كما أن هذا المصدر هو متعدد الأبعاد، أي يقبع خارج العالم المادي والملموس، أي يتجاوز حاجزي الزمان والمكان، أي هو أرفع من أن تتلاعب به مخلوقات فضائية أو بشرية أو حتى عامل الصدفة والإمكانية الرياضياتية أو غيرها من عوامل يلجؤون إليها كتفسيرات مؤقّتة وناقصة لما يواجهونه من ظواهر خارجة عن حدود إدراكهم المادي والملموس. لقد آن الأوان على العلماء المنهجيين لأن يعترفوا، بعد أن لاحظوا وأدركوا واستنتجوا بأنفسهم في مختبراتهم العلمية، بأن العقل موجود في كل مكان، ابتداءً من المستوى الكوني العظيم وانتهاءً بأصغر جسيم ذرّي. أما مسألة وجود حضارات فضائية أكثر تطوراً، فهي مسألة مختلفة تماماً. حتى لو وُجد هكذا حضارات متقدمة، فلا يمكننا اعتبارها مسؤولة عن انطلاق شرارة الحياة في الكون، لأن هذا سيقودنا إلى سؤال بديهي آخر: ***إذا كانوا مسؤولون عن نشوء الحياة، فمن الذي خلقهم أصلاً؟***. مهما كان الأمر، أي مهما تعددت أنواع هذه المخلوقات التي تشاركنا الحياة في هذا الكون الواسع، ومهما ارتقى مستواها المتقدّم، فلازالت في النهاية تخضع لنفس القوانين الوجودية التي نخضع لها. وبالتالي، يمكننا استيعاب فكرة أنها المسؤولة عن وجود حياة على هذا الكوكب (من خلال نقلها من مكان آخر في الكون إلى كوكبنا)، لكن لا يمكن تقبّل فكرة أنها المسؤولة عن إطلاق شرارة الحياة مهما كان نوعها أو مستواها. ربما الموضوع التالي يكفي لتوضيح الفكرة بشكل حاسم ونهائي.

البرمجة البايو معلوماتية الربانية

عندما صرّح كل من "جورج والد" George Wald و"فرانسيس كريك" Francis Crick بأن النشوء التلقائي للحياة هو مستحيل، كانوا يتكلمون عن أصل الهيكل الخليوي الخارجي لأشكال الحياة، أي لازالوا منشغلون بالجانب المادي والملموس للحياة. وفي الحقيقة، إذا نظرنا إلى كلامهما من هذا الجانب فقط (المادي الملموس)، فسوف يبدو الأمر معقولاً. حيث إذا أخذنا بعين الاعتبار التأثير السلبي (العكسي) للتفاعلات البايوكيماوية في الماء (كما أثبتت التجارب)، وحقيقة أن حجارة بناء الحياة لا تكون آمنة لا في الجو ولا في الأرض (حيث أثبتت التجارب بأنها تتعرّض للدمار قبل أن تنشأ وتتشكّل في هذا الكوكب)، فبالتالي إن فكرة "النشوء التلقائي للحياة" على وجه الأرض ليس لها أي أساس علمي يدعم صحتها. لقد تبيّن أنها مجرّد إحدى الخرافات التي يتم تسويقها أكاديمياً وعلى نطاق واسع. إنها أطروحة وهمية لا يمكن تفسيرها ضمن القوانين الطبيعية التي يستند عليها العلم المنهجي أساساً. وهذا ما يجعل بعض العلماء المنهجيين، مثل "جورج والد" و"فرانسيس كريك" و"فريد هويل" وغيرهم، أن يتوقّفوا عن خداع أنفسهم والبدء في البحث عن أصل الحياة في مكان آخر في الكون. وهذا في الحقيقة هو الصواب بعينه. لكن بعد دخولهم في تفاصيل السيناريو الذي اقترحوه، بدؤوا، وكما هي العادة دائماً مع العقليات "المادية"، يقعون في هفوات كثيرة أدت بهم إلى طريق مسدود.

من أجل تبسيط الأمر خلال مناقشة الفكرة الرئيسية هنا، دعونا نبدأ من المرحلة الزمنية التي بُذرت فيها الأرض ببكتاريا "البروكاريوت" و"اليوكاريوت" أو ربما كائنات مجهرية أخرى تحتوي على حمض نووي DNA أو غيرها من بذور حياة. حتى الآن تبدو الأمور جيّدة، حيث لازلنا في المستوى المادي في الأمر. لكن السؤال الكبير هو: ألم تكُن كل هذه البكتريات أو الكائنات المجهرية مجهّزة بمعلومات أو أوامر أو برمجيات ضمنية تدير مجرياتها البيولوجية مثل التوالد والتكاثر والنمو والصراع للبقاء بشكل عام (كما هو مفروض مع كل كائن حيّ، ونسميه الغريزة أو الفطرة)؟ وإذا كانت تحتوي على هذه البرمجة المعلوماتية، هل كان ذلك قبل أم بعد وصولها إلى كوكب الأرض؟ لكي نستوعب هذه الأسئلة جيداً، وجب التعرّف على مدى التعقيد الذي تتصف به هذه العوامل (البرمجة البايو معلوماتية) التي نتساءل عنها.

البرمجة البايو معلوماتية

من اجل التعرّف على مدى عظمة هذا العامل المهم في الكائن الحيّ (البرمجة البايو معلوماتية)، دعونا ننظر إلى بيضة بشرية ملقّحة، والتي لا يتجاوز حجمها رأس الإبرة. رغم صغر حجمها، هذه البيضة تحتوي على معلومات تساوي حوالي ٦ مليار "رمز كيماوي" (أحرف الحمض النووي الكيماوية)! وهذه الكمية من الأحرف كافية لأن تملأ ١٠٠٠ كتاب مؤلف من ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير، والأحرف مطبوعة على الصفحات بحجم دقيق جداً بحيث تحتاج لمجهر لأن تقرأها! إذا طُبعت كافة أحرف الحمض النووي الكيماوية الموجودة في جسم الإنسان على صفحات كتب، فأنت بحاجة إلى كمية كتب هائلة جداً بحيث يمكنك استخدامها لملئ البحر الميّت خمسين مرّة! إن مصدر هذه المعلومات ذات العدد الهائل جداً جداً جداً.. هو جوهر النقاش بخصوص أصل الحياة. ***من أين جاءت هذه البرمجة البايو معلوماتية الهائلة العدد؟*** هذا هو السؤال. نحن لم نتكلّم عن ما نراه ونلمسه في أشكال الحياة، بل ما يقبع خلف الستار من معلومات كامنة في مكان ما وتدير مجريات أشكال الحياة بتناغم وتوافق

وانسجام يجري على نطاق يشمل كافة مظاهر الوجود. فليتفضّل علمائنا الأشاوس، والذين يبحثون عن أصل الحياة في مكان ما في الفضاء الخارجي، ويجيبوا على هذا السؤال.

عندما صرّح العلماء المنهجيين بأن "*.. **الكون هو كل ما في الوجود، وهكذا سيبقى إلى الأبد**..*"، كانوا بهذا يعبّرون عن موقعهم العلمي ذات النظرة "المادية" material للوجود من حولهم. فهم ينظرون للكون "المرئي والملموس" على أنه منظومة مُقفلة closed system لا يدخل في تركيبتها مؤثرات خارجة عن نطاق المرئي والملموس.

وبكلمة أخرى، ليس هناك "برنامج معلوماتي" يدير مجريات الكون من موقع زماني/مكاني آخر، بل كل شيء يجري في الكون (التطوّرات الكيماوية والفيزيائية والبيولوجية وغيرها) يخضع لعامل الصدفة. فبالتالي، وبغياب مصدر عاقل يدير الكون بحكمة وذكاء مطلق، ما كان على العلماء "الماديين" سوى الأخذ بفكرة أن المعلومات اللامتناهية المزروعة في جزيء الحمض النووي DNA نشأت أيضاً بالصدفة، فاضطرّوا إلى اللجوء للتفسيرات المناسبة لهذه الفكرة.

من أجل الإرساء على استنتاج نهائي وصحيح، أي الاختيار بين "عامل الصدفة" أو "التصميم العاقل المقصود"، سوف ننظر في طبيعة هذه المعلومات الحيوية (البايو معلومات) المزروعة في الكائنات الحيّة. لكن قبل ذلك، سوف نتعرّف على مجال علمي جديد ظهر مؤخراً، وهو مجال المعلوماتية "الإلكترونية"، حيث سنرى كيف يوصف خبراء هذا المجال موضوع "المعلومات" بشكل عام.

طبيعة الأنظمة المعلوماتية

لقد ساهم مجال "الهندسة المعلوماتية" العصري بإحداث ثورة حقيقية في حياتنا اليومية في العقدين الماضيين. لولا التقدم الهائل والمفاجئ الذي شهده مجال "نظرية المعلومات" information theory، لما كانت الكمبيوترات، أجهزة الفاكس، الهواتف الجوالة، وأجهزة كثيرة أخرى دخلت إلى مجال استخدامنا اليومي، ممكنة اليوم.

في السنوات الأخيرة قام مهندسين في مجال "المعلومات" بفحص طبيعة "الشيفرة الجينية" genetic code واستنتجوا بأنها عبارة عن ***منظومة تشفير رقمية مُصحّحة للأخطاء*** error correcting digital coding system. في الوقت الذي تكون فيه منظومات التشفير الرقمية وحدها معقّدة جداً، إلا أن ***الشيفرات الرقمية المصحّحة للأخطاء*** هي أقل شيوعاً لكنها أكثر تعقيداً. وبالإضافة، فإن جزيء الحمض النووي DNA هو مجهّز ذاتياً بهذه المنظومة. أي أن نفس الرزمة المعلوماتية (التي نسميها جين gene) تكون موجودة في أكثر من موقع بنفس الوقت في الحمض النووي التابع للكائن الحيّ. وبهذه الطريقة، إذا أصيب أحد الجينات بأخطاء معلوماتية، تتحوّل الإدارة إلى النسخة الجينية الداعمة backup gene التي تستلم زمام الأمور! هذا المستوى من التعقيد لا يمكن إيجاد شبيه له سوى في أنظمة الكمبيوتر الأكثر تعقيداً.

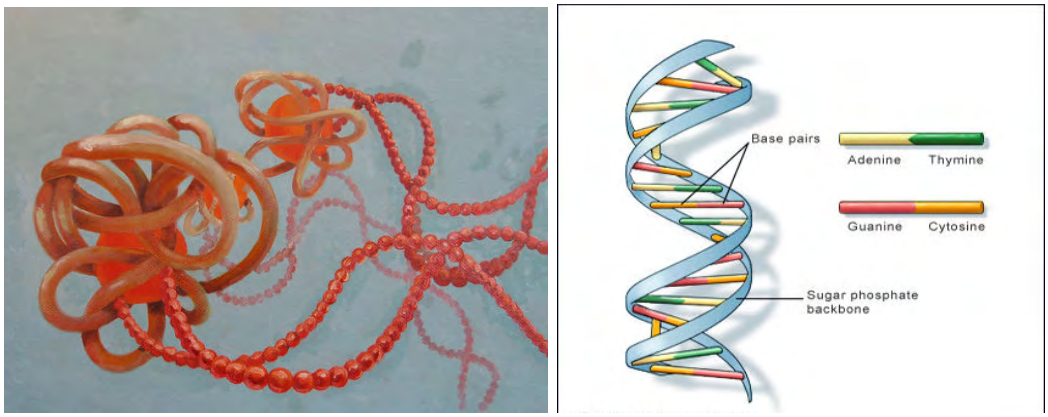

بنية جزيء الحمض النووي DNA

يمكن تشبيه المنظومة التشفيرية للحمض النووي DNA بالقرص المُدمج في الكمبيوتر. الموسيقى التي يحتويها القُرص المدمج هي مُخزّنة فيه بطريقة رقمية ولا يمكن إدراكها بشكل كامل سوى إذا كان لديك إلمام باللغة البرمجية المُستخدمة لخلق المعلومات المُخزّنة في القُرص. من أجل تشغيل الموسيقى التي يحتويها القرص المُدمج، أنت بحاجة إلى الآلية المناسبة التي تعمل على ترجمة تلك المعلومات المُشفرة إلى موسيقى. وتشمل هذه الآلية في جهاز تشغيل القرص المُدمج العشرات من المهمات التي تقوم بها أجزاء إلكترونية مختلفة.

الأمر ليس مختلفاً كثيراً في الخليّة الحية. فالمعلومات المحمولة في جزيء الحمض النووي DNA تحتوي الإرشادات المسؤولة عن كافة المجريات والمنظومات والتركيبات البنيوية في الجسم البشري. في داخل كل خلية تقبع التجهيزات الخاصة التي تعمل على فكّ تشفير ومن ثم استخدام تلك المعلومات المسؤولة عن أداءها.

عندما ننظر إلى قرص مدمج، لا نلاحظ أي أثر أو دليل ظاهري على وجود معلومات موسيقية مُخزّنة على سطحه. كل ما نراه هو تلاعب الألوان التي يولّدها انعكاس الضوء. وفي غياب المعرفة باللغة البرمجية المُستخدمة في خلق ما يخزّنه القرص وكذلك الآلية المُستخدمة في ترجمته إلى موسيقى، فليس لدينا خيار سوى الاكتفاء بتلاعب الألوان المتولّد على سطحه نتيجة انعكاس الضوء. هذه هي المعضلة ذاتها التي نواجهها مع الحمض النووي DNA وطريقة المعلومات المُشفّرة فيه، أو حتى أي منظومة تخزين معلوماتية أخرى.

إذا فحصنا سياق وترتيب الـ"نيوكلوتايد" nucleotides في جزيء الحمض النووي، فنرى أنها تظهر على شكل سلسلة طويلة من المواد الكيماوية وليس على شكل رسائل معلوماتية أو رموز. إنه فقط عندما نحوز على المعرفة باللغة البرمجية (الشيفرة الجينية genetic code) وكذلك الآليات المناسبة لترجمة المعلومات المشفّرة في جزيء الحمض النووي DNA، حينها يُصبح الترتيب التسلسلي للـ"نيوكلويتايد" مفهوماً بالنسبة لنا. في غياب هذه المعرفة وآلية الترجمة، سوف تبدو لنا الترتيبات التسلسلية المُستخلصة من جزيء الحمض النووي دون معنى إطلاقاً.

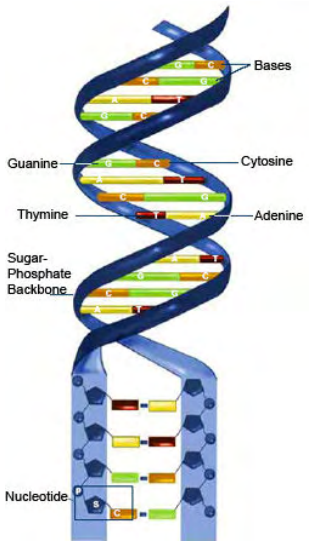

ترتيب الـ"نيوكلوتايد" nucleotides في جزيء الحمض النووي

وكنتيجة لهذا كله، فإن التحدي الكبير الذي يواجه العلماء الماديين materialists هو تفسير كيف يمكن للغة برمجية (الشيفرة الجينية)، والآليات الخليوية الضرورية لترجمة المعلومات المُخزنة في جزيء الحمض النووي، تجسّدت بشكل عفوي وتلقائي، أي دون تدخّل ذكي أو إرشاد عاقل.

لقد قامت معظلة "البيضة والدجاجة" بإرباك العلماء وإشغالهم لعقود طويلة من الزمن. وقد ذكر الكيميائي "جون والتون" John Walton هذه المُعضلة في العام ١٩٧٧م، عندما قال:

".. إن أصل الشيفرة الجينية genetic code يطرح مسائل هائلة غير قابلة للحلّ. تبدو المعلومات المُشفرة في الترتيب التسلسلي للـ"نيوكلويتايد" مجرّدة من أي معنى في غياب آلية ترجمة، لكن خواص هذه الآلية هي أيضاً مُشفّرة في الحمض النووي DNA. بمعنى آخر، في غياب آلية الترجمة، ستبدو المعلومات دون معنى، لكن في غياب المعلومات المُشفرة، لا يمكن استخراج آلية الترجمة. هذه المسألة تمثّل معظلة "البيضة والدجاجة"، وجميع المحاولات الهادفة لحلّ هذه المسألة باءت بالفشل.."

من خلال القبول بفكرة التوالد التلقائي لخيوط الحمض النووي الطويلة، ما الذي نحصل عليه؟ هل تحوز هذه الخيوط الطويلة من النيوكلوتايد على شيفرة أو برنامج؟ طبعاً لا. إن ما نحصل عليه هو عنصر كيماوي معقّد جداً لديه القدرة على حمل شيفرة أو معلومات. إذاً، لا يمكن أن يكون هناك معلومات كامنة في هذه الحموض النووية DNA المتولدة تلقائياً إلا إذا وُجد نظام خاص لترجمة هذه الترتيبات المتسلسلة من النيوكلوتايد أولاً وقبل أي شيء آخر. ربما المثالين البسيطين التاليين يساعدانا على فهم طبيعة هذه المعضلة أكثر.

لغة رموز موريس
Morse Code

آلة إرسال على طريقة موريس

إذا عُرض عليك رمزاً مؤلفاً من المتسلسل التالي: نقطة، نقطة، نقطة، فراغ، فراغ، فراغ، نقطة، نقطة، نقطة، وإذا كنت خبيراً في لغة رموز موريس، فسوف تدرك مباشرةً بأن هذه الجملة من النقاط والفراغات تعني "S-O-S"، وهي عبارة مُعترف عليها بين البحارة بشكل عام بحيث ترمز للجملة "أنقذوا أرواحنا" Save Our Souls. لكن بنفس الوقت، إذا أخذنا هذه الجملة من النقاط والفراغات وعرضناها على أحد أفراد قبيلة هندية تقطن في غابات الأمازون، فسوف ينظرون إلى ترتيب النقاط والفراغات لكن يعجزن عن استخلاص أي معلومة مفيدة منها، هذا طبعاً بسبب عدم إلمامهم بالمصطلح اللغوي الذي نسميه رموز موريس Morse Code.

اللغة الإنكليزية
A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z

وبشكل مماثل، إذا أخذنا كتاب مكتوب باللغة الإنكليزية وقدمناه لأحد السكان البدائيين في الأدغال، فسوف لن يمثّل أي قيمة منطقية أو حتى عقلانية بالنسبة له. إلا إذا كان لديه معرفة مُسبقة بالمصطلح اللغوي الذي تعمل وفقه اللغة الإنكليزية. كما هي الحال مع النقاط والفراغات (رموز موريس)، فإن الأحرف الستة والعشرين التي تتألف منها الأبجدية الإنكليزية لا تمثّل أي معلومات كامنة فيها إذا كانت قائمة واحدها.

قد تمثّل أشكالها نوعاً من المعنى الهندسي الأوّلي، لكن هذا لا يمنع الحروف بأن تبقى دون معنى. لكن بعد جمع الأحرف في مجموعات متسلسلة، ووفق القوانين الاصلاحية التي تفرضها قواعد اللغة الإنكليزية، حينها تبدأ بإظهار المعلومات. لكن، هذا

التتابع المتسلسل لمجموعات الأحرف لا يمكنه أن يحمل أي معنى في غياب عاملين مهمين وجب أن يكونا موجدين أولاً: القواعد والاصطلاحات اللغوية التي تحكم اللغة الإنكليزية، وثانياً، آلية الترجمة (عقل الإنسان) التي تحوّلها إلى معلومات مفهومة.

الحمض النووي DNA & القرص الصلب

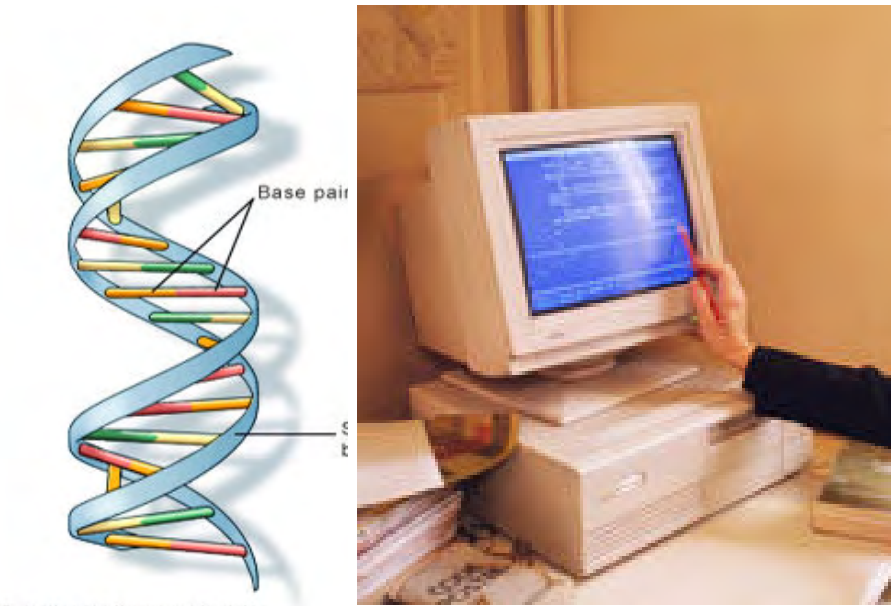

إن الأقراص الصلب، أو الأقراص المغناطيسية magnetic disks التي تُستخدم لتخزين واسترجاع المعلومات في أجهزة الكمبيوتر توفّر أمثلة جيّدة لجزيء الحمض النووي DNA. عندما أشتري كمبيوتر تكون ذاكرته فارغة تماماً، هل أكون قد اشتريت شيفرة أو برنامج؟ لا. لقد اشتريت وسيط كيماوي فقط، لكن لديه القدرة على تخزين شيفرة أو برنامج. لكن على أي حال، من أجل معالجة معلومات حقيقية وجب على القرص الفارغ أن يخضع للبرمجة (أو الفرمتة formatting) من قبل الكمبيوتر الذي صُنع خصيصاً لهذا الغرض.

خلال فرمتة القرص الصلب، يُخزّن فيه برنامج من خلال مصدر ذكي (الكمبيوتر) والذي هو موجود خارج ومنفصل عن القرص. يتم تحقيق هذا من خلال ترتيب الذرات الحديدية على سطح القرص بطريقة مُعترف بها وفق القوانين التي تتعامل معها لغة برمجة الكمبيوتر. بعد فرمتة القرص وزرعه بالمعلومات، سوف لن يزيد وزنه أو ينقص. هذا لأن المعلومات التي تم تخزينها فيه خالية من الكتلة أو الوزن.

كما في حالة الأحرف الستة والعشرون من الأبجدية الإنكليزية، فإن بنية وشكل الذرات الحديدية الموزّعة على القرص لا تمثّل أي معلومات في ذاتها. لكن بنفس الوقت، يمكن استخلاص المعلومات (التي تكون على شكل شيفرة أو برنامج) من خلال طريقة ترتيب ذرات الحديد على سطح القرص. ثم يتم ترجمة هذا الترتيب للذرات الحديدية عبر البنية الميكانيكية للكمبيوتر وفق القوانين الموضوعة مسبقاً لتناسب لغة البرمجة. في غياب القسم الميكانيكي ولغة البرنامج المُصممة مُسبقاً، فسوف يبدو ترتيب ذرات الحديد على القرص دون معنى إطلاقاً.

هل يستطيع الكمبيوتر خلق لغة البرمجة الخاصة به؟ طبعاً لا. فكما يحتاج القسم الميكانيكي تصميماً عاقلاً، الحال نفسه ينطبق على لغة البرمجة (أو المصطلح اللغوي)، حيث هي أيضاً بحاجة لتصميم عاقل وذكي، وفي هذه الحالة نتكلّم عن مهندس خبير في برمجة الكمبيوتر.

من خلال البدء من المرحلة الزمنية التي بُذرت فيها الأرض ببكتاريا "البروكاريوت" و"اليوكاريوت" أو ربما كائنات مجهرية أخرى تحتوي على حمض نووي DNA أو غيرها من بذور حياة، وبالتالي أصبحت الآن المحيطات مليئة بهذه الكائنات المجهرية. ولتسهيل الأمر دعونا نفترض بأنها جزيئات الحمض النووي DNA. والآن لنتصوّر بأن هذه الجزيئات تمثّل أقراص مُدمجة (مئات الملايين منها) تطفو على سطح البحار. من أجل أن يحمل جزء الحمض النووي معلومات، وجب أولاً ترتيب جزيئاته بطريقة خاصة مُحددة مُسبقاً من قبل الشيفرة الكيماوية chemical code. وفي حالة الأقراص المُدمجة، نتكلّم هنا عن لغة البرمجة. والمسألة هنا تكمن في أنه وجب على لغة البرمجة أن تكون موجودة أولاً. وحسب مبادئ نظرية المعلومات العصرية modern information theory، فإن لغة البرمجة تأتي فقط من مصدر عاقل.. أي من العقل!

لقد استطاع "ميللر" Miller و"أوري" Urey أن ينتجا حجارة البناء البروتينية المُنظمة. ربما في المستقبل سيتمكن أحدهم أن ينتج الـ"نيوكلوتايد" nucleotides عن طريقة الإجراءات الكيماوية العفوية (الصدفة). لكن رغم ذلك كله، ففي غياب لغة برنامج موضوعة مسبقاً، لا يمكن لهذه الرموز الكيماوية أن تكون مؤثرة في نقل المعلومات، كما هي الحال مع ذرات الحديد الموزّعة عشوائياً على سطح القرص، أو الأحرف الأبجدية الموزعة عشوائياً على صفحة كتاب.

يمكننا استنساخ خلية أو تحفيزها على اتخاذ شكل مختلف أو خواص مختلفة، لكن حتى هذه اللحظة، ورغم هذا المستوى العلمي المتقدم الذي نشهده اليوم، لا يستطيع العلماء استيعاب حتى الآن كيف تتجسّد فيها طاقة الحياة (الطاقة الإحيائية) تلقائياً وكذلك من أين جاءت المعلومات الفطرية (الغريزية) التي تستند عليها للبقاء والنمو والتكاثر! ولكي نستوعب مدى الإعجاز الذي يفرضه هذا اللغز الكبير، الصور التوضيحية التالية توفّر فكرة مُبسّطة للمسألة:

معجزة الحياة

يستطيع العلم أن يتلاعب بكافة أشكال الحياة في الطبيعة، لكنه لا يستطيع استيعاب طريقة إحياءها الطبيعي، أي لا يستطيع فهم الطريقة التي من خلالها تصبح مُفعمة بالحياة بشكل تلقائي.. وليس هذا فحسب، بل تعرف جيداً كيف تتصرّف لكي تنمو وتتكاثر وتحافظ على بقائها.

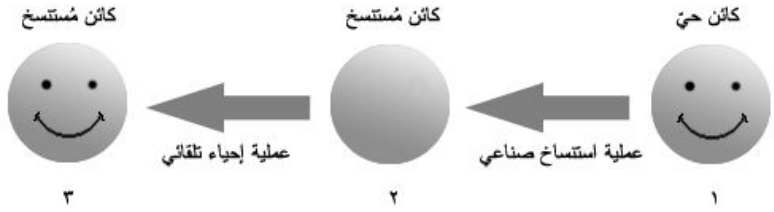

يمكننا استنساخ الكائن الحيّ اصطناعياً (الذي قد يمثّل نبتة، أو حيوان، أو حتى خلايا مجهرية) ذلك بالاستعانة بوسائل علمية معيّنة. لكن إذا توقّف الأمر عند هذه المرحلة (المادية)، فسوف لن نخرج بنتيجة مجدية. فالكائن المستنسخ سيبقى كتلة مادية ميتة إن لم تتدخّل الطبيعة وتبعث فيه الحياة وتزوّده بمعلومات فطرية تساعده في المحافظة على بقاءه!

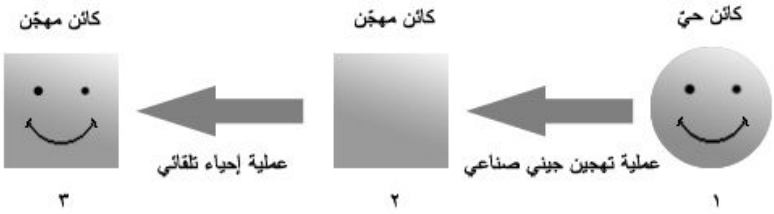

يمكننا إجراء تعديل جيني للكائن الحيّ، فنغيّر فيه الكثير من الخواص الخلقية. لكن رغم هذا الإنجاز العلمي الكبير، لازال العلماء يجهلون كيف تُبعث الحياة في الكائن المهجّن ويتزوّد بمعلومات فطرية تساعده في المحافظة على بقاءه وفق ما يقرضه شكله الجديد الذي تحوّل إليه!

يستطيع العلم أن ينقل الكائن الحيّ من المرحلة [١] إلى المرحلة [٢] (أنظر في الصور السابقة)، لكنه يجهل كيف تتجسّد المرحلة [٣] دون أي تدخّل منه!

الشيفرات المتشكّلة بالصدفة؟

طوال فترة القرن العشرين، ظهرت نظريات كثيرة حول أصل البنية الكيماوية في الأنظمة الحيّة، لكنها ما لبثت أن استُبدلت مع ظهور كل جيل جديد من العلماء. لكن في جميع الأحوال، فإن النظريات المتعلقة بأصل الشيفرات والبرامج ولغات البرمجة (المصطلحات اللغوية) هي قليلة جداً ولا تنال الاهتمام اللازم. لطالما وُجهت مزاعم ***العلماء الحيويين*** (يؤمنون بوجود عقل كوني) القائلة بأن البرامج ولغات البرمجة، مثل الشيفرة الجينية، تتجسّد فقط بفعل مصدر عاقل، بالرفض والتنديد من قبل ***العلماء الماديين*** (رغم أن مهندسي المعلوماتية ليس لديهم مشكلة في تقبّل هذه الفكرة). وبالرغم من أن العلماء الماديين يرفضون أي فكرة تؤدي إلى استنتاج وجود مصدر عاقل، إلا أنهم حتى الآن عجزوا عن التوصّل إلى نظرية عقلانية تفسّر

كيف يمكن للمعلومات، التي تُعتبر نقيض لعامل "الصدفة"، أن تتجسّد بفعل الصدفة وحدها! وكما سنرى لاحقاً، فإن هذه المسألة أدت بهم إلى الخروج بالكثير من الحلول غير العقلانية.

إحدى أكثر النظريات شهرة بخصوص ***أصل المعلومات المتشكلة بالصدفة*** origin of information by chance تقدم بها المادي "مانفريد أيغن" Manfried Eigen. حاول "أيغن" أن يستعرض كيف يمكن للشيفرة أو البرنامج أن يتطوّرا بفعل الصدفة. يجادل "أيغن" بأنه إذا كانت رموز الشيفرة الجينية قادرة على التشكّل بالصدفة، لماذا إذاً لا يمكن للكلمات والجمل والفقرات وحتى الكتب أن تفعل الشيء نفسه.

ابتكر "أيغين" آلة تحوز على قدرة على توليد، بالصدفة، أحرف اللغة الإنلكيزية ومن ثم خلطها بطريقة عشوائية ثم تصوّر كيف يكون الأمر إذا أجرت عملية فرز عشوائي لهذه الأحرف لمدة مليون سنة. بعد فحص المجموعات المفروزة من الأحرف المولّدة عشوائياً لا بد من أن نجد بعض الكلمات التي لها معنى. لقد ولّدت كلمات مثل AND، MAN، DOG، CAT، وحتى بعض العبارات مثل .. The Lord is my sheperd, I shall not want. يمكننا أن نتعجّب بأداء هذه الآلة حيث استطاعت فعلاً أن تولّد كلمات وجمل لها معنى. يجادل "أيغن" بأن هذا يمثّل إثبات على إمكانية لعب الصدفة دوراً أساسياً في الإنتاج العشوائي للمعلومات. لكن.. هل ما يقوله صحيح؟

في كتابه الذي بعنوان *"العلوم الطبيعية لا تعلم شيئاً عن النشوء"* The Natural Sciences Know Nothing of Evolution، استعرض البروفيسور "أ.إ. ويلدر سميث" A.E. Wilder-Smith مدى الخطأ الذي تعاني منه جدلية "أيغين". فقد دعى "ويلدر سميث" أحد أصدقاءه من الذين لا يجيدون اللغة الانكليزية، وهو من سويسرا، وطلب منه النظر في ما تخرجه آلة "أيغين" من عبارات وكلمات إنكليزية. راحت الآلة تولّد عبارات وكلمات عشوائية لها معنى، مثل: HAT، FISH، BOY.. إلى آخره. راح صديقه السويسري يحدّق إلى الآلة وما تولّده من كلمات دون أن يستوعب ما يجري وما الذي تستعرضه الآلة. بينما كان الرجل الإنكليزي الواقف بجواره مفتوناً بقدرة هذه الآلة على توليد كلمات وعبارات لها معنى، كان الرجل السويسري ينظر كالأبله إلى الآلة دون أن يفهم شيئاً. وأخيراً أشار السويسري بأن ما يخرج من معلومات من هذه الآلة ليس له أي معنى إطلاقاً بالنسبة له، لأنه بكل بساطة غير ملم بمصطلحات وقواعد اللغة الإنكليزية.

أصبح واضحاً من خلال الحالة السابقة بأن جدلية "أيغين"، القائلة بأنه [يمكن توليد "معلومات صحيحة" بالصدفة]، هي جدلية خاطئة تماماً، والسبب هو أنه صمم الآلة بالاستناد على قواعد ومصطلحات لغة موجودة سابقاً (الإنكليزية)، وهذا سيعيدنا إلى نقطة الصفر، فنعيد ونطرح السؤال ذاته لكن بمعنى مختلف، وكأننا نقول: من وضع مصطلحات اللغة الإنكليزية أساساً لكي تعمل الآلة وفقها؟!

يشير "ويلدر سميث" إلى أن تسلسل الأحرف يكون له معنى فقط عندما نطبّق القواعد والمصطلحات المتعلقة باللغة الإنكليزية على الترتيبات التسلسلية ذاتها. كما هي الحال مع النقاط والفراغات التي لا تعني شيئاً دون إلمام بلغة موريس، الأمر ذاته ينطبق على الترتيب العشوائي للأحرف التابعة لأي لغة، أو رموز كيماوية، أو غيرها، والتي لا تبدي أي معنى دون وجود

قواعد ومصطلحات تنظّم ترتيب وتسلسل الأحرف والرموز ونستند عليها نحن لترجمة هذه الترتيبات المتسلسلة وتحويلها إلى معاني مفهومة. أي أن القواعد التي تحكم أي منظومة لغوية هي متفق عليها مسبقاً بين مجموعة من الناس بحيث أجمعوا على أن ترتيب معيّن لسلسلة من الأحرف يمثّل معنى محدّد. وبمعنى آخر، إن قوانين لغة معيّنة، مع قواعدها ومصطلحاتها ونظمها الخاصة، وجب أن يُتفق عليها أولاً قبل تداولها واستخدامها.

يعلم المهندسين المعلوماتيين جيداً بأن المنظومة اللغوية لا يمكنها أبداً أن تتجسّد بالصدفة وبشكل تلقائي. إن كل مهندس معلوماتي أو مبرمج كمبيوتر يعلم جيداً بأنه وجب إلغاء عامل الصدفة تماماً إذا أراد النجاح في كتابة شيفرة برمجية أو برنامج إلكتروني من أي نوع. وفي الحقيقة، فإن "الصدفة" هي نقيضة تماماً للمنظومة المعلوماتية.

رغم ذلك كله، لازالت العقيدة الداروينية (نظرية التطوّر) تكرّس الفكرة القائلة بأن عملية خلط عشوائي للنيوكلويدات nucleotides لمدة ملايين السنين، تشكّل، ليس فقط جزيء الحمض النووي DNA، بل أيضاً الشيفرة التي تحكم عملية تخزين واسترجاع المعلومات التي تحملها! إذا استمرينا بهذه المزاعم، فنحن بذلك لا نؤكّد فقط فكرة أن الأقراص الليزرية يمكنها أن تتجسّد تلقائياً وبالصدفة، بل نؤكّد أيضاً فكرة أن كمية المعلومات الهائلة التي تحتويها، وبما في ذلك من مصطلحات وقواعد لغوية ولغات برمجة، يمكنها أن تتجسّد بالصدفة دون أي تدخّل من مبرمج أو مهندس معلوماتية يقبع في مكان ما خارج حدود هذا القرص.

لقد شكّ العلماء منذ قرون مضت بأن المنظومات الحيّة تحتوي على آلية معيّنة لتخزين واسترجاع المعلومات المستخدمة للأيض أو التكاثر والتوالد الخلوي. ومع النجاح في توضيح وتفسير هيكل وتركيبة الحمض النووي DNA في العام ١٩٥٣، وبالإضافة إلى فكّ رموز الشيفرة الجينية في الستينات من القرن الماضي، فقد تم التأكّد من هذه الحقيقة دون أي شكّ بذلك. لكن مع ذلك، فإن المناظرات التي تقوم حول أصل المعلومات الخلوية تسبق تاريخ اكتشاف الحمض النووي بمائة عام تقريباً.

وكما حصل بخصوص مسألة تشكّل البنية المادية الخلوية cellular hardware، فقد لجأ الداروينيون إلى العامل السحري، وهو "الزمن"، لتفسير أصول المعلومات الحيوية ومسيرة نشوءها، أي "البرنامج" software الذي تُخزنه المنظومات الحيّة. منذ القرن الثامن عشر 1700's، جادل العلماء الماديين بأنه، إذا توفّر الوقت الكافي، كل شيء يصبح ممكناً، حتى لو كان تشكّل البرامج المعقّدة الضرورية لتوليد الحياة. بينما على الجانب الآخر، يصرّ العلماء الحيويين (يؤمنون بوجود عقل كوني) بأنه أينما وُجد تصميم معيّن فلا بد من أن يكون هناك مصمّم، وأينما وُجدت الشيفرات أو القواعد اللغوية فلا بد من أن يوجد مهندس مسؤول عن تشكيلها.

الدلائل المُقدمة هنا أدت بنا إلى استنتاج واضح بقدر ما هو عظيم. فكما رأينا، إن مدى التنظيم والتعقيد في هذا الكون الواسع يتجاوز حدود "عامل الصدفة" بشكل يجعل هذا العامل أسخف من أن يؤخذ بالاعتبار. لقد رأينا كيف أن هذا النظام الكوني المتداخل والمركّب بتعقيد فائق يتجاوز قدرتنا على شموله بإدراكنا المحدود. وهذا العمل طبعاً يتطلّب الطاقة، وكذلك الإرشاد

العاقل.. ومن مصدر يقبع خارج حدود البُعد الزماني/المكاني الذي نحن فيه. وبالإضافة، فالتعقيد الهائل الذي أظهرته المنظومات الحيّة، وطبيعة المعلومات الكامنة في جزيء الحمض النووي DNA لا يمكن تفسيره بالاستناد على القوانين الطبيعية التي نألفها ونستخدمها في هذا البعد الزماني/المكاني من واقعنا الكوني.

في فجر القرن العشرين، كان العلماء يجاهدون بكل ما عنهم لتفسير غوامض الكون بالاستناد على قوانين طبيعية محدودة الأفق، لكن جهودهم الحثيثة ساهمت، دون قصد منهم، في اكتشاف ظواهر مذهلة تشير بوضوح إلى ضرورة وجود خالق عظيم لكي تتجسّد. هذا الخالق الذي كانوا يجاهدون بكل ما عندهم لإثبات عدم وجوده علمياً! ومع ذلك، هذا بالضبط ما اكتشفوه وسلّموا أخيراً بضرورة وجوده!

من أجل خلق الكون ومنظوماته الحيّة اللامتناهية، وجب على الخالق أن يكون متعدد الأبعاد، وبطبيعة الحال، متجاوزاً لحدود هذا الواقع المادي الملموس الذي نعجز نحن عن إدراك غيره. من أجل خلق الكون في البداية، وجب أن يكون سابقاً لزمن خلقه. وثانياً، من أجل إدارة وتأسيس المحتوي المادي للمجرات والأنظمة الشمسية والكائنات الحيّة.. وجب على الخالق أن يدخل إلى هذا البُعد الزماني/المكاني الذي يشمل المحتوى المادي للكون. هذه القدرة على التواجد، بنفس الوقت، داخل وخارج هذا البُعد الزماني/المكاني المادي للكون، وكذلك القدرة على اختراق كافة الأبعاد الزمانية/المكانية الأخرى للكون، يتطلّب وجود كائن عاقل عظيم يشمل الكون بكل أبعاده. وهذا العمل الذي لا يوجد مصطلح مناسب لوصف مدى عظمته وشموليته، لا يمكن تفسيره بالاعتماد على فكرة سخيفة تُسمى "عامل الصدفة".

لكن رغم ذلك كله، فلازال اللجوء إلى ***وجود كائن ماورائي عظيم كتفسير مناسب لأصل نشوء الكون النابض بالحياة*** يُعتبر بالنسبة للكثيرين أمراً بغيضاً يثير الاشمئزاز، بينما اللجوء إلى ***إله مُقدّس يُسمى "عامل الصدفة"*** يُعتبر بالنسبة لهم ***إيماناً سليماً بالمعجزات الرياضياتية***. لقد آن الأوان لأن نحدد اختيارنا بوضوح، بين المعجزات الرياضياتية مع غياب أي كائن ماورائي يديرها، أو خالق متعدد الأبعاد يمثّل ***السبب الأوّل***، والذي نظّم وأسّس الكون والأنظمة الحيّة. لم يعد هناك مجال للمواقف الزئبقية. إما "عامل الصدفة"، أو "التصميم العاقل"، وجب عليك الاختيار.

لكن في النهاية.. وفي جميع الأحوال..

مهما بدا الأمر بالنسبة لنا.. مهما كانت الاختلافات التي تفرّقنا.. حيث تمزّقت أرواحنا بين مذاهب فكرية مادية، وأخرى روحية.. بين الإيمان بأصول فضائية أو أصول أرضية.. تطوّر من قرود أو انحدار من عمالقة.. تصميم عاقل أو عامل الصدفة... عرق أبيض أو عرق أسود.. كل هذا لا يغير شيئاً في النهاية.. فالحقيقة هي الحقيقة..

كلنا أيادي الله المقدّسة... نحن تجليات متباينة للروح الكونية المبدعة.. المصدر واحد.. والأساس واحد.. كلنا واحد..

خلال اجتهادنا في تصنيف الآخرين والارتقاء بأنفسنا فوق غيرنا.. والانتماء إلى حظائر متنازعة.. والدخول في الجدالات الفارغة.. والاصطفاف وراء رايات واهية.....

.. نحن في النهاية أطفال صغار محدودي الإدراك.. نسرح ونمرح في باحة المنزل الكبير الذي يأوينا.. وتكثر فيها الألعاب الممتعة..... هناك من يجد لعبة "عامل الصدفة" أمتع من غيرها، بينما هناك من وجد المتعة في لعبة "المخلوقات الفضائية"... وهناك من تمسّك بـ"معجزة الأيام الستة".. وألعاب كثيرة أخرى.. لكن في نهاية النهار، وعند غروب الشمس.. نعود جميعاً متسابقون إلى أحضان أمنا الحنونة.. المنتظرة عند الباب..

انتهى